
إسلام شاهين
رواية
Tangle
تانجل 2
عندما تختلف الاتجاهات..



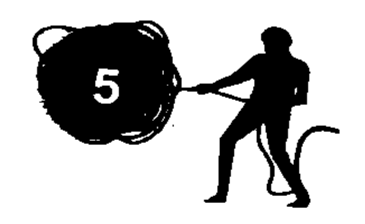
تانجل

إسلام شاهين

دار تويا للنشر والتوزيع

الإهداء

لكُل الذين حاولوا بصدق وحُب،
ولم تجدي محاولاتهم نفعًا.



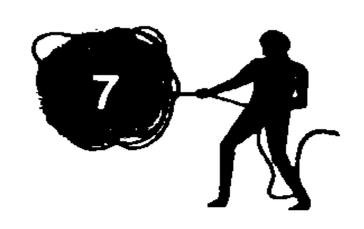


8:00 صباحًا

ترررررررررررررررررررررن

- "اِطفي المنبّه يا أروى"

قُلت الجُملة الأخيرة وأنا شبه نايم، مش حاسس بحاجة غير صوت المنبّه اللي تداخل مع حلم كُنت بحلمه، كان عُبارة عن صور على هيئة ومضات بتسابق الزمن، "أروى" كانت في الحلم، بتعمل الفطار لـ "مُهند" و"سما"، بتجهزهم عشان تودّيهم المدرسة، بتبُص لي وبتضحك، بغازلها، فـ الضحكة تتنقل لعيونها بدل شفايفها، بحاوطها بدراعي وبقرّبها منّي، بحاول أخطف منها بوسة على رقبتها، بتحاول تفلت منّي وهيَّ بتشاور على الأولاد، أقول لها مش واخدين بالهم، "مُهند" سمعني ولف عشان يشوفني بعمل إيه، اِتعدلت بسُرعة، بص لي بلؤم ورفع حاجبه، آه منّك يا مفعوص إنت:



- "بتعمل إيه يا بابا؟"
- "خليك في حالك يا واد"

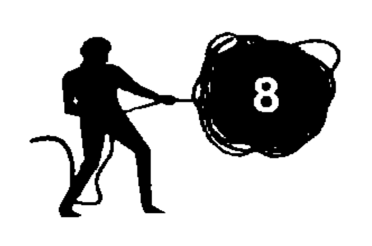
بيقلدني وبيعيد جُملتي بطريقة تضحك، "سما" بتضحك وبتحُط إيدها على بُقّها ببراءة..

- "كده! طب تعالى بقى"

بجري وراه وبيحاول يجري منّي، بمسكه وبرفعه لفوق بإيد واحدة، وبزغزغه بالإيد التانية، بيضحك بصوت عالي، و"سما" بتُقع على الأرض من كُتر الضحك، "أروى" بتحُط الساندوتشات في الشُنط بتاعتهم وهيَّ بتبتسم، في اللحظة اللي سمعت فيها صوت جرس جاي من بعيد، صوت المنبّه..

- "اطفي المنبّه يا أروى"

كررت جُملتي وأنا بين النوم واليقظة، بحاول أرجع للحلم تاني قبل ما يهرب منّي، بس المنبّه مبطلش رن، اتقلبت على السرير ومدّيت إيدي عشان أصحّي "أروى"، بس إيدي مَلمستهاش، دراعي اِتفرد على جمب السرير الفاضي، فتّحت عيني وقفلتها أكتر من مرة، وابتديت أرجع للواقع واحدة واحدة، مدّيت إيدي للكومودينو وقفلت جرس المنبّه المُزعج، عشان أغرق في هدوء عميق، مالوش آخر، أوقات بحس إن الهدوء مُمكن يبقى مُزعج هو كمان، يمكن أكتر من الدوشة، في حالتي دي الهدوء كان لا يُطاق، مش سامع كركبة الأطباق في المطبخ، مش سامع صوت الكارتون على التابلت بتاع الأولاد، مش سامع ضحكة "مُهند" و"سما"، ولا سامع باب الأوضة وهو بيتفتح و"أروى" وهيَّ بتقولي:



- "يَلا يا علاء، هتتأخر على المُستشفى"

أوقـات الهـدوء بيبقـى لا يُطـاق، لمّـا بتقـوم مـن نومـك بعـد حلـم جميـل، وتكتشـف إنّـك وحيـد.

بيـت مهجـور زيّ روحـك تمـام، لمّـا مشـيوا خـدوا كُل عزيـز وغـالي معاهـم ومَحسّـوش، وإنـتَ.. كبريائـك كان أكـبر مـن إنّـك تعـترف لهـم بـده، إنّـك محتاجهـم، وإنّـك مـش كويـس، وإن حـال روحـك بقـى أسـوأ مـن حـال البيـوت المهجـورة، مضلمـة، كئيبـة، ماليهـا الـتُراب والعفـن، عنكبـوت وعشـش باقتـدار في ثنايـا روحـك، بيغـزل خيوطـه عـلى جُدرانهـا، في كُل رُكـن بتلاقـي شـبكة حابسـة جُوّاهـا ذكـرى، كُل مـا تيجـي تفتكرهـا صـدرك بيضيـق، نَفسـك بتاخـده بصعوبـة، رؤيتـك مـش واضحـة، وقُدرتـك عـلى التركيـز بتنعـدم، بتجـري، بتحـاول تهـرب قبـل مـا تتخنـق أكـتر، وبتقفـل البـاب وراك بميـت مُفتـاح، بتبُـص للبـاب بحـسرة، وبتقـول..

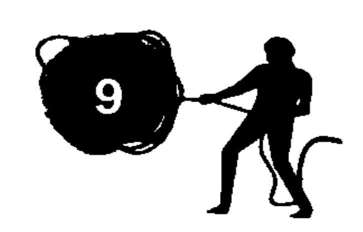
- "مش هرجع أفتحه تاني"

بـس في كُل مـرة كُنـت بترجـع، عـلى أمـل إنّـك تفتحـه في مـرة ومَتلاقيـش خيـوط العنكبـوت، ولا الـتُراب والعفـن، عـلى أمـل إنّـك ترجـع تسـمع صوت الكركبـة في المطبـخ، والكارتـون والضحكـة، وروحـك ترجـع تنـوّر مـن تاني..

***

بقـوم وبعـدل نفسـي عـلى السريـر، بدعـك عينيا بالراحـة، بمسـك التابلت بتاعـي وببُـص عـلى التاريخ واليـوم، واكتشـفت إن النهـاردة الاتنين..!

ابتسـمت نصـف ابتسـامة، وفهمـت في اللحظـة دي ليـه عقـلي الباطـن خلاهـم يـزوروني الليلـة دي، حاجـة كـده زيّ عـرض مُسـبق قصـير قبـل



العـرض الحقيقــي، قُمــت مــن مــكاني بسُرعــة واتحركــت ناحيــة البــاب، فقــدت اِتــزاني للحظــة وكُنــت هقــع لــولا إنّي ســندت عــلى طــرف السريــر، هبــوط مُفاجــئ في ضغــط الــدم عشــان وقفــت فجــأة واتحركــت بسُرعــة، زمــان كُنــت فاكــر إن المعرفــة بتقــي مــن أي شيء، كُنــت غلطــان، وعــلى الرغــم مــن إنّي بقيــت دكتــور ومُــدرك لأغلــب الأمــراض ومُســبباتها وطُــرق الوقايــة منهــا، إلا إنّي بنــسى أو ـبتنــاسىـ أســاليب الوقايــة دي أغلــب الوقــت، المعرفــة أحيانًــا مــا بتكونــش مُفيــدة غــير لــلي عنــده اســتعداد يســتفيد منهــا، وفي حالتــي بحــس إن المعرفــة بتســخر منّــي، لكــوني حصلــت عليهــا بعــد تعــب ومجهــود كبــير، وبرغــم كــده، مــش قــادر أوظفهــا صــح.

***

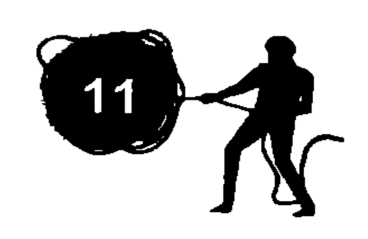
نزلــت بعــد مــا خــدت دُش سريــع، كالعــادة كسّــلت أفطــر، عدّيــت مــن جمــب عــم "منصــور" البــوّاب، بقالــه كام مــرة مــش بيرمــي الســلام، يمكــن لإنّــه لمّــا كان بيســلم ماكُنتــش بــرُد، ركبــت العربيــة ونزلــت الإزاز، فتحــت دُرج التابلـــوه وفضلـــت أدوّر عـــلى علبـــة ســـجاير بعصبيـــة، أنـــا فاكـــر إنّي كُنــت ســايب علبــة هنــا، احتيــاج مــرضي للنيكوتــين وبالــذات لأول ســيجارة في اليــوم، حاجــة تانيــة مانفعتنيــش بيهــا المعرفــة، لقيــت العلبــة، مســكتها وطلعــت منهــا ســيجارة، مدّيــت إيــدي في جيبــي وطلّعــت الولاعــة وولعتهــا، ســحبت نَفَــس طويــل، وكتمتــه جُوّايــا لأطــول فــترة مُمكنــة، وبعديــن ســبته يُخــرج، عمليــة كفيلــة تقتلنــي بسرطــان الرئــة في غضــون ســنوات قليلــة، أو تصلــب الشرايــين في خــلال شــهور، أو ســكتة قلبيــة دلوقتــي حــالًا، بــس برغــم ده كُلّــه.. بحبّهــا.

كام مـرة فضلنـا مُتمسـكين بحاجـة بنحبّهـا برغـم علمنـا الكامـل إنّهـا بتئذينـا؟!

وكام مرة اِتخلينا عن اللي بنحبّه عشان بيأذينا، وبرضو مَرتحناش..!

بصّيـت للسلسـلة المتعلقـة عـلى مرايـة العربيـة وأنـا بسـأل نفـسي السـؤال ده، السلسـلة الـلي كان فيهـا صورتهـا، صـورة "أروى"، برغـم إن كُل شيء اِنتهـى أو _عـلى وشـك الانتهـاء_ إلا إنّي لسّـه مـش قـادر أشـيل صورتهـا، مسـكت السلسـلة بأطـراف صوابعـي، وابتسـمت بمـرارة وأنـا براقـب ملامحهـا، عينيـا جـات عـلى المرايـا غصـب عنّـي وشُـفت انعـكاس صـورتي مـع ملامحهـا في الصـورة، شـعري الاسـود التقيـل الناعـم، الـلي بـدأت تتخللـه بعـض الخصـلات البيضـا، وشـعرها البُنّـي الهايـش، والـلي كانـت بتتعـب في لمّـه وربطـه، عينيـا السـودا مـع عيونهـا العسـلي الواسـعين، جبيني العريـض ووشّـها المُسـتدير، شـفايفي الرُفيعـة، شـفايفها الفراولـة، أو زيّ مـا كُنـت بحـب أقـول عليهـم، دقنـي التقيلـة وطابـع الحُسـن تحـت شـفايفها، ابتسـامتها الـلي كانـت بتنـوّر كُل شـبر مضلـم في قلبـي، وابتسـامتي الــ... الـلي كان كُلّهـا وجـع.

اتنهـدت، سـبت السلسـلة مـن إيـدي وسـحبت نَفَـس تـاني مـن السـيجارة، دُسـت عـلى زُرار تشـغيل العربيـة في التاتـش بـاد عشـان يعـرض لي الحالـة بتاعتهـا، العربيـة نـورّت كالعـادة، قبـل مـا تعـرض لي على الشاشـة إن فاضـل 20% بـس مـن طاقـة العربيـة، محتـاج أعـدّي عـلى أقـرب محطـة كهربـا عشـان أشـحن العربيـة، للحظـة افتكـرت أيـام زمـان، لمّـا العربيـات كانـت بتمـشي بالبنزيـن، سـحبت نفـس تـاني مـن السـيجارة، ظبطـت العربيـة بعدهـا عـلى القيـادة الآليـة عشـان أشرب السـيجارة براحتـي،



واخـترت مـن القايمـة عنـوان بيـت "أروى" القديـم، عشـان العربيـة تتحـرك بعدهـا، في اتجـاه البيـت..

***

"تن تن"

عدلـت نفـسي واتنهـدت بعُمـق وأنـا مسـتنّي البـاب يفتـح، سـمعت صـوت والـدة "أروى" وهـيَّ بتقـول مـن ورا البـاب:

- "استنّى يا مُهند"

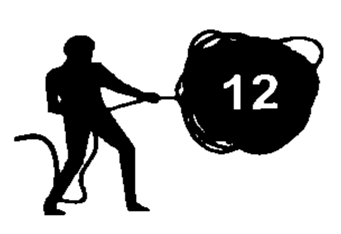
بـس "مُهنـد" مَسـتنّاش، سـمعت خطـوات رجليـه مـن ورا البـاب وهـو بيجـري ناحيتـه، وشُـفت البـاب وهـو بيتفتـح و"مُهنـد" بيطُـل منّـه بنظـرة كُلّهـا اشـتياق..

- "بابا"

محسـيتش بنفـسي غـير وهـو في حُضنـي، حاولـت أتمالـك دموعـي عـلى قـد مـا قـدرت، وَحشـني! وحشـني جـدًا، كُل مـرة بشـوفه فيهـا ببقـى عايـز أفضـل واخـده في حُضنـي لأطـول وقـت مُمكـن، وببقـى عايـز أبـوس كُل حتّـة في وشّـه، بـس بمسـك نفـسي، بتعامـل عـادي عشـان مَيحسـش إن في حاجـة، أو إن باباه _الـلي خـد قـرار الانفصـال_ مـش قـادر يبقـى قـدّه.

والـدة "أروى" ظهـرت في الصـورة، بعُكّازهـا وعبايتهـا الواسـعة، ونضّارتهـا الكبـيرة، وجّهـت كلامهـا لــ "مُهنـد" وقالـت لـه بصوت فيـه شيء مـن الحدّة:

- "برضـو فتحـت البـاب مـن غـير مـا تسـتناني؟! طـب إفـرض كان طلـع حرامـي ولا قتّـال قُتلـة؟! كان زمانـه دخـل قتلنـي وخطفـك إنـتَ وأختـك و..."



قاطعتها بشيء من الود:

- "إزيك يا طنط، بالراحة على الولد هو لسّه صغير ومش فاهم، أنا هتكلم معاه وهفهمه"

بصّت لي بنظرة كُلّها احتقار، حاولت تداريها لكن معرفتش، وبعدين قالت:

- "إزيك يا علاء، كان بودّي أقول لك اِتفضل والله."

ابتسمتْ بسُخرية، وبعدين قُلت:

- "مالوش لزوم، إحنا كده كده مش عايزين نتأخر على المدرسة."

بصّت وراها وزعّقت في الفراغ وهيَّ بتقول:

- "يا سما، يلا يا بنتي باباكي وصل."

طلّيت بعيني على الشقّة، وبعدين قُلت بتردد:

- "هيَّ.. هيَّ أروى نزلت برضو؟!"

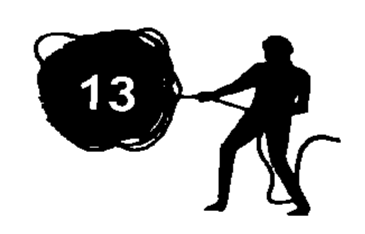
- "آه يا خويا نزلت برضو، ما إنتَ لو بتيجي بدري شوية كُنت لحقتها"

- "معلش، إن شاء الله هلحقها المرة الجاية."

- "ما إنتَ كُل مرة بتقول كده وبتتأخر، يا ابني، إعقل كده وفكّر تاني، لو مش عشانكوا يبقى عشان ولادكوا"

- "الموضوع مُنتهي يا طنط خلاص، أنا وأروى مَلناش عيش مع بعض."

- "ولمّا إنتَوا مَلكوش عيش مع بعض، بتسأل عليها كُل مرة ليه؟!"



معرفتش أرُد، أنقذني ظهور "سما" في الصورة، فـ قفلت على الحوار ووجهت كلامي لـ "سما":

- "سما، إزيك يا حبيبتي؟"

مَردتش، ومكانتش بَصّالي كالعادة، جدتها بصّت لها بعتاب وقالت لها:

- "بابا بيسلم عليكي يا سما! سلمي عليه يلا"

بصّت لي بالعافية، وبعدين مدّت إيدها من بعيد، كان نفسي أسحبها من إيدها وأخُدها في حُضني، بس مسكت نفسي وقُلت لها:

- "ماتعمليش حاجة إنتي مش عايزاها يا سما، لو مش عايزة تسلمي على بابا خلاص، أنا مش هجبرك"

سحبِت إيدها وكأنّها ما صدقت، في اللحظة اللي لقيت جدتها بتقولي فيها:

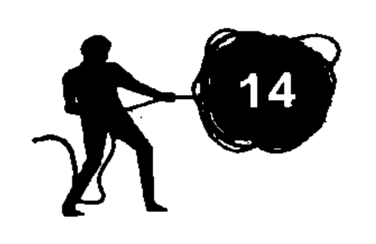
- "ما هو دلعك المِرِئ ده هو اللي مخليها تعاملك كده"

- "خليها على راحتها، مَفيش داعي نجبرها على حاجة زيّ كده، يلا، أشوفِك على خير يا طنط، وإبقي سلميلي على أروى"

- "يوصل إن شاء الله"

- "يلا يا ولاد"

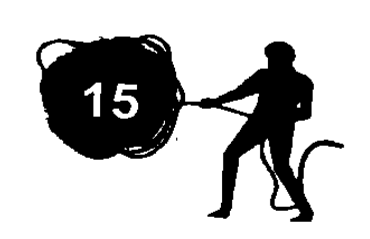
***



- "بُص يا بابا، أنا رسمت الرسمة دي في المدرسة الأسبوع اللي فات، الميس قالت لي إنّها حلوة أوي، وماما كمان، بس سما مَعجبتهاش وكانت عاوزة تمسحها"

خدت التابلت من "مُهند" واخترت عرض الرسمة بشكل ثُلاثي الأبعاد أو بتقنية الهولوجرام زي ما بنقول عليها، عشان أعرف أركز في تفاصيلها بشكل أكبر، كان راسم جنينة كبيرة وواسعة، متحاوطة بالورد والشجر، وكان راسم نفسه وهو راكب على عجلة، وراسمني وأنا ساندُه عليها وبعلمه إزاي يسوقها، على الشمال خالص كان راسم "سما"، بتبُص علينا وهيَّ بتضحك، وضَمّة كفوف إيديها قُدّامها وكأنّها بتشجّع "مُهند" عشان يوصل لها بالعجلة، في مُنتصف المسافة بيننا وبين "سما" كانت "أروى" قاعدة على الأرض، لكن ورا شوية، فاردة رجليها على الزرع وبتبُص لنا بسعادة، كانت رسمة حلوة أوي، بس توجع، بصّيت لـ "سما" في المرايا، كانت مربعة إيديها وبتبُص من الشبّاك وهيَّ مكشّرة، مرضتش اسألها كانت عايزة تمسحها ليه، الإجابة كانت واضحة، اتنهدت، وغصبت على نفسي إنّي ابتسم وأنا برجع التابلت لـ "مُهند" وبقوله:

- "حلوة أوي يا حبيبي، هتبقى أشطر وأحسن رسّام في الدُنيا"
- "ماما كمان بتقولي كده، وبتخليني أتفرج على كورسات رسم في الأجازة"
- "شطور، عارف بقى لو انتظمت في الكورسات دي، هجيب لك عجلة زي اللي في الصورة دي بالظبط، إيه رأيك؟"



فـرح للحظـة وابتسـم بسـعادة، وبعديـن بـص للرسـمة مـرة تانيـة، وابتسـامته اِبتـدت تـروح مـن عـلى وشّـه بالتدريـج، فضـل باصـص للرسـمة وبعديـن قـال بصـوت واطـي:

- "بـس إنـتَ مـش هتعـرف تعلمنـي عليهـا، عشـان مابقينـاش عايشـين مـع بعـض."

- "لا يـا حبيبـي ماتقولـش كـده، هعلمـك عليهـا لحـد مـا هتعـرف تسـوقها لوحـدك و..."

- "هو إنتوا ليه سبتوا بعض؟ إنت وماما؟"

فاجئني بسؤاله، سكت للحظة وكُنت هرُد، بس "سما" سبقتني وقالت:

- "عشان مَبقاش يحبّها"

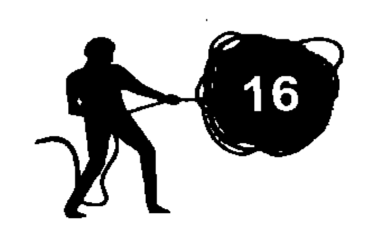
بصّيـت لهـا في المرايـا ولقيتهـا بتبُـص لي بغضـب، في اللحظـة الـلي "مُهند" نبّهنـي فيهـا فجـأة وقال:

- "أقف يا بابا، إحنا خلاص وصلنا المدرسة"

رد "سـما" خـلاني مخـدش بـالي إننـا وصلنـا، ركنـت عـلى جمـب وأنـا بفكّـر في الـلي قالتـه "سـما" وبحـاول ألاقـي رد مُناسـب ليـه، بـس بمُجـرد مـا وقفـت لقيتهـا بتفتـح بـاب العربيـة وبتنـزل منّـه وهـيَّ بتقـول:

- "ولا بقى بيحبّنا إحنا كمان!"

نزلِـت وقفلِـت البـاب بقـوة، واتحركِـت ناحيـة بوّابـة المدرسـة مـن غـير مـا تبُـص وراهـا، فضلـت أراقبهـا بتأثـر، بـس حاولـت أمسـك نفـسي عشـان "مُهنـد"، بصّيـت لـه، لقيتـه بيبُـص لي وبايـن عليـه علامـات الحُـزن، وبعديـن لقيتـه بيقـولي فجـأة:



- "متخافش يا بابا، أنا مش هصدّق ده أبدًا، إنت هتفضل تحبّني على طول، مش كده؟"

مسكت دموعي بالعافية، هزّيت راسي ومِلت عليه، وحضنته بكُل قوّتي، وبعدين همست في ودنه وقُلت له:

- "دايمًا، دايمًا يا مُهند"

بوسته على جبينه، وبعدين قُلت له:

- "يلا عشان متتأخرش، هشوفك الأسبوع الجاي"

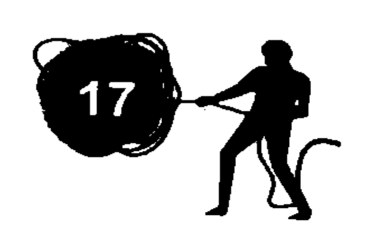
- "حاضر."

لبس شنطته ونزل من العربية، قفل الباب وعمل لي باي باي من ورا الإزاز، وبعدين اتحرّك ناحية البوّابة ولف وراه وعمل لي باي باي تاني، وعملها للمرة التالتة لمّا وصل للبوّابة، دخل بعدها واختفى وراها، اتطمنت إنّه خلاص دخل، ووقتها بس سمحت لنفسي إني أعيّط، وسبت عينيا تذرف دموعها من غير أي مُحاولة منّي لإيقافها، كعادتي كُل مرة بشوفهم فيها، وبوصلهم للمدرسة.

***

ارتضيت بشكل أو بآخر إنّي أبقى الطرف الظالم في الحكاية، أنا اللي خدت قرار الانفصال، وبرغم إن "أروى" كانت بتفكر فيه زيّي بالظبط، إلا إنّها أكيد ارتاحت كتير لإن القرار جه منّي أنا، عشان مَتبقاش في وش المدفع، وعشان متضطرش تبرر أي حاجة سواء لأهلي أو أهلها..

- "هتتطلقوا! ليه؟ إيه اللي حصل بس؟"



تُسكت وما ترُدش، وتبُص لي، فـ أتكلم أنا وأحاول أشرح لهم إننا حاولنا، بس اختلافنا كان أكبر مننا، الموضوع كان غير مفهوم بالنسبة ليهم، اتنين بيحبّوا بعض، روحهم في بعض حرفيًا، بينهم عِشرة وعُمر بحاله، والأهم، بينهم طفلين زيّ الملايكة، إيه اللي يخليهم يبعدوا! كانوا بيبُصوا لي بنظرات كُلّها شك.

- "أكيد شاف له شوفة تانية"

لسان حالهم كان بيقول كده، أهلي كانوا في موقف مَيتحسدوش عليه:

- "يا ابني فهمنا في إيه، الناس هتاكُل وشّنا"

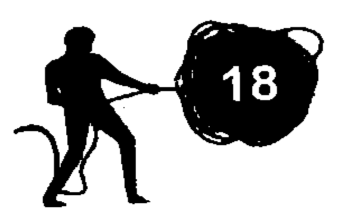
أشرح لهم:

- "يا جماعة مش مُتفاهمين، مش مرتاحين، كُل واحد فينا بييجي على نفسه عشان يريح التاني، ومحدش فينا بيرتاح"

مابيفهموش برضه، أهلي شايفيني بتدلع، وأهلها فاكرين إنّي خُنتها أو أذيتها وهيَّ مخبيّة، معرفش بتدافع عنّي قُدّامهم ولا لأ، بس اللي أنا مُتأكد منّه إنّها ارتاحت كتير إن القرار كان قراري، وإن أنا اللي طلبت نتطلق..

ركنت العربية قُدّام المُستشفى، بصّيت في ساعتي، كانت داخلة على 9 ونص، نزلت واتحركت ناحية البوّابة "مُستشفى الأمل للأمراض النفسية والعصبية"، بصّيت على اليَفطة وأنا بفكّر، يوم جديد من الانغماس في مشاكل ومتاعب الآخرين، على أمل إنّي أهرب من مشاكلي شوية.

في مَقولة بتقول "إن الطبيب النفسي أوقات بيحتاج للعلاج زيّه زي المريض بالظبط" ده أكتر وقت أنا مصدّق فيه المقولة دي، أنا فعلًا



محتـاج للعـلاج، بـس برغـم كُل شـهاداتي وخـبراتي والمـرضى الـلي قـدرت أعالجهـم، إلا إنّي لحـد اللحظـة دي، مقدرتـش أعـرف علاجـي إيـه..

مشـيت في ممـرات المُستشـفى وأنـا بقلـب في التابلـت بتاعـي، بشـوف لـو حـد كلمنـي أو بعـت لي رسـالة، لكـن كالعـادة ملقتـش أي حاجـة، حطّيـت التابلـت في جيبـي في نفـس اللحظـة الـلي وصلـت فيهـا لمكتبـي، عشـان ألاقـي "دُعـاء"، المُمرضـة والسـكرتيرة بتاعتـي بتسـتقبلني كالعـادة..

- "صباح الخير يا دكتور علاء"

- "صباح النور يا دُعاء، عندنا كام حالة النهاردة؟"

- "حالتين بس يا دكتور، حالة كمان نُص ساعة، وحالة الساعة 12"

- "أول مرة ولا..؟"

- "آه يا دكتور، الاتنين أول مرة"

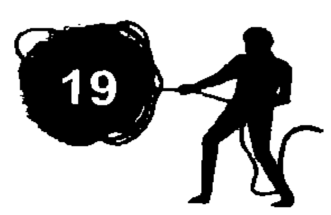
- "طيب كويس، اليوم مش زحمة خالص، ملفاتهم جاهزة؟"

- "هتلاقيهم على مكتب حضرتك يا دكتور"

- "عظيم، خلي عم متولي يحضر لي فنجان القهوة بتاعي"

- "حاضر يا دكتور"

شـكرتها واتحركـت ناحيـة بـاب الغُرفـة، فتحتـه ودخلـت وقفلـت البـاب ورايـا، أوضـة بسـيطة ألوانهـا فاتحـة وبتُدخلهـا الشـمس، زهـور وزرع جمب الشـبّاك عـلى الشـمال، مكتـب في النُـص أمامـه كُرسـيين، ومكتبـة كبـيرة عـلى اليمـين، قُدّامهـا شـيزلونج خشـبي شـكله مُميـز، الغُرفـة كانـت مُنظمّـة جـدًا، بالظبـط زي حيـاتي السـابقة، وكأنّهـا آخـر مـا تبقـى منهـا، اتحركـت ناحيـة المكتـب، قلعـت الجاكتـة وعلّقتهـا عـلى الكُـرسي، وبعديـن قعـدت



وولّعـت سـيجارة، سـحبت نَفَـس طويـل ورجّعـت راسي لـورا، فضلـت ثابـت علـى نفـس الوضـع للحظـات، وبعديـن بصّيـت عـلى المكتـب، لقيـت الملفـين الـلي يخصـوا الحالتـين بتـوع النهـاردة، سـحبتهم ناحيتـي وبـدأت أتصفـح فيهـم، حالـة السـاعة 12، لسـيدة في مُنتصـف الثلاثينـات، تُدعـى ناديـة الجوهـري، حاصلـة عـلى دكتـوراة مـن إنجلـترا، وتعمـل دكتـورة جامعيـة في كليـة العلـوم جامعـة القاهـرة.

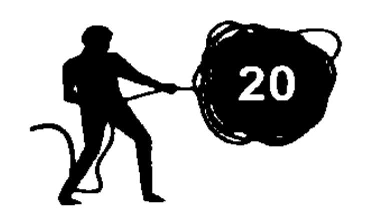
الحالة الاجتماعية: مُطلّقة.

سبب الزيارة: اكتئاب سببه فشل الزواج..!

البـاب خبّـط، و"دُعـاء" دخلـت وفي إيدهـا كوبايـة القهـوة، بلغتنـي إن حالـة السـاعة 10 قاعـد بـره، وسـألتني أدخلـه ولا لأ، بصّيـت في سـاعتي، كان جـاي بـدري 5 دقايـق، شـكرتها عـلى القهـوة الـلي سـابتها عـلى المكتـب، وقُلـت لهـا تخليـه يُدخـل، مسـكت الملـف بتاعـه عشـان أبُـص عليـه، واسـتغربت جـدًا، ماكنـش فيـه أي حاجـة مكتوبـة في خانـة الاسـم، ولا السـن ولا المهنـة ولا الحالـة الاجتماعيـة، ماكنـش مكتـوب غـير سـبب الزيـارة، قريـت السـبب في نفـس اللحظـة الـلي خبّـط فيهـا عـلى البـاب ودخـل، كان مكتـوب:

"مُحاولة الانتحار باستخدام آلة حادة"

❋❋❋





10:00 صباحًا..

عيـون بُنيّـة بَصّـة للفـراغ، شـفايف بيضـاء، شـعر ناعـم غـير مُرتـب مـع وجـود بعـض علامـات الصلـع في الجانبـين، ملامـح حـادة، قـد تكـون مُخيفة، رعشـة مُنتظمـة في اليـد اليُـسرى كان بيحـاول يسـيطر عليهـا، وضـمادة طبيـة محاوطـة السـاعد الأيمـن، مـما يـدل عـلى إن مُحاولـة الانتحـار كانـت عـن طريـق قطـع الشرايـين، كان لابـس هـدوم المُستشـفى، فـ فهمـت إنـه نزيـل جديـد عندنـا، وكان قاعـد وهـو محنـي ضهـره، وكأنّـه مـش مرتـاح في قعدتـه..

- "إنت.. قاعد كويس؟ مرتاح يعني؟"

سـألته بصـوت هـادي، فهـز راسـه بالإيجـاب، مدّيـت إيـدي لعلبـة السـجاير، طلّعـت سـيجارة، وبعديـن سـألته:

- "بتدخن؟"



هز راسه بالنفي، حطّيت السيجارة بين شفايفي وولعتها وأنا بقوله:

- "طـب لـو مـش هيضايقـك اسـمح لي أولـع سـيجارة، أصـلي مُدخـن شره بعيـد عنـك"

مَردّش، ومهزش راسه، بصّيت على الملف بتاعه وبعدين قُلت له:

- "بــس غريبــة يعنــي إنّــك مــش ذاكــر أي معلومــات عنّــك في الملــف بتاعـك، لا اسـمك ولا وظيفتـك، خلينـا نبتـدي بالراحـة كـده وقـول لي، اسـمك إيـه؟"

مردّش..

- "طب سنّك، حالتك الاجتماعية"

مـردّش برضـو، اسـتفزني، ماكُنتـش قـادر أحـدد هـو بيمثـل ولا حالتـه مُتقدمـة فعـلًا، لقيـت نفـسي بسـأله فجـأة:

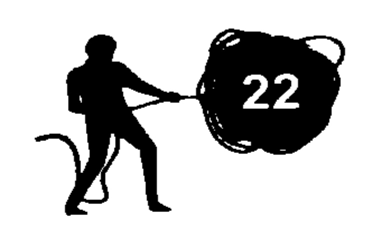
- "إنت جاي هنا ليه؟!"

حواجبـه اتحرّكـت للحظـة، بـس فضـل سـاكت، قُلـت لـه في شيء مـن اللُطـف:

- "شـوف، أنـا مـش هعـرف أسـاعدك وإنـت سـاكت كـده، لازم تسـاعدني عشـان أقـدر أسـاعدك، فــ يـا ريـت تـرد عـلى سـؤالي، بعـد إذنـك، إنت.. هنـا.. ليـه؟"

شــفايفه اترعشــت، فضــل ســاكت للحظــات، وبعدهــا لقيتــه بيقــول بصــوت مبحــوح:

- "أنا.. مش عارف أنا هنا ليه!"



بصّيت له في نفاذ صبر، خدت نَفَس من السيجارة ونفخته الناحية التانية، وبعدين وجهت كلامي له وقُلت:

- "مفيش حاجة اسمها مش عارف، إنت جاي لسبب، والسبب ده أنا محتاج أعرفه.."

- "عشان.. عشان مش عارف.. أنا هنا ليه!"

قاطعني وقال جُملته الأخيرة وهو بيبُص لي للمرة الأولى من ساعة ما دخل، بؤبؤ عينيه كان بيتحرك بعصبية وانتظام، فكرت في ردّه للحظة، وبعدين قُلت له:

- "تُقصد.. هنا في الدُنيا؟!"

هز راسه بالإيجاب، هزيت راسي أنا كمان عشان أحسسه إنّي فاهمه، وبعدين قُلت:

- "طيب، أنا يهمني برضو أعرف اسمك، على الأقل عشان أقدر أخاطبك بيه"

- "تقدر تقولي.. خالد."

- "خالد ده اسمك؟"

- "لأ"

- "طيب ليه مش عايز تقولي اسمك الحقيقي؟!"

- "مش هقدر، هبقى مرتاح أكتر لو مقولتوش"

سكت للحظة، وبعدين قُلت:



- "على العموم، ليك كامل الحُرية تخفي اسمك الحقيقي، لكن اللي هتحكيه عنّك لازم يبقى حقيقي، محتاج أعرفك، أعرف كُل حاجة إنت مرّيت بيها عشان تسأل سؤال زيّ.. إنت هنا ليه، ماشي يا.. خالد؟"

شفايفه اترعشت وكان هيقول حاجة، بس سكت، حاولت أطمنّه وقُلت له:

- "متقلقش، أنا مش هسألك عن مُحاولة انتحارك، هسيبك إنت تتكلم عنها وقت ما تحب، لكن دلوقتي، يهمني تتكلم عن نفسك، حياتك، علاقاتك العاطفية، طفولتك"

عينه لمعت لمّا ذكرت كلمة "طفولتك"، بص لي، وحسّيت إنّه تحمّس للفكرة..

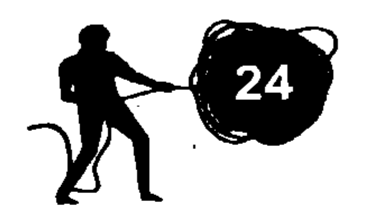
- "طفولتك، حابب نبتدي بطفولتك؟!"

هز راسه بالإيجاب..

- "عظيم جدًا، وأنا مُستعد اسمعك، يلا بينا؟"

دُست على زُرار التسجيل في الريكوردر، واستنيته يبدأ، بص لي في تردد، وفضل ساكت للحظات، خد نفس عميق بعدها، وابتدا يتكلم..

***



- "بُصّي يا ماما، فراشة، فراشة حلوة"

- "شاطر يا حبيبي، قول لي بقى الفراشة دي ألوانها إيه؟"

بص "خالد" للفراشة، سكت شوية عشان يجمّع الألوان في دماغه، وبعدين قال:

- "أحمر، وأصفر، واسود، و.. في لون مش عارفه"

- "ده بنفسجي يا خالد"

- "بـ... بفنـ..سجي؟"

ضحكت مامته بتلقائية، وبعدين قالت:

- "بنفسجي، ده يا حبيبي ميكس بين الأحمر والأزرق، فـ إدونا اللون الحلو ده"

- "بنفسجي، صح يا ماما؟"

- "صح يا حبيبي"

كان بيتلخبط كتير لمّا كان بينطق الكلمات، حقّه، ما هو كان لسّه بيتعلم الكلام وقتها، وبيكتشف كُل حاجة بشكل عام، الألوان، أحمر وأصفر و.. بنفسجي، الأشكال، مُربع ومُثلث ودايرة، الأحاسيس، الأمان والحُب والفرح، وكذلك الألم.. والحُزن.

ماكنش يتخيل أبدًا إنّه هيختبر الألم والحُزن بالقوة دي في سن صُغير زي اللي كان فيه، مُعظم الأطفال بيختبروا الحُزن عشان ماما مَرضيتش تعمل الأكلة اللي بيحبوها، أو عشان مَودتهومش الملاهي زي ما وعدتهم، أو عشان نسيت تجيب لهم لعبة جديدة وهيَّ راجعة من الشُغل..



لكـن مُعظـم الأطفـال مَختـبروش الحُـزن، عشـان مامـا قـررت مَترجعـش مـن الشُـغل، وراحـت حتّـة تانيـة، بعيـدة عـن خيـال أي طفـل، أي طفـل مهـمًا كان.

"خالـد" كان بيعيّـط جامـد وهـو بيشـدّ باباه مـن بنطلونـه، في طريقهـم لبيـت خالتـه، باباه كان شـارد ومـش مركـز معـاه خالـص، مَنتبهـش لِيـه إلا لمّـا صرّخ فيـه وقـال:

- "رد عليا بقى، ماما فين؟ ماما راحت فين؟!"

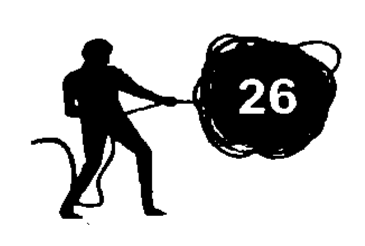
- "إحنـا إتكلمنـا في الموضـوع ده وانتهينـا خـلاص يـا خالـد، قُلـت لـك مامـا راحـت عنـد ربنـا"

- "يعني إيه راحت عند ربنا؟ لأ، قولها تيجي تاني، مَتخليهاش تروح."

باباه ماكنـش قـادر يـرُد عليـه، ولا حتّـى كان قـادر يبُـص لـه، عينيـه كانـت فيهـا كـسرة غريبـة، مَشـفهاش في باباه قبـل كـده، كانـت مليانـة دمـوع بـس مسـمحلهاش تنـزل، سـحب "خالـد" مـن إيـده لمدخـل شـارع ضيّـق، عشـان يشـوف خالتـه واقفـة في الشـبّاك، وبتشـاور لهـم في حُـزن..

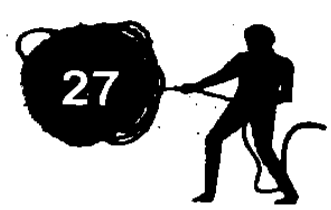
سـنين عـدّت، كـبر فيهـم "خالـد" وهـو عايـش في بيـت خالتـه، بعـد مـا باباه قـرر يسـافر يشـتغل بـرّه، ويسـيبه مـع خالتـه وجوزهـا، "خالـد" كان متعلـق بباباه جـدًا قبـل مـا يسـافر، فكـرة إنّـه يسـيبه ويمـشي هـو كـمان كانـت مرفوضـة بالنسـبة لـه، وكان لسـان حالـه بيقـول.. "طـب عـلى الأقـل مامـا لمّـا مشـيت ماكنـش بإرادتهـا، لكـن هـو، يمـشي ويسـيبني ليـه؟ ليـه مياخُدنيـش معـاه!"

أسـباب والـده مَكانتـش كفايـة بالنسـبة لـ"خالـد"، كان عايـزه يفضـل في بلـده، ويـتربّى فيهـا بـدل مـا يـتربّى في الغُربـة، والـده



كان فاهم الغُربة غلط وقتها، وبرغم إن "خالد" كان لسّه صُغير، إلا إنّه قدر يُدرك معنى الغُربة لمّا أبوه سافر وسابه.. "الغُربة مش بُعد عن الأرض" قال لنفسه "الغُربة بُعد عن الوطن، والوطن مفهومه أكبر بكتير من حدود وتُراب وعَلَم ونشيد، الوطن مُمكن يكون ناس بنحبّهم، قلوب اتعلقنا بيها وبقت جُزء مننا، ولمّا سابونا، حسّينا بمعنى الغُربة."

"خالد" عُمره ما قدر يعتبر خالته وجوز خالته في مقام أمّه وأبوه، لإنّهم مقدروش يحسسوه بده، خالته كانت مشاعرها جامدة، إحساس الأمومة عندها ماكنش عالي، يمكن لإنّها مخلّفتش، ويمكن لإن اهتمامها الأكبر كان بجوزها اللي كان بيخونها طول الوقت، "خالد" كان عارف إنّه بيخونها، هيَّ كانت عارفة إنّه بيخونها، وهو كان عارف إنّها عارفة، بس محدش فيهم كان بيتكلم عن الموضوع، وكأن في اتفاق ضمني ما بينهم هُمّا التلاتة إن الكلام في الأمر ده غير مُباح، كانوا دايمًا بيتخانقوا، خالته وجوزها، بس خناقهم كان دايمًا بيتغلف بمشاكل تانية، زي مصروف البيت والتأخير برّه، زيّ الأكل اللي اتأخر والبيت اللي مَتنضفش، خناقات طول الوقت، مليانة زعيق وغضب وكراهية، ما تذكرش فيها ولا مرة لفظ الخيانة، وكأن تفريغ الغضب والمشاعر هو المطلوب، مش مُحاولة إنّهم يلاقوا حل، "خالد" ماكنش شايف غير حل واحد، إن خالته تتطلق، بس خالته كانت بتفكّر بشكل مُختلف، تتطلق تروح فين؟ تعيش إزّاي؟ خالته ماكنش معاها مؤهل عالي عشان تشتغل بيه، ومش بتعرف تعمل حاجة غير.. خدمة جوزها، ولا كان معاها عيّل تتحامى فيه لمّا تكبر، خالته كانت بتخاف من المُخاطرة، ومن المجهول، ويمكن ده اللي كان مصبّرها على الوضع اللي كانت عايشة فيه، أمّا جوزها فـ كان مرتاح كده، يُخرج ويعرف ستات



أشـكال وألـوان، ويرجـع يلاقـي واحـدة قاعـدا لـه في البيـت، بتعمـل لـه الأكل، بتنضـف لـه هدومـه، ويـوم لمّـا الجنّونـة تركبهـا وتقـرر تتخانـق، يعـلي صوتـه عـلى صوتهـا، ويهددهـا بالمـصروف والطـلاق، مـش بعيـد كـمان يمـد إيـده عليهـا ويضربهـا، عشـان تعـرف مقامهـا وحجمهـا.

كـبر "خالـد" في بيـت مافيهـوش أدنى قـدر مـن المحبـة والاهتـمام، بعـد مـا أبـوه سـافر واتقطعـت أخبـاره، وبرغـم إنّـه فعليًـا ماكنـش بيحـس ناحيـة خالتـه وجـوز خالتـه بـأي شيء، ولا حتّـى مشـاعر الشـفقة، إلا إنّـه كان سـعيد جـدًا إنّهـم مخلفـوش، عشـان مايكتبـوش عـلى فـرد آخـر الشـقاء معاهـم، كفايـة هـو، وابتـدا يكـوّن قناعـات عـن الارتبـاط، وعـن الجـوّاز، وعـن الإنجـاب، كان بيكـبر كُل يـوم والقناعـات دي كانـت بتكـبر معـاه، وبتتأصـل جـوّاه، كان مُعتقـد إن مَفيـش شيء في الدُنيـا هيقـدر يغـيّر أي قناعـة منهـم، لحـد مـا قابـل...

سارة..

***

بصيت له باهتمام، وقُلت له:

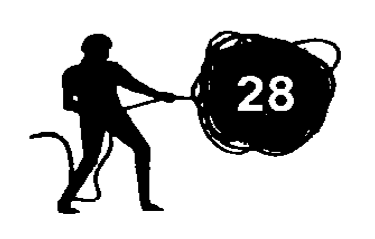
- "مين سارة؟"

- "مراتي"

عيني راحت على إيده الشمال، وبعدين قُلت:

- "بس أنا مش شايف دبلة في إيدك الشمال"

إيـده بطلـت تترعـش فجـأة، ولقيتـه بيبتسـم، مـن غـير مـا يـرُد، بصيـت لـه بشـك، وبعديـن قُلـت:



- "خالد؟"

- "أيوة"

- "سارة.. شخص حقيقي، مش كده؟"

ضحك بانفعال، وبعدين قال:

- "إيه يا دكتور؛ إنت فاكرني مجنون ولا إيه؟ لأ.. أنا مش مجنون، أنا شخص جاي يتعالج من الاكتئاب، ومن مُحاولة انتحار بسبب ظروفه ومشاكله، لكني مش جاي اتعالج من وساوس أو خيالات، سارة.. هيَّ أهم حقيقة في حياتي، تحب تعرف عنها أكتر؟"

- "تحب إنت تتكلم عنها؟"

- "أحب جدًا"

- "وأنا سامعك"

سكت للحظة، بص فيها على السيجارة اللي في إيدي، وبعدين قال:

- "مُمكن... أطلب منك طلب قبل ما أكمّل؟!"

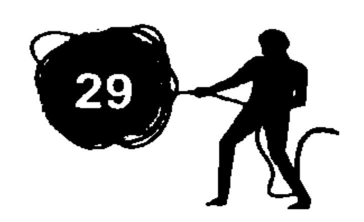
- "أكيد... أي حاجة يا خالد!"

- "مُمكن.. مُمكن تطفي السيجارة؟ أنا بقالي فترة مبطل و.. بقيت بتخنق من ريحة الدُخان"

بصيت له للحظة، اتضايقت من نفسي فيها عشان حسسته بعدم الراحة، طفيت السيجارة فعلًا، وبعدين قُلت له بلهجة مُعتذرة:

- "معلش يا خالد، أعذرني"

- "ولا يهمك، ولا يهمك يا دكتور"



سكت شوية ، ابتسم وكأنّه بيفتكر ذكرى غالية عليه،، ربّع إيديه ومال لقُدّام، وبعدين قال:

- "البداية يا دكتور، كانت في الجامعة"

***

- "تُقصد إيه؟"

- "اللي سمعتيه، أنا مش هقدر أكمّل"

- "بس... بس أنا مش هقدر أبعد عنّك"

- "كُلّنا بنقول كده في الأول، وفي الآخر بننسى، صدقيني، إحنا مش مُناسبين لبعض"

نزلت على رُكبتها ومسكت إيد "خالد" بتوسل، والدموع مالية عينيها، كانت بتتنفس بصعوبة، بصّت له وقالت:

- "عشان خاطري، ما.. تبعدش، ماتعملش فيّا كده، أنا رسمت حياتي كُلّها عليك، لو إنت مابَقتش فيها، أنا.. أنا.."

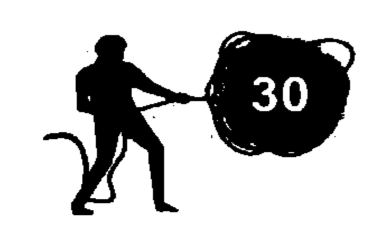
سكتت لحظة، مسحت فيها دموعها، وبعدين بصّت في اتجاه تاني وقالت:

- "معلش هو.. هو إحنا مُمكن نعيد من الأول؟"

زفر الجميع في قاعة المسرح، وعلى راسهم المُخرج، اللي وجّه كلامه ليها وقال:

- "يا سارة مش هينفع كده، دي سابع مرة نعيد نفس المشهد!"

- "معلش، أنا آسفة، كُل شوية بتلخبط وبنسى الديالوج"



بـص المُخـرج المُلقـب بالبروفيسـور أو "الـبروف" للمُسـاعد بتاعـه، وقالـه بصـوت واطي:

- "أُمّـال لـو كُنّـا عاملـين مسرحيـة لشكسـبير ولا نجيـب محفـوظ كانـت عملـت فينـا إيـه؟"

ابتسـم المُسـاعد بسُـخرية، في اللحظـة الـلي وجّـه المُخـرج كلامـه فيهـا للكاسـت وقـال:

- "خـلاص يـا شـباب ناخُـد ريسـت، قُدامكـم سـاعة، عايـز نبقـى جاهزيـن بعدهـا، مـش عايـز أي عطلـة، مـاشي يـا سـارة؟"

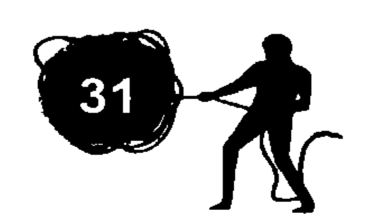
حسّـت بالإحـراج لإنّـه وجّـه الـكلام ليهـا بشـكل مُبـاشر، بصّـت حواليهـا ولقـت الكاسـت كُلّـه بيبُـص عليهـا، عينيهـا جَـتْ في عـين "خالـد" الـلي حـاول إنّـه يتفاداهـا عشـان مايحسسـهاش بالضغـط أكـتر مـا هـيَّ مضغوطـة، بـس معرفـش، بصّـت للمُخـرج مـرة تانيـة وبعديـن هـزّت دماغهـا، في اللحظـة الـلي بعدهـا اِبتـدا الـكُل يمـشي، فضلـت واقفـة مكانهـا شـوية، بتبُـص للمسـرح الكبـير مـن عـلى الخشـبة، اتنهـدت بعـدم ارتيـاح، وبعديـن اتحركـت للكواليـس عشـان تاخُـد شـنطتها، لقـت "خالـد" واقـف هنـاك بيجمّـع حاجتـه هـو كـمان، ابتسـمت لـه بتكلـف مـن كُـتر مـا كانـت متضايقـة مـن الـلي حصـل، ابتسـم لهـا هـو كـمان، وبعديـن قـال:

- "سارة مش كده؟"

- "ده رابـع يـوم نعمـل فيـه بروفـة سـوا، معقولـة لسّـه محفظتـش اسـمي؟!"

- "أعذريني معلش، بفتكر اسم الشخصية أكتر"

ضحكت بانفعال، وبعدين قالت:



- "شخصية! هيَّ فين الشخصية دي؟ دي مسرحية تعبانة يا ابني، بناء الشخصيات زيّ الزفت والديالوج مُفتعل و..."

قاطعها فجأة..

- "على فكرة، أنا اللي كاتب المسرحية دي"

صدمها بجُملته، بان عليها الإحراج أكتر، ضغطت على سنانها للحظة، وبعدين قالت:

- "أنا.. مقصدش إنها وحشة أوي يعني"

ضحك "خالد"، وبعدين قال:

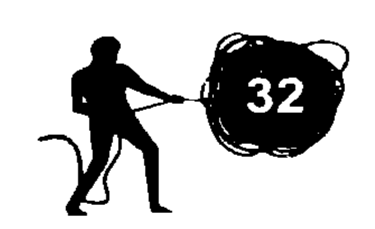
- "ولا يهمك، أنا عارف إنّك متُقصديش، وعارف برضو إنّها مش أحسن حاجة مُمكن تتعمل، بيني وبينك، أنا مَليش في الكتابة أوي، ليّا في التمثيل أكتر، بعشقه"

ابتسمت، وقالت له:

- "على فكرة إنت شاطر جدًا في التمثيل، ومش بقولك كده عشان لغبطت في كلامي عن المسرحية، لأ بجد، بتمثل حلو"

ابتسم، وهز دماغه عشان يعبّر عن امتنانه، وبعدين قال:

- "إنتي كمان بتمثلي حلو على فكرة"
- "أيوة أيوة"
- "مش بهزر، كفاية الكدمة اللي تحت عينك، ده دليل على تقمُصّك للشخصية "
- "إيه؟!"



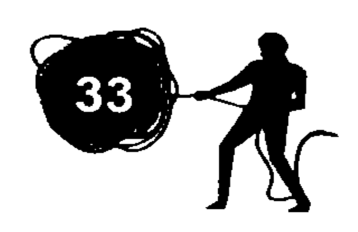
- "الكدمـة الـلي تحـت عينـك، خليتـي الميـك أب أرتيسـت تعملهالـك عشـان المشـهد الـلي المفـروض هضربـك فيـه، مـش كـده؟"

ارتبكـت للحظـة، حطّـت إيدهـا عـلى عينهـا، وبعديـن ابتسـمت وقالـت بسُخرية:

- "آه، كده، أنا مولودة على خشبة مسرح أصلًا يا ابني"

ضحكـوا هُـمّا الاتنـين، شـال "خالـد" شـنطته عـلى كتفـه، اسـتأذنها، واتحـرك بـرّه الكواليـس، فضلـت "سـارة" تراقبـه وهـو بيبعـد، ومـع كُل خطـوة كان بيخطوهـا كانـت ابتسـامتها بتختفـي، واحـدة واحـدة، وأول مـا خـرج مـن المـسرح، حطّـت إيدهـا عـلى عينهـا، بالراحـة عـلى قـد مـا قـدرت، ومـع ذلـك اتوجعـت، ومقدرتـش تمنـع نفسـها مـن إنّهـا تعيّـط.

في الفـترة دي مـن عُمـره، "خالـد" كان مُندمـج في حيـاة الجامعـة، وبرغـم طبيعتـه الانطوائيـة في البيـت، إلا إنّـه كان اجتماعـي جـدًا هنـاك، كان سـهل بالنسـبة لـه يكـوّن صداقـات ويتعـرف عـلى نـاس جديـدة، حضـوره كان خفيـف وأغلـب الوقـت بيبتسـم وبيضحـك، كان بيحـاول يهـرب مـن أزماتـه النفسـية ومشـاكله بالطريقـة دي، ويمكـن الـلي خـلاه يُدخل مـسرح الجامعة مـن الأسـاس، إنّـه عايـز يهـرب مـن حياتـه ويعيـش حيـاة حـد تـاني، حتّـى لـو كان مُجـرد شـخصية في عمـل مسرحـي، الموضـوع كان بيفـرق معـاه فعـلًا، بـس مـش لوقـت طويـل، لإنّـه في النهايـة كان بيضطـر يرجـع البيـت، ويُدخـل أوضتـه ويقفـل عـلى نفسـه، ويرجـع تـاني وحيـد، بيسـمع خناقـات خالتـه وجوزهـا مـن ورا البـاب، وبيحـاول ميتأثـرش بيهـا، وميفكـرش في كُل حاجـة تسـببت في إنّـه يبقـى في الوضـع ده، ولكـن هيهـات، الوحـدة كفيلـة إنّهـا تصحّـي كُل الجـروح المقفولـة، كان كُل الـلي بيفكـر فيـه وقتهـا إنّـه لوحـده، وإنّـه بيتعـذب بالشـكل المُبالـغ فيـه ده بسـبب إنّـه لوحـده،

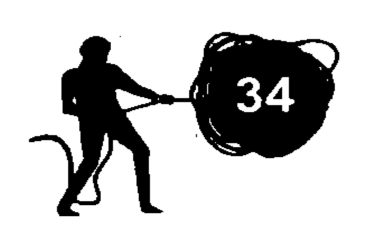


معندوش حد يسمعه، يُحضنه، يهوّن عليه أوجاعه ومشاكله، وفي نفس الوقت، كان صعب عليه يفتح الباب لحد، خوفه من الفشل والفقد كان أكبر بكتير من إنّه يسمح لحد يُدخل حياته ويعرف تفاصيلها..

"أكيد مش هيستحمل!" كان بيقول لنفسه "مَفيش حد طبيعي يقدر يستحمل عُقدي والكلاكيع اللي جوايا، بمُجرد ما الابتسامة تتمحي، ونفسي الحقيقية تظهر على السطح ويشوفها، هيهرب، أكيد هيهرب، ولو حصلت مُعجزة وفضل، أبقى حكمت عليه بالتعاسة من اللي هيشوفه منّي!"

"خالد" كان مُقتنع إن مَفيش إنسان طبيعي هيقدر يتحمله، وفضل مُقتنع بده لفترة كبيرة جدًا، لحد ما "سارة" دخلت حياته..!

وده حصل تحديدًا بعد نجاحه في مسرحية الترم الأول، المُخرج انبسط منّه جدًا وعرض عليه دور البطولة في مسرحية الترم التاني "خالد" فرح جدًا، وبعدها عرف بالصُدفة إن المُخرج لسّه ما استقرش على مسرحية بعينها، فـ فرح أكتر، وعرض عليه قصة من القصص اللي كان بيكتبها في وقت فراغه، ولدهشته، رحّب بيها المُخرج ووافق عليها، ماكنش يعرف وقتها إن المُخرج كان عايز أي حاجة يعملها وخلاص، عمل المُعالجة، وإبتدا يختار المُمثلين، عشان يُقع اختياره على "سارة" إنّها تلعب دور البطولة مع "خالد"، العلاقة اللي اِبتدت على خشبة المسرح بكلام حافظينه وبيردده، وبعدين اتحولت للكواليس عشان يبدأ بينهم أول كلام حقيقي، ويحس "خالد" بشيء من الألفة والراحة معاها، كان طبيعي يبقوا صُحاب، نظرًا لإنّهم كانوا بيمثلوا مع بعض وبيقضّوا أغلب الوقت سوا، ونظرًا لإن "خالد" كان اجتماعي في الجامعة وبيتصاحب على أي حد، بس الغريب في الموضوع إن "خالد" علاقته



كانت سطحية جدًا بـ أغلب صُحابه إن ماكنش كُلّهم، علاقات قايمة على الضحك والهزار، الأكل في كافيتيريا الجامعة، مُساعدة بعض في أمور الدراسة، لا أكثر ولا أقل، لكن مع "سارة" الموضوع كان مُختلف، "خالد" كان بيحس إنّه مرتاح معاها دونًا عن غيرها، عايز يعرف عنها أكتر، ولمّا كان بيحاول يقاوم إنّه يتعمق معاها كان بيحس بصعوبة بالغة، كان مستغرب ليه بيحس بكده معاها هيَّ بالذات، أوقات كان بيحس إنّه خلاص هيضعف، وهيسألها عن أحوالها ويحكي لها عن نفسه أكتر، بس كان بيلحق نفسه على آخر لحظة..

"افتكر يا خالد" كان بيقول لنفسه، "مَفيش إنسان طبيعي هيقدر يستحملك."

بس اللي ماكنش يعرفه وقتها، إن "سارة" كانت زيّه بالظبط، مش إنسانة طبيعية.

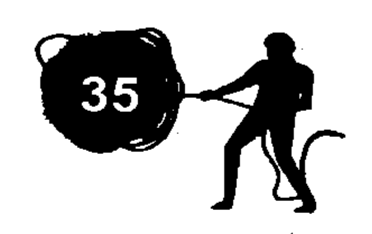
***

- "يلا يا خالد متأخرين، عايزين نخلص المشهد ده النهاردة"

بص "خالد" على خشبة المسرح عشان يلاقي بنت تانية غير "سارة" واقفة عليه، المُمثلة البديلة، واللي بتقوم بدور "سارة" في حالة غيابها أو تأخرها، استغرب جدًا، قرّب من المُخرج وسأله:

- "أمّال سارة فين؟! مش عوايدها ماتجيش أو تتأخر!"

- "جات يا سيدي واعتذرت، بتقول مش هتقدر تشتغل النهاردة، تعبانة"



قلبه اتهز للحظة لمّا سمع الكلمة الأخيرة، حاول مايبيّنش تأثره وقال:

- "تعبانة مالها؟!"

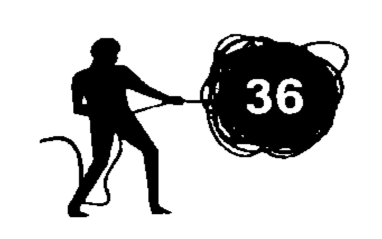
- "عملت حادثة بسيطة كده وهيَّ جاية الجامعة بالعجلة النهاردة، وقعت على وشّها واتعوّرت، أنا مش فاهم إيه البنات اللي بتركب عجل دي؟! هو إحنا ناقصين؟"

مَرضيش "خالد" يعلّق على جُملته الأخيرة، اللي استفزته جدًا، ومَرضيش برضه يبيّن قلقه وانزعاجه من اللي حصل لـ "سارة" قُدّام المُخرج، إلا إنّه كان غضبان وشايط من جُوّاه، يمكن لأول مرة يحس بالخوف والقلق بالشكل ده على حد غير نفسه، كان هاين عليه يسيب المسرح ويروح يتطمن عليها، بس دي كانت هتبقى حاجة غريبة، لإنّهم مش صُحاب للدرجة يعني، حاول يُطرد المخاوف دي وطلع على المسرح، حاول يركز في الديالوج، حاول ينسى "سارة"، بس معرفش، أداءه ماكنش قد كده، تركيزه كان شبه مُنعدم، ودماغه كانت بتفكر في حاجة واحدة بس..

"سارة"

بعد وصلة توبيخ مُعتبرة من المُخرج للكاست كُلّه، وإعلانه إنّه مش هيكمّل البروفة بالأداء ده، خرج الكاست من المسرح، ما عدا "خالد" اللي اتأخر كعادته في لم حاجاته، وهو خارج سمع حد بيعيّط بصوت واطي جدًا على السلم الداخلي المؤدي للدور التاني للمسرح، فضل

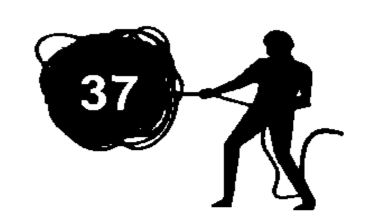
واقف للحظة عشان يركز في الصوت، وفضوله دفعه إنّه يطلع على درجات السلم بالراحة، عشان يعرف مصدر الصوت ده إيه..



الفضـول هـو السـبب في كُل حاجـة جميلـة، غريبـة، جديـدة، بتحصـل في حياتنـا.. بالفعـل، لـولا الفضـول، ماكنـش الإنسـان اختـبر واحـد مـن أعظـم الأحاسـيس في الحيـاة.. إحسـاس الاكتشـاف، وتجربـة شيء جديـد لأول مـرة.

وصـل "خالـد" لآخـر درجـة في السـلم، عشـان يلاقـي "سـارة" قاعـدة على السـلّم المُقابـل، سـاندة ضهرهـا عـلى الحيطـة، مايلـة لقُـدّام، ضَمّـة رجليهـا الاتنـين بإيديهـا، وسـاندة براسـها عـلى رُكبهـا، وضـع يشـبه للوضـع الجنينـي، بيميـل ليـه الإنسـان في أوقـات التعـب الشـديد، لشـعوره بإنّـه عايـز يرجـع لبطـن أمّـه مـرة تانيـة، أو لإن الوضـع ده أقـرب مـا يكـون للعنـاق، وكأنّـك بتُحضـن نفسـك، وبتطبطـب عليهـا، "سـارة" كانـت بتعيّـط في اللحظـة الـلي انتبهـت فيهـا لوجـود "خالـد"، رَفَعِـت راسـها بالراحـة وبصّـت لـه، وفي اللحظـة دي "خالـد" كان حاسـس إنّـه بيشـوفها وبيتأملهـا لأول مـرة، أول مـرة عـلى الإطـلاق، عيونهـا البُنيّة الواسـعة، شـعرها الإسـود التقيل، شـفايفها الرُفيعـة، وجسـمها الصُغـير، رفعـت راسـها أكـتر عشـان يشـوف علامـات مـن اللـون البنفسـجي مُنتـشرة في وشّـها، قلبـه وجعـه، مقـدرش يخفـي تأثـره من شـكلها، اعتدلِـت في جلسـتها ومـدّت إيدهـا ناحيـة وشّـها بشـكل لا إرادي عشـان تمسـح دموعهـا، وبمُجـرد مـا إيدهـا لمسـت وشّـها اتوجعِـت، فنزّلـت إيدهـا مـرة تانيـة، وبصّـت في الأرض، فضلـوا سـاكتين شـوية، وبعديـن قالـت بطريقـة سـاخرة شـوية:

- "عارفـة هتقـول إيـه، البنـات مَبتعرفـش تسـوق لا عربيـات ولا حتّـى عَجَـل، عـلى فكـرة بقـى أنـا بعـرف أسـوق عَجَـل كويـس جـدًا، سـواق الميكروبـاص الغبـي هـو الـلي كـسر عليـا و.. "
- "ماكُنتش هقول كده"



قاطعها "خالد" بنبرة حاول يظهرها مُتماسكة، بصّت له، فابتسم لها بلُطف، اتحرك بهدوء ناحيتها وقعد جمبها على السلم، ضم رجله وبص قُدّامه، سكت شوية، وبعدين قال بنبرة هادية:

- "عارفة؟"

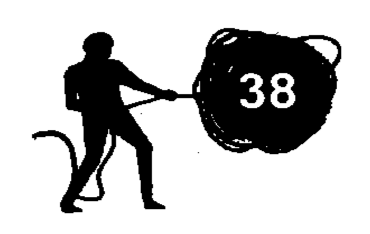
بصت له باهتمام، كمّل وقال:

- "أنا مبعرفش أسوق عَجَل، عُمر ما جات لي الفُرصة إنّي أتعلم، بابا ماكنش موجود عشان يعلمني، وماكنش بيبقى عندي الجُرأة إنّي أنزل وأتعلم مع العيال في الشارع، كُنت منطوي شوية، وكُنت بخاف، فكان أخري إنّي أتفرج عليهم من شبّاك الصالة، واراقب تقدمهم، من أول ما كانوا بيحُطّوا السنّادات، لحد ما وصلوا إنّهم يرفعوا بالعجل حُصان ويجروا بيه على عجلة واحدة، كُنت براقبهم وبحاول اتخيل إحساسهم، خُصوصًا وهُمّا لسّه بيتعلموا، كُنت بشوف العيّل من دول وهو بيُقع الوقعة على وشّه، ويُقعد يعيّط وصُحابه يضحكوا عليه، أقول خلاص كده هياخُد عجلته ويروّح، بس كُنت بتفاجئ إنّه كان بيقوم تاني، ينفّض هدومه ويمسح دموعه، يعدل عجلته، وبعدين يركبها ويحاول مرة تانية، من الشبّاك شُفت عيال كتير بتتعلم ركوب العجل، وبيقعوا، وبيتعوّروا... "

بَص لها لقاها بتبُص له وهيَّ بتبتسم، فضل باصص لها للحظة، وبعدين كمّل بنفس الصوت الهادي وقال:

- "بس عُمري ما شُفت حد منهم متعوّر زيّ ما إنتي متعوّرة كده"

اتفاجئت، ابتسامتها اِبتدت تختفي بشكل تدريجي، كمّل وقال:



- "الكدمات دي تشبه للكدمة اللي كانت في وشّك أول يوم اتكلمنا فيه، لمّا افتكرت إنّك راسماها عند الميك أب أرتست عشان المشهد، الكدمات دي أنا واخد عليها وبشوفها كتير في بيتنا، ورغم إن خالتي بتحاول تداريها وهيَّ بتحُط لي الأكل، لكني باخُد بالي منها برضو، وبعرف إن خناقة إمبارح مع جوزها مانتهتش بالزعيق والشتيمة وخلاص، ولكن انتهت بعلامات أقوى، وأشد تأثيراً"

بصّت في الأرض، كانت أول مرة تحس إنّها متعريّة قُدّام حد، ولدهشتها، مَكانتش مكسوفة..

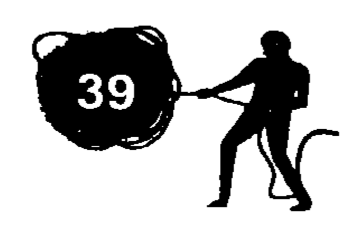
- "تحبي تتكلمي؟"

- "سيبَك"

ردّت بسُرعة ومن غير ما تبُص له، ماكنش عارف المفروض يعمل إيه دلوقتي، معذور، الموقف اللي حصله معاها ده كان أقصى درجات التواصل الإنساني بينه وبين أي حد، في حياته كُلّها متكلمش مع حد بالشكل ده، ومهتمش لألم حد زيّ ما اهتم لألمها، فضلوا ساكتين لدقايق، مَكانوش عارفين يقولوا إيه، حس إنّه مُمكن يكون حسسّها بعدم الارتياح، فقرر ينسحب، قام بهدوء وهو بيقول:

- "ماشي، لو.. لو حسيتي إنّك عايزة تتكلمي يعني، فأنا.. أنا هحب اسمعك"

بصّت له، كانت هتقول حاجة، بس سكتت، ابتسم لها، ولف عشان ينزل السلّم، اتحرّك خطوتين، وابتدا يفكر إنّها كانت فكرة سخيفة جدًا، إنّه يطلع وراها ويتدخل في حياتها بالشكل ده..



"إيه يا خالد؟" قال لنفسه، "إيه اللي إنت عملته ده؟! إنت مين عشان تكلمها في حاجة شخصية زي دي؟! تخيّل نفسك مكانها، ترضى حد يسألك على حاجة تُخصك كده؟! أكيد هيَّ مش مرتاحة دلوقتي، والموضوع هيبقى سخيف بينك وبينها بعد كده على المسرح، أكيد مش هتيجي المسرح تاني وهتتحاشى إنّها تقابلك و.."

- "أنا.. بكرهه"

قالت الكلمة الأخيرة قبل ما ينزل بلحظة واحدة، اتسمّر مكانه وبص لها وهو بيحاول يستوعب اللي قالته، بصت له بنظرة كُلّها وجع، ووجهت دفّة الحوار لحتّة تانية خالص:

- "وإنت؟ بتكره جوز خالتك؟"

فضل ثابت للحظة، وبعدين هز راسه بالسلب، استغربت، ضمّت حواجبها وسألته:

- "فعلًا! مبتكرهوش؟"

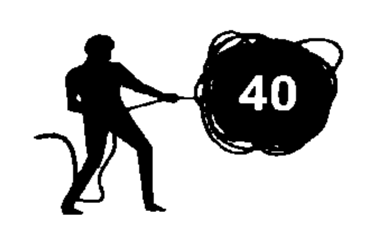
- "لا بكرهه ولا بحّبه، مش بحس ناحيته بأي حاجة، وخالتي برضو"

- "ليه؟"

بص للسقف وفتح بُقّه عشان يُرد، وبعدين شرد للحظة، فكّر في السؤال اللي كان لسّه بيسأله لنفسه من لحظات..

"ترضى حد يسألك على حاجة تخُصّك كده؟"

استغرب نفسه، لإنّه حس في اللحظة دي وهي بتسأله، إنّه راضي جدًا، ومَعندوش مُشكلة يجاوب..



- "متهيألي لإن الإهمال بيُقابل بإهمال، ماحسسونيش بأي حاجة من ناحيتهم وأنا صُغير، فكبرت وأنا مش حاسس ناحيتهم بأي حاجة برضو، كُنتي.. كُنتي تُقصدي مين لمّا قُلتي بكرهه؟ أخوكي؟ جوز والدتك؟"

"أبويا"

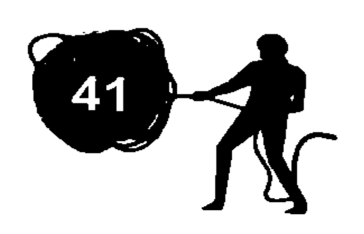
هزّيت دماغي بتفهم، وسكت وبصّيت في الأرض، سكتت شوية وبعدين قالت:

- "أو مبكرهوش، مش عارفة"
- "يمكن الاتنين مع بعض؟"
- "إزّاي؟"
- "أيام بتبقي كارهاه، زيّ النهاردة مثلًا، وأيام تانية لأ"
- "أيوة، مُمكن"

سكتوا تاني، وبعدين قالت:

- "بس.. عارف يا خالد إيه اللي أنا مُتأكدة منّه؟"
- "إيه يا سارة؟!"
- "إنّي.. إنّي عُمري ما حبّيته!"

هز راسه وابتسم بمرارة، وهو بيتخيل أبوه، اللي كان بيعشقه وهو صغير، قبل ما يقرر يتخلّى عنّه ويسافر، وتتقطع أخباره، عشان يبتدي إحساس الحُب ده يختفي من جُوّاه شوية شوية، لحد ما انعدم تمامًا، ومبقاش ليه وجود في قلبه..



بصّت له وقالت:

- "مُمكن أطلب منّك طلب؟"
- "أكيد يا سارة"
- "مُمكن ما.. تمشيش؟"

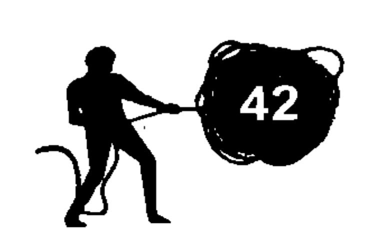
السؤال صدمه وخوّفه، مفهمش تُقصد إيه من الوهلة الأولى، بان عليه الاستغراب، فلحقته وقالت:

- "أقصد.. مُمكن تفضل قاعد معايا يعني؟ لو مش وراك حاجة أو كده"

فضل ساكت للحظة، فحسّت بالندم لإنّها قالت الجُملة الأخيرة، رجعت في كلامها بسُرعة وقالت:

- "أنا آسفة، خلاص لو وراك حاجة أو مش عايز، أنا كده كده كُنت شوية وهقـ.."
- "لا لأ.. عايز.. أكيد عايز"

بصّت له، في اللحظة اللي اتحرك فيها ناحيتها مرة تانية، وقعد جمبها، فضلوا ساكتين لوقت طويل، فكّر إنّه يعمل حاجة، عُمره ما عملها قبل كده، بس كان خايف، كان خايف لا يتفهم غلط، وفي نفس الوقت كان حاسس إنّه عايز يعملها جدًا، وإنّها محتاجة ده منّه جدًا، فضل مُتردد لوقت طويل، لحد ما في النهاية قرر يتشجع، خد نَفَس عميق، وطلّعه بالرّاحة، ومد إيده بهدوء، ولمس إيدها بأطراف صوابعه، وفجأة، إحساس بالكهربا سرى في جسمه وجسمها في نفس اللحظة، كانت أول مرة يلمس إيد بنت، كانت أول مرة ولد يلمس إيدها بالشكل ده، مد إيده أكتر ومسك إيدها، تلاقت الكفوف لأول



مـرة، بـص لهـا، وحـاول يطمّنهـا بنظراتـه، ولدهشـتها، حسّـت بالطمأنينـة للحظـة، وللحظـة تانيـة بعدهـا، حسّـت إنّهـا مرتاحـة جـدًا وهـو باصـص لهـا بالشـكل ده، وإيـده حاضنـة إيدهـا، وكأن.. وكأن كُل الآلام الـلي كانـت حاسّـة بيهـا مـن شـوية، اندثـرت تمامًـا، ومَبقالهـاش وجـود.

لإننـا _في الحقيقـة_ مـش موجوديـن عشـان نمنـع أذى الدُنيـا عـن بعـض، كـده كـده الدُنيـا هتفضـل تحـاول تئذينـا، لكـن الـلي نقـدر نعملـه، إننـا نهـون أذيتهـا دي عـلى الـلي بنحبّهـم، إننـا نكـون دايمًـا موجوديـن، بنسـمع، بنطبطـب، وبنهتـم بيهـم بجـد، مـن قلبنـا.

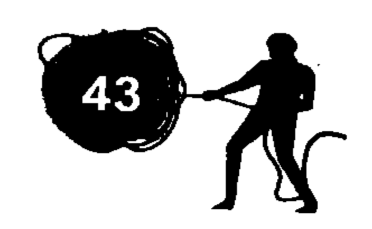
***

"خالـد" ماكنـش نـاوي يدخّـل حـد حياتـه مهـما حصـل، "سـارة" مكانتـش ناويـة تدخّـل حـد حياتهـا برضـو، "خالـد" عـانى في طفولتـه وشـبابه مـن أمـور كتـيرة خلّتـه يفقـد الثقـة في النـاس والحُـب والمعـاني الجميلـة في الحيـاة، "سـارة" كـمان عانـت للدرجـة الـلي تخليهـا تفقـد الأمـل في كُل الحاجـات دي زيّ "خالـد" بالظبـط، دي كانـت الـشرارة الـلي خلّـت علاقتهـم تنـوّر أكـتر، فكـرة إن كُل واحـد فيهـم عـانى وداق الأمرّيـن في حياتـه، وفكـرة إن كُل واحـد فيهـم لقـى الـلي يحـكي لـه، ويفهمـه بجـد، لإنّـه اختـبر المُعاناة دي قبـل كـده..

والجميـل، إن محـدّش فيهـم كان مسـتني ده، ولا حـد فيهـم كان بيـدوّر عـلى الشـخص الـلي هييجـي ينتشـله مـن حُزنـه..

اتنين، شبه بعض، مُكتئبين من حياتهم، والاكتئاب جمّعهم سوا..

ودي.. كانت ميزته الوحيدة.



بس الغريب، والمعروف حتى بشكل علمي، إن الأقطاب المُتشابهة بتتنافر، والأقطاب المُختلفة هيَّ اللي بتنجذب لبعضها، يبقى إزّاي هُمّا انجذبوا لبعض بالشكل ده، مع إنّهم مُتشابهين؟

ده اللي "خالد" كان بيسأله لنفسه في الوقت ده، كان فاكر إنّه لمُجرد إنّهم عانوا من نفس المشاكل النفسية، يبقى ده معناه إنّهم مُتشابهين..

بس الحقيقة إنّهم كانوا قُطبين مُختلفين تمامًا، بكُل ما تحمله الكلمة من معنى..

لكنّهم مكانوش أدركوا ده لسّه، أصل في الأول وفي الآخر يعني هُمّا كانوا صحاب، صُحاب وبس. لحد ما جه اليوم اللي اكتشف فيه "خالد" حقيقة مشاعره ناحية "سارة"..

وإنّهم _قطعًا_ مش صُحاب وبس..

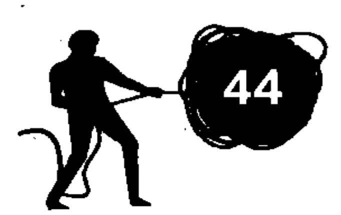
لأ. هُمّا أكتر من مُجرد صُحاب.

***

- "أنا عايز كُل واحد يبقى في مكانه يا جماعة، التركيز أهم شيء، إحنا بقالنا شهور بنتدرب وبنعمل بروفات عشان اللحظة دي، لازم تكونوا عارفين إن العرض في البروفات شيء وقُدّام الجمهور شيء تاني، أنا مش هقبل بأقل من مركز تاني، سامعين؟ إيه ده! هيَّ سارة فين؟"

- "لسّه ماجتش يا بروف، تحب أجهز بدالها؟"

ردّت المُمثلة البديلة على المُخرج بصوت فيه شوية فرحة، أمّا "خالد" فحس بشوية قلق لمّا سمع المُخرج بيرُد بعصبية وبيقول:



- "أنا كُنت عارف إنّي مش المفروض اعتمد عليها، مُمثلات آخر زمن، اجهزي يا ميرنا، بسُرعة يلا"

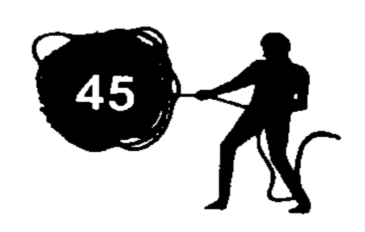
رد "خالد":

- "طب ما نستنّى يا بروف شوية، هي أكيد في الطريق يعني، أنا هكلمها أهو و.."
- "مَفيش وقت يا خالد مَفيش وقت! يلا، كُلّه يجهز، الستارة هترفع بعد رُبع ساعة"

اِنفض المجلس من حوالين المُخرج، ما عدا "خالد" اللي فضل واقف مكانه، كان قلقان على "سارة" جدًا، كلّمها كتير ومَكانتش بترُد، خاف لا يكون باباها عمل معاها مُشكلة قبل ما تنزل، ومنعها من النزول، يمكن يكون خد تليفونها كمان عشان كده مش عارفة ترُد، تصارعت الأفكار جوّه دماغه، وماكنش عارف يعمل إيه، لحد ما لقى المُخرج بيندهه فجأة:

- "خالد؟"
- "أيوة يا بروف"
- "إنت تمام؟ هتقدر تطلع ع الخشبة النهاردة؟"
- "إيه يا بروف السؤال ده! هي أول مرة يعني؟"
- "مقصدش، بس أصل أنا كُنت باخُد بالي في البروفات إنّك مش بتكون في كامل تركيزك لمّا.. لمّا سارة مابتبقاش موجودة"

سكت "خالد" للحظة، وبان عليه التوتر، كمّل المُخرج وقال:



- "لـو إنـت مـش جاهـز قـولي يـا خالـد، وهخـلي سـامح يطلـع مكانـك، هـو طبعًـا مايجيـش حاجـة في أداءك بـس.."

- "مـا تقلقـش يـا بـروف، أنـا تمـام صدقنـي، وبعديـن أنـا مُتأكـد إن سـارة هتيجـي وهتلحـق إن شـاء الله"

- "فاضـل عـشر دقايـق يـا خالـد، مَظُنـش إنّهـا هتلحـق، المُهـم عنـدي إن إنـت تبقـى جاهـز، مـاشي؟"

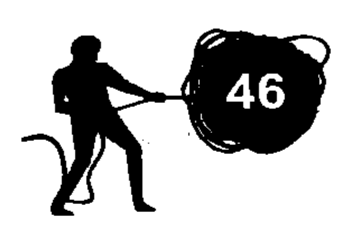
- "تمام، تمام حاضر"

- "أشوفك بعد العرض يا بطل"

خبـط عـلى كتفـه تشـجيعًا لـه، وبعديـن اِتحـرك، في اللحظـة دي قـرر "خالـد" يـرن عـلى "سـارة" للمـرة الأخـيرة، ولمّـا لقاهـا برضـو مابـترُدّش، قـرر يخـرّج الموضـوع مـن دماغـه..

"سـيبك يـا خالـد" قـال لنفسـه، "هـي أكيـد كويسـة، أكيـد محصلـش حاجـة، تلاقيهـا إتأخـرت زيّ عادتهـا، وهتوصـل على المشـهد بتاعهـا وهتلحق تعملـه معـاك، المُهـم دلوقتـي إنّـك تركـز، إنـت نـاسي إن ده حلمـك ولا إيـه؟ إنـت كُنـت مـن أحسـن المُمثلـين في العـرض الـلي فـات، ودلوقتـي جـه الوقـت عشـان تثبـت إنّـك أحسـن منهـم كُلّهـم، ومـين عـارف، مـش يمكـن العـرض ياخُـد مركـز؟ وإنـت.. تاخُـد جايـزة أحسـن مُمثـل؟"

شـحن "خالـد" نفسـه بالأفـكار الإيجابيـة دي، وقـف في الكواليـس وهـو شـايف السـتار بيترفـع والجمهـور بيسـقف، دخلتـه كانـت في المشـهد التـاني، بعـد خمـس دقايـق مـن دلوقتـي، خـد نَفَـس عميـق عشـان يهـدّي نفسـه، وِابتـدا يركـز كُل تفكـيره في العـرض، والديالـوج، والأداء الـلي هيكـسّر بيـه الدُنيـا..



بس اللي ماكنش عامل حسابه، إن موبايله يرن في اللحظة دي، عشان يفتحه، ويلاقي رسالة مبعوتة من "سارة"..

اتخض، واتسمّر في مكانه وهو بيقرأ كلمات الرسالة..

قطرات العرق اِبتدت تنهمر على جبينه، وهو بيبُص للموبايل، وبيبُص لخشبة المسرح، ماكنش عارف يعمل إيه، ماكنش عارف يتصرف إزّاي، قلبه كان بيدُق بسُرعة رهيبة، عينيه كانت بتتابع كلمات الرسالة، وودنه كانت لاقطة كُل حركة وصوت جايين من المسرح..

فضل واقف مكانه دقيقة كاملة، متخشّب زيّ التماثيل، بيبُص للفراغ بعين ثابتة، لحد ما فجأة، لقى نفسه بيتحرك ناحية "سامح" وبيقول له:

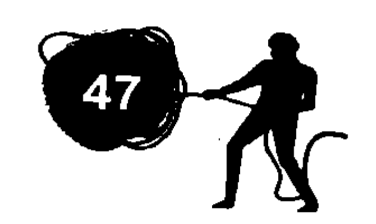
- "اجهز بسُرعة يا سامح، هتطلع مكاني"
- "نعم! إنت بتقول إيه؟! إزّاي يعني؟!"
- "يلا يا سامح مَفيش وقت، فاضل دقيقتين ع المشهد"

سابه واتحرك بسُرعة في الاتجاه المُعاكس، في اللحظة اللي "سامح" نده عليه فيها وقال:

"يا خالد فهمّني في إيه! أقول إيه للبروف طيب؟"

وقف "خالد" مكانه للحظة، وبعدين لف وبص لـ "سامح"، وقال له:

- "قوله.. إن والد سارة توفى، وإن سارة دلوقتي لوحدها ومش عارفة تتصرف، فخالد كان لازم يمشي."



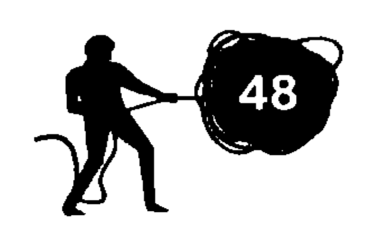
سكت لحظة، وبعدين كمّل وقال الجُملة اللي متخيّلش إنّه مُمكن يقولها في يوم:

- "لإن.. لإن سارة عنده أهم."

***

موت الفجأة دايمًا بيكون له وقع قاسي على نفوس البشر، مش كُل الناس بتقدر تتحمله، كون إن شخص ما يختفي من حياتك بصفة نهائية، حتّى لو ماكُنتش بتحبّه، إنّه يختفي بدون سابق إنذار كده فهو أكيد أمر عظيم، خُصوصًا على "سارة"، الأخت الكبيرة، واللي بقت فجأة هيَّ المسئولة عن أمّها وإخواتها الصُغيرين، كانت مصدومة، عقلها ماكنش قادر يستوعب حجم المسئولية المُلقاة على عاتقها، مكانتش عارفة حتّى تتصرف في إجراءات وفاة أبوها، مكانتش عارفة تعمل إيه، لحد ما لقت نفسها بتفكّر في "خالد"، الشخص الوحيد اللي اِتمنّت إنّه يكون موجود جمبها في اللحظة دي، مسكت موبايلها بدافع الفضول، بتشوف إذا كان كلمها ولا لأ، واكتشفت إنّه كلمها كتير، بصّت في ساعة الموبايل، كان فاضل دقايق على العرض، توقعت إنّه واقف في الكواليس دلوقتي، بيجهز عشان يطلع، حسّت إنّها ماينفعش تكلمه، وإنّها حتّى لو كلّمته مش هيكون جمب الموبايل، فقررت في النهاية تبعت له رسالة، عشان لمّا يطلع من العرض يقراها ويعرف هيَّ ماجتش ليه، بعتت له، وفضلت قاعدة في مكانها، بتحاول تقاوم الانهيار، لحد ما فجأة اتبعت لها رسالة، فتحتها واكتشفت إنّها من "خالد"، اللي كان بيقول فيها..

"أنا في الطريق، ابعتي لي العنوان!"



مَكانتـش قـادرة تصـدّق نفسـها في لحظتهـا، مصدّقتـش غـير لمّـا شـافته قُدّامها في البيـت، بيسـلم عـلى مامتها واخواتهـا وقرايبهـم، بيحـاول يسـاعد في كُل شيء، اسـتخراج شـهادة الوفـاة والغُسـل والكفـن، الدفنـة وبعدهـا العـزا، كانـت لأول مـرة تشـوف منّـه الجانـب ده، الشـخص الـلي وقـف جمبها في الأزمـة، سـاعدها هـيَّ وإخواتهـا عـلى قـد مـا قـدر، والأهـم مـن ده كُلّـه، إنّـه كان موجـود عشـان يهـوّن عليهـا صدمـة الموقـف، "خالـد" نفسـه كان مسـتغرب الـلي بيعملـه، ماكنـش متوقـع أبـدًا، إنّـه مُمكـن يحـس بالمسـئولية ناحيـة حـد بالشـكل ده، لدرجـة إنّـه يقـضّي سـاعات مـن وقتـه مابيعملـش حاجـة غـير إنّـه بيراقـب "سـارة" وهـيَّ بتعيّـط، وبيحـاول يهـوّن عليهـا، في الفـترة دي "خالـد" اِبتـدا يعـترف لنفسـه بهـدوء إن الـلي بيحسـه ناحيـة "سـارة" مـش مُجـرد مشـاعر صداقـة زيّ مـا كان مُتخيّـل، لأ، "سـارة" بالنسـبة لـه أكـتر مـن مُجـرد صديقـة..

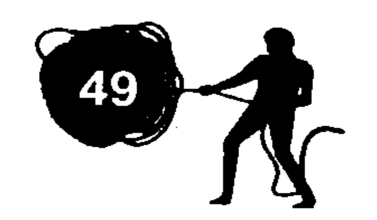
سارة.. حبيبة.

وعـلى عكـس أغلـب النـاس، الـلي بيبتـدوا يحسـوا بالفرحـة والحـماس لمّـا بيكتشـفوا إنّهـم بيحبّـوا، "خالـد" كان حاسـس بالرُعـب، والخـوف..

"خالـد" عُمـره مـا تخيّـل نفسـه بيحـب، بعـد كُل القناعـات الـلي كوّنهـا عـن الارتبـاط والجـواز..

فـكان طبيعـي جـدًا إنّـه يُرفـض يصـدق مشـاعره دي، ويُرفـض يعـترف بيهـا لــ "سـارة" وده الـلي أدّى لسلسـلة مـن الأحـداث والمواقـف الغـير مُريحـة للطرفـين بـكُل مـا تحملـه الكلمـة مـن معنـى..

***



- "مين الشخص ده؟"
- "ده واحد صاحبي من أيام المدرسة، اشمعنى؟"
- "لا مَفيش، بسأل عادي"

***

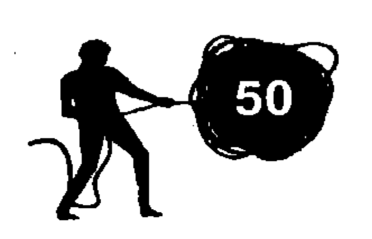
- "بكلمّك طول اليوم مش بترُدي، كُنتي فين يا سارة؟!"
- "كُنت خارجة مع صُحابي ومخدتش بالي من الموبايل، كُنت عايز حاجة؟!"
- "لأ، كُنت بتطمن عليكي بس"

***

- "مش صح تتأخري بليل أوي كده، مش كده ولا إيه؟!"
- "يا عم عادي أنا متعودة على ده، ماتشغلش بالك"
- "طيّب!"

***

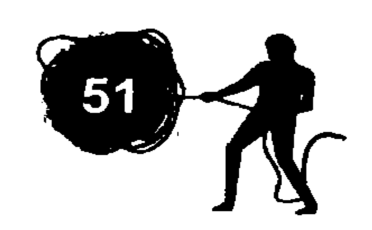
ده اللي بيحصل لمّا الإنسان يحب ومايقدرش يعبّر عن اللي جُوّاه، حالة مُستمرة من عدم الراحة، والقلق، والخوف، إحساس بالمسئولية طاغي عليه وفي نفس الوقت مَبيقدرش يعبّر عنّه لا بالقول ولا بالفعل، عشان كده، حس "خالد" إن الحل الوحيد بالنسبة له إنّه يبعد، كده كده مش هيقدر يعترف لها بحاجة، مشاعره هتفضل جُوّاه، ومش هيصرح بيها، وفعلًا، اِبتدا ينسحب بهدوء، واحدة واحدة، واستغل



إن السنة الدراسية كانت خلصت، ومبقاش في شُغل مسرح، وإن عدّى وقت طويل على وفاة والدها وإنّها قدرت تُقف على رجليها من تاني، انسحابه كان هادي ومدروس، كانت بتكلمه ويرُد كُل فين وفين، تُطلب مُساعدته فـ يتحجج إنّه كان مشغول أو مش فاضي، تتكلم معاه في حاجة تُخصّها زيّ عادتهم، يعمل نفسه مش مُهتم، كان بيحاول يكرهها فيه بمعنى أصح، والظاهر إن أفعاله دي جابت نتيجة، لإنّها اِبتدت تحس إنّه بيعمل كده قصد. واِبتدت تنسحب هيَّ كمان، لحد ما في النهاية كلامهم بقى معدوم، ومابقوش موجودين في حياة بعض، لوقت طويل جدًا..

حاول "خالد" يرجع لحياته السابقة، اللي مكانتش بتدور حوالين "سارة"، ولكن هيهات! كُل حاجة كانت بتضغط عليه والدنيا كانت بتسود في وشّه بالتدريج، ما الحاجة الوحيدة اللي كانت مهونة عليه ضغوطات الحياة هيَّ "سارة"، أي مُشكلة كانت بتحصل له سواء في البيت أو في الجامعة كان بيحكي لها هيَّ، مُجرد كلامه معاها كان بيريّحه، مُجرد إحساسه إن في حد فاهمه ومقدر اللي بيحكيه كان كافي بالنسبة له، وبالرغم من إن معدّاش وقت طويل على علاقتهم إلا إنّها كانت مليانة مواقف وتفاصيل، كفيلة إنّها تحسسه بالوَحشة والاشتياق ليها، حاول ينساها بس معرفش، كان بيشوف صورتها في كُل بنت بيقابلها، كان بيسمع ضحكتها بترن في ودنه كُل ما كان بيعدّي على حتّة كانوا بيُقعدوا فيها سوا، اِبتدا "خالد" يراجع قناعاته مرة تانية..

"هو أنا ليه بعدت بالشكل ده؟!" كان بيسأل نفسه..



"بعـدت عشـان تعبـت يـا خالـد! إنـت نـاسي غيرتـك الـلي ماكُنتـش قـادر تبررهـا؟ طـب خوفـك عليهـا؟ إنـت بتحبّهـا! ومـش هتقـدر تعـترف لهـا أبـدًا"

"أبـدًا!" رجـع يسـأل نفسـه.. "طـب ليـه مـش هقـدر اعـترف؟ إيـه الـلي هيجـرى يعنـي!"

"هيجـرى كتـير وكتـير! قناعاتـك يـا خالـد! إنـت نـاسي قناعاتـك عـن الجـواز والارتبـاط والخلفـة وغيرهـم؟ إنـت مـن البدايـة وإنـت عـارف إنّـك مـش طبيعـي وإن مَفيـش إنسـان طبيعـي مُمكـن يتقبـل القناعـات دي، يبقـى إزّاي تعـترف لهـا بحُبّـك وإنـت مـش هتقـدر ترتبـط بيهـا!"

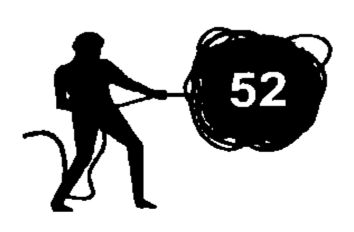
"أيـوة بـس.. مـا أنـا مُمكـن أكـون بضيّـع مـن إيـدي الشـخص الصـح لمُجـرد اختـلاف قناعتنـا! وهـو ده ينفـع يعنـي؟"

"مـا هـو لـو إنتـوا مُختلفـين في قناعاتكـم، يبقـى ده مـش الشـخص الصـح يـا خالـد!"

دخـل "خالـد" في حالـة مـن الـصراع الداخـلي مـع نفسـه، طـول الفـترة الـلي كان بعيـد فيهـا عـن "سـارة"، ماكنـش عـارف يعمـل إيـه، لحـد مـا في النهايـة مقـدرش يقـاوم، ورجـع!

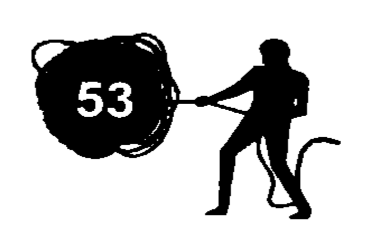
رجـع وحـكى لهـا كُل حاجـة! ليـه بعِـد عنهـا، كُل مخاوفـه وشـكوكه، مشـاعره مـن ناحيتهـا. رجـع، وقـال لهـا إنّـه.. بيحبّهـا.

وبرغـم إنّـه كان حاسـس مـن أول موقـف حقيقـي بينهـم إنّهـا كـمان بتحبّـه، إلا إنّهـا لمّـا قالـت لـه "وأنـا كـمان بحبّـك" كان وقعهـا عظيـم عليـه، كانـت أجمـل كلمـة يسـمعها في حياتـه تقريبًـا، وقـررت تسـامحه عـلى بُعـده عنهـا وقـدّرت أسـبابه واحترمـت قناعاتـه..



في النهايـــة، قـــرر "خالـــد" يغلّـــب مشـــاعره عـــلى عقلـــه، لاعتقـــاده إن ده الســـبيل الوحيـــد للراحـــة مـــن عـــذاب الفُـــراق الـــلي كان فيـــه، قـــرر "خالـــد" يرجـــع لـ"ســـارة" كأحبـــاب مـــش أصحـــاب، وإنّهـــم يحاولـــوا يبنـــوا شيء مـــع بعـــض، كان مُعتقـــد إن بالشـــكل ده أغلـــب مشـــاكله هتتحـــل، وماكنـــش يعـــرف إن دي كانـــت بدايـــة لمشـــاكل مـــن نـــوع تـــاني خالـــص.. اختلاف قناعاتهم.





دق جرس الساعة اللي على المكتب عشان يعلن عن انقضاء وقت الجلسة، قبل ما أدوس على الزُرار عشان أسكتها، كتبت حاجة في الدفتر، وبعدين قُلت له:

- "تمام يا خالد، إحنا كده الوقت بتاعنا خلص، مع إني كُنت حابب اسمعك أكتر، بس مش مُشكلة، هيبقى لينا جلسة تانية مع بعض، أنا هكتب لك دلوقتي على دوا هيساعدك كتير، واظب عليه لحد ميعاد الجلسة الجاية، ودلوقتي تقدر تتفضل على أوضتك"

- "حاضر يا دكتور."

قام من مكانه واتحرك بخطوات بطيئة ناحية الباب، قبل ما أنده عليه وأقول له:

- "خالد؟"

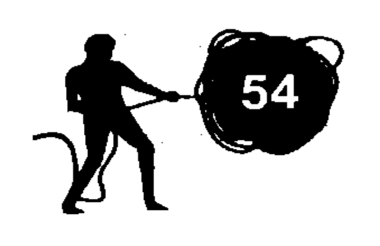
لف وواجهني..

- "قولي، اِرتحت شوية لما اتكلمت؟"

ابتسم بتعب، وهز راسه بالإيجاب، قبل ما أرُد له الابتسامة، واراقبه وهو بيفتح الباب وبيُخرج منه، فضلت ثابت في مكاني شوية، بفكر في اللي "خالد" حكاه، لحد ما قررت ارفع سماعة التليفون الخاص بالمكتب، عشان ألاقي "دُعاء" بترُد عليا:

- "أيوة يا دكتور"

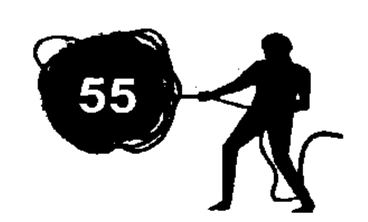
- "بعد إذنك يا دُعاء، عايزك تخلي حد من الإدارة يبعت لنا بيانات الحالة اللي كانت عندي دلوقتي"



- "حاضر يا دكتور"

قفلـت معاهـا، وبعديـن قـررت أمسـك ملـف الحالـة التانيـة، وأقلـب فيـه شـوية، قبـل مـا تيجـي..

***





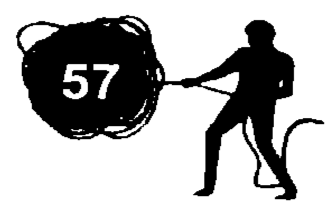
12:00 ظهرًا..

- "دكتور، حالة الساعة 12 وصلت"

فُقت من شرودي على صوت "دُعاء"، بصيت لها وبعدين قُلت لها:

- "تمام يا دُعاء، قوليلي، عملتي إيه في موضوع البيانات اللي طلبتها منك؟"
- "يا دكتور ما إنت عارف النظام هنا في المُستشفى، ماشيين بالتصوير البطئ، قالوا لي هندوّر ونبقى نبعت لك"
- "طيب خلاص، مش مُهم دلوقتي، خلي الحالة تُدخل"
- "حاضر"

اعتدلت في جلستي، ظبطت المُسجل على وضع الاستعداد، مِلت على علبة سجايري عشان أطلع سيجارة، في اللحظة اللي الباب خبط فيها، وشُفتها..



كان مكتـوب في الملـف إنهـا في مُنتصـف التلاتينـات، لكـن شـكلها كان يوحـي بإنهـا أصغـر مـن كـده بكتـير، عيـون خـضراء، شـعر كسـتنائي مُجعـد، ميـك أب شـيك، وقـوام ممشـوق ومظبـوط جـدًا، كانـت جميلـة، ماقدرتـش اخفـي انبهـاري بطلّتهـا المُميـزة، ابتسـمت لهـا، في اللحظـة الـلي اتحركـت فيهـا ناحيتـي وهـي مُبتسـمة ومـدّت إيدهـا عشـان تسـلم، وقفـت مـكاني ومديـت إيـدي أنـا كـمان وهـي بتقـول:

- "مساء الخير يا دكتور علاء، إزيك؟"

- "الحمد لله، إزيك يا.. د. نادية، مظبوط؟"

- "نادية من غير دكتورة، مَفيش داعي للتكليف"

- "خلاص، يبقى أنا كمان علاء من غير دكتور"

ابتسـامتها اتسـعت، كانـت ابتسـامة رقيقـة وغـير مُفتعلـة، وبعديـن قالـت:

- "ماشي، متفقين"

- "اتفضلي"

شـاورت لهـا ناحيـة الكُـرسي الـلي قُدامـي، واسـتنيتها لحـد مـا تُقعـد، رجعـت لعلبـة سـجايري مـرة تانيـة، بـس جـه في بـالي اسـتأذنها الأول قبـل مـا اولـع سـيجارة عشـان مـا يتكـررش الموقـف الـلي حصـل مـع خالـد، بـس فجـأة، لقيتهـا بتطلـع علبـة سـجاير ماركـة دافيـدوف، وبتسـحب سـيجارة رُفيعـة وبتحُطهـا بـين شـفايفها، ابتسـمتْ، ومديـت إيـدي بالولاعـة قبـل مـا تطلـع الولاعـة بتاعتهـا، ولعـت لهـا السـيجارة، وراقبتهـا وهـي بتُنفـث دُخانهـا في الهـوا، شـكرتني بإيمـاءة رأس وابتسـامة، فهزيـت راسي وابتسـمت

لهـا أنـا كـمان وأنـا بسـحب سـيجارة مـن علبتـي، وبولعهـا، في اللحظـة الـلي قالـت لي فيهـا:

- "مكتبك شيك، عاجبني تناسُق الألوان جدًا"

- "مُتشكر، ده ذوق مراتي، مش ذوقي"

- "ربنا يخليكوا لبعض"

ابتسـمت مـن غـير مـا أبـين ضيقـي مـن جُملتهـا، سـحبت نَفَـس مـن سـيجارتي وبعديـن قُلـت لهـا:

- "تحبي نبدأ بإيه؟"

- "مش عارفة"

- "البداية دايمًا بتبقى الأصعب، بس بعد كده الدنيا بتبقى لذيذة"

- "بينـي وبينـك، أنـا ماكنـش في دماغـي خالـص إني أعمـل كـده، وإني أجـي يعنـي لدكتـور نفـسي واتعالـج، بـس الموضـوع مأثـر عـلى شُـغلي، وأنـا مـش بحـب أي حاجـة تأثـر عـلى شُـغلي"

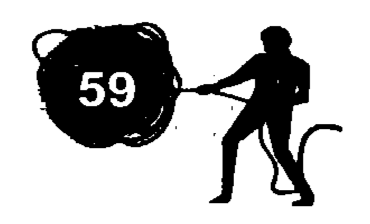
- "مكتوب عندي إنك دكتورة في كُلية العلوم"

- "أيوة"

- "ومكتوب كمان إن الدكتوراة بتاعتك من إنجلترا، مظبوط؟"

- "مظبوط"

- "عظيم، عظيم جدًا"



ابتسـمِت، وسـحبِت نفـس مـن سـيجارتها، بصيـت عـلى سـبب الزيـارة مـرة تانيـة، "اكتئـاب بسـبب فشـل الـزواج" قبـل مـا ألاقـي نفـسي بسـألها فجـأة:

- "قوليلي، اِتعرفتي على جوزك هناك في إنجلترا؟"

سكتت للحظة، بان عليها الارتباك، قبل ما ترُد وتقول:

- "لأ، اتعرفـت عليـه هنـا، كُنـا بنشـتغل مـع بعـض في نفـس الفريـق البحثـي، وفُرصـة السـفر جـت لنـا إحنـا الاتنـين، سـافرنا سـوا و..."

سكتت فجأة، سألتها:

- "سكتي ليه؟!"

- "مش عارفة"

- "مش مرتاحة؟"

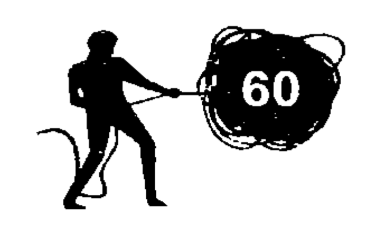
هـزت راسـها بالإيجـاب، حسّـيت إنّهـا لسّـه مـش قـادرة تتكلـم عنّـه، فقـررت أغـيّر دفّـة الحـوار خالـص وقُلـت لهـا:

- "طيـب قوليـلي، في حـد دلوقتـي في حياتِـك؟ مـش شرط يبقـى في بينكـوا مشـاعر حُـب، حتّـى لـو صداقـة أو عِـشرة مـن زمـان"

- "لأ.. أنا لوحدي"

قالـت الجُملـة الأخـيرة بصـوت مهـزوز، وبـان عليهـا التأثـر، راقبـت انفعالاتهـا وأنـا بسـحب نَفَـس تـاني مـن السـيجارة، في اللحظـة الـلي قالـت فيهـا بـتردد:

- "متهيألي.. متهيألي إنّه.."



- "إنّه إيه؟!"

اتنهدِت، وبعدين قالت:

- "إن هـو ده السـبب الـلي مخلينـي مـش قـادرة أركـز في شُـغلي، ولا في أي حاجـة في حيـاتي عامَّـة"

- "إنّك لوحدِك؟!"

- "أيوة"

- "إزّاي؟!"

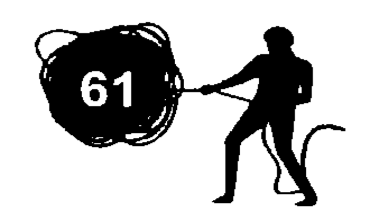
خدِت نَفَس من سيجارتها عشان تكسب ثواني تفكر فيها، وبعدين قالت:

- "يمكن لإنّي.. خايفة. خايفة أكون لوحدي طول عُمري"

قلبـي وجعنـي للحظـة، بـس حاولـت عـلى قـد مـا أقـدر مابيّنـش ده، كان نفـسي اسـيب نفـسي أتأثـر بجُملتهـا، كان نفـسي أرُد عليهـا وأقـول لهـا "وأنا كمان خايف من ده!"

بـس مقدرتـش، مُشـكلة الطبيـب النفـسي إنّـه ماينفعـش يظهـر مشـاعره للمريـض، الجلسـة دي بتاعـة المريـض وبـس، هـو الـلي يتكلـم ويحـكي ويبـين مشـاعره وأحاسيسـه، لكـن الدكتـور، الدكتـور مُهمتـه إنّـه يسـمع، ويحـاول يحـل، وبـس! كُنـت بصـارع نفـسي عشـان مقولهـاش حاجـة تخُصنـي وتخُـص مُشـكلتي مـع "أروى" في اللحظـة دي، وفي النهايـة، ردّيـت عليهـا رد مُحايـد، فيـه احـترام لمشـاعرها، وفي نفـس الوقـت، تقديـر لمشـاعري:

- "حاسس بيكي"



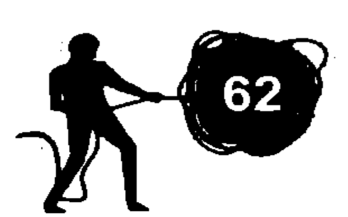
قُلتهـا بصـدق، فضلـت بَصـة لي للحظـة، حسّـيت فيهـا إنّهـا اِبتـدت تطمّــن لي، وده بــان أكــتر لمّــا كمّلـت كلام:

- "كُل يـوم الصُبـح، بقـوم مـن النـوم وأنـا حاسّـة إنّ ماعنديـش أي طاقـة عشـان أواجـه الحيـاة، بحـس إنّي عايـزة أفضـل في السريـر طـول اليـوم، معملـش حاجـة، مقومـش حتّـى عشـان أفطـر أو أدخُـل الحـمام، مُجـرد تفكـيري إنّي مُضطـرة أقـوم واجهـز وانـزل الشـارع بيرعبنــي، النــاس بقـت بترعبنـي، أقـل اِحتـكاك بيهـم بيحسسـني إنّي عايـزة أعيـط وأصرُخ وأرجـع لسريـري تـاني، مـن كام يـوم كُنـت ماشـية بالعربيـة وحـد كـسر عليّـا، وبـدل مـا يعتـذر لي، شـتمني ومـشي! فضلـت واقفـة في مـكاني في نُـص الشـارع مـش قـادرة أتحـرك، النـاس فضلـت تزمـر لي بقـوة، حسّـيت إنّي بنهـار! اليـوم ده رجعـت عـلى البيـت وماروحتـش الشُـغل، كلّمتهـم وخـدت أجـازة مـرضي، وفضلـت أعيّـط طـول اليـوم، أنـا.. أنـا عارفـة إن دي مُمكــن تبقــى هشاشــة نفســية، جايـز مُبالغـة، بـس... بــس ده الــلي بحـس بيـه، ومـش عارفـة أقاومـه!"

سـكتت للحظـة، سـحبِت فيهـا آخـر نَفَـس مـن سـيجارتها قبـل مـا تطفيهــا، وبعديــن قالــت:

- "لمّـا بـروح الشُـغل، بتعامـل بمُنتهـى الحـذر، بـرُد عـلى القـد، بـشرح للطلبـة مـن غـير أي شـغف أو حـماس، لمّـا بقعـد في المكتـب مـع زمايـلي بحسـهم بيتكلمـوا عنّـي، نظراتهـم بتقـول كـده، بيتهامسـوا بينهـم وبـين بعـض وبيبصـوا لي بشـفقة، بتخيـل مـع نفـسي بيقولـوا إيـه..

اتطلّقِـت وهـي في التلاتينـات! يـا تـرى إيـه السـبب؟ أكيـد فيهـا حاجـة! مـن سـاعة مـا جـات اشـتغلت معانـا وأنـا مـش مرتاحـة لهـا، مقفّلـة كـده ودايمًـا لوحدهـا، أكيـد نكديـة، أكيـد جوزهـا مسـتحملهاش!



بتخيّل كلامهم بيني وبين نفسي، ودي حاجة بتأذيني نفسيًا أكتر وأكتر، بس في النهاية برضو مبقدرش أقاومها، مش بإيدي، زيّ ما مش بإيدي إنّي اتطلقت، وزيّ ما مش بإيدي إنّي أمنع نظراتهم ليّا"

بصّيت لها وأنا بطفي سيجارتي أنا كمان، وبعدين قُلت لها:

- "كُنتي طول عُمرك كده؟"

- "كده إزّاي؟"

- "يعني، بتخافي من الناس ومش عايزة تتعاملي معاهم"

- "أبدًا، عُمري ما كُنت كده، بالعكس، طول عُمري فرفوشة وبحب الهزار والضحك، كُنت بنت اجتماعية جدًّا وعندي صحاب كتير ولاد وبنات، بس دلوقتي مابقتش كده، هو أنا عايزة، عايزة أرجع أعرف ناس تاني وأتعامل معاهم، بس... بس زيّ ما قُلت لك..."

- "خايفة، خايفة منهم"

هزّت راسها واتنهدت بعُمق، وبعدين قالت:

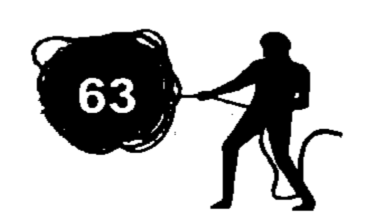
- "نفسي أرجع أحب شُغلي ويبقى عندي شغف ليه زيّ زمان، إنت مش مُتخيّل أنا تعبت قد إيه عشان أوصل لإنّي أبقى دكتورة جامعية، التعب والوقت والمجهود، ضحّيت بكام حاجة بــ.."

سكتت للحظة وهي بتبُص للفراغ، وبعدين كمّلت بصوت مليان أسى:

- "ضحيت بكام حاجة بحبّها!"

بصّيت لها بعدم فهم، وبعدين قُلت:

- "مش فاهم، حاجات زيّ إيه؟!"



سكتت ومردّتش، قُلت لها بصوت أهدى شوية:

- "نادية، أنا محتاج منّك إنّك تساعديني عشان أقدر أساعدِك"

- "بحاول!"

قالتها بنبرة وجعت قلبي، مارضتش أضغط عليها، بصّيت بعيد وبعدين قُلت:

- "طيّب، بتشوفي أهلِك؟ بتزوريهم وكده؟"

- "أبويا وأمي متوفيين، وإخواتي كُل واحدة فيهم اتجوزت وبقى ليها حياتها، كُنت بزورهم أول ما رجعت، بس بعد كده بقيت بحس إنّي تقيلة، كُنت بحس... بالغُربة"

بصيت لها باستغراب، هزّت دماغها وقالت:

- "معاك حق تبُص لي كده، يعني أنا لسّه راجعة من غُربة وبقول إنّي في غُربة؟! في الحقيقة يا دكتور... قصدي يا علاء، إن هنا غُربة وهناك كان غُربة"

سكت للحظة، افتكرت حاجة، وبعدين قُلت لها:

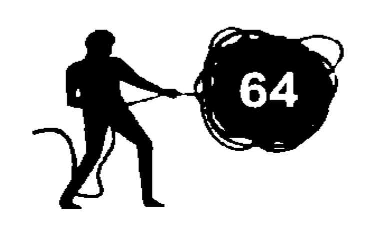
- "عارفة.. في مقولة بتقول.. إن الغُربة بُعد عن الوطن، وإن الوطن ده مُمكن يكون ناس بنحبّهم"

بصت لي وضيّقت عينيها، وبعدين ابتسمِت وقالت:

- "صح، صح جدًا"

- "يبقى إزّاي هناك كان غُربة وإنتي كُنتي متجوزة؟!"

سكتت شوية، وبعدين قالت:



- "عشان الوضع مع أحمد ماكنش سهل، ماكنش سهل أبدًا"

- "أحمد؟! طب دي بداية كويسة، عرفنا اسمه على الأقل"

ضحكت برقة، كانت أول مرة تضحك من ساعة ما جات، وحقيقي ضحكتها كانت جميلة، بصت لي وقالت بهزار:

- "وعارف كمان إنّه كان شغّال معايا وإننا سافرنا سوا، ركّز يا دكتور"

- "آه صحيح، طيب مش ناوية تكملي بقى؟"

- "كده طمع على فكرة"

- "معلش، تعالي على نفسِك المرة دي"

ابتسمِت بسُخرية، سكتت للحظة، شردت فيها، وابتسامتها اِبتدت تروح، قبل ما ترُد بأسى:

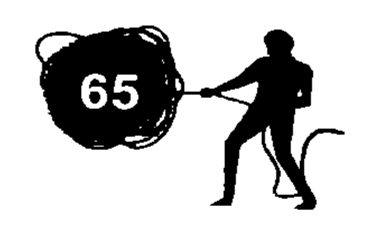
- "صدقني يا علاء، كُل التعب اللي أنا فيه ده، خوفي من الناس وشعوري بالوحدة، سببه إنّي كُنت باجي على نفسي دايمًا... دايمًا"

سكت وبصيت لها، لمحت في عيونها كسرة حاولت تداريها، فضلِت ساكتة كتير، كانت سرحانة، وكأن الجُملة اللي قالتها نقلتها لزمن تاني، وكإنّها كانت بتستعيد الماضي، فضلِت بَصّة للفراغ لفترة، لحد ما لقيتني بقطع شرودها وبقول:

- "خلاص لو... لو مش حابّة تتكلمي في ده، مُمكن نتكلم في حاجة تانية"

انتبهت ليّا وبعدين قالت:

- "لا لأ، تمام، أنا... أنا عايزة أتكلم"



ابتسمت، بصيت لها وقُلت:

- "وأنا دايمًا جاهز عشان اسمعِك"

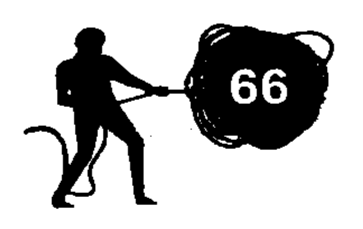
ابتسـمِت، رجعـت بضهـري في الكُـرسي ومسـكت الدفـتر والقلـم وتقمّصـت دور الطبيـب النفـسي بشـكل درامـي أكـتر، وبعديـن قُلـت:

- "قوليلي بقى البداية إزّاي؟!"

اتنهـدِت بعُمـق، طلّعِـت علبـة سـجايرها وسـحبِت منهـا سـيجارة تانيـة، والمـرة دي طلّعـت ولاعـة شـيك وولعتهـا بنفسـها، خـدت نَفَـس عميـق وطلّعتـه بهـدوء، سـكتت للحظـة، وبعديـن بصـت لي وقالـت:

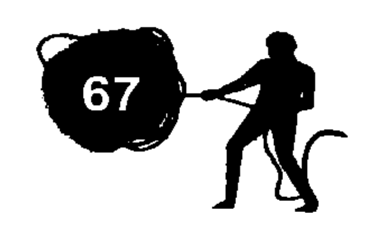
- "زيّ مـا قُلـت لـك في الأول، البدايـة كانـت في الشُـغل، بدايـة عاديـة وبسـيطة، مقـدرش أقـول إنّهـا مُميـزة، بـس أحمـد، أحمـد كان شـايف إنّهـا أجمـل بدايـة، يـوم مـا قالـوا لنـا نبتـدي نجهـز ورقنـا، عشـان نسـافر إنجلـترا"

***



- "وبكـده نقـدر نقـول إن شُـغلنا وتعبنـا أجنـى ثمـاره بالفعـل، وده كُلّـه بفضـل تعبكـوا ومجهودكـوا، وتفانيكـوا في العمـل، خلونـا نقـدم أكـبر تحيـة لزمايلنـا، أحمـد رأفـت ونادية الجوهـري، اللي هيشرفـوني وهيشرفـوا فريـق العمـل كُلّـه في منحـة إنجلـترا"

أول مـا المُدير خلص كلام الفريـق كُلّـه صقـف لـ"نادية" ولـ "أحمد"، وانهالـت عليهـم عبارات المُباركـة والتهنئـة، "أحمـد" كان بيبُـص لـ "نادية" بسـعادة حقيقيـة "ناديـة" كانـت فاكـرة إنّـه كان فرحـان أوي كـده لإنّـه اتقبـل في المنحـة، مـش لإنهـم هيسـافروا سـوا، العلاقـة بينهـم في الوقـت ده مكانتـش تتعـدى الزمالـة، مُجـرد اتنـين بيشـتغلوا مـع بعـض في فريـق بحثي واحـد، بيهـزروا مـع بعـض أوقـات، وده لإن "ناديـة" كانـت حـد اجتماعـي جـدًا، وكانـت بتحـب علاقتهـا تبقـى حلـوة بـكُل النـاس الـلي حواليهـا، في اليـوم ده، مُديرهـم في الشُـغل قـرر إنّـه يعمـل حفلـة عـلى شرفهـم هُـمّا الاتنـين، احتفـالًا بيهـم عشـان تـم قبولهـم في منحـة ماجسـتير في واحـدة مـن أعـرق جامعـات إنجلـترا، وده حصـل بعـد شـهور طويلـة مـن العمـل الشـاق مـن الفريـق كُلّـه، وبعـد مـا المُديـر بعـت نتـاج أبحاثهـم ودراسـاتهم لأكـتر مـن جامعـة في أوروبـا وأمريـكا، وفي النهايـة ردّت عليهـم الجامعـة دي في خطـاب رسـمي، بإنّهـم اختـاروا "أحمـد وناديـة" عشـان يسـافروا ويكمّلوا واحـد مـن الأبحـاث الـلي اشـتغل عليهـا الفريـق كرسـالة ماجسـتير، ثـم دكتـوراة لـو قـدروا إنّهـم يجتهـدوا في ده، اليـوم كان لطيـف، والنـاس كُلّهـا كانـت فرحانـة بيهـم، بـس "ناديـة" مكانتـش فرحانـة أوي، مـع إنّـه كان واحـد مـن أهـم إنجازاتهـا العلميـة والعمليـة، بـس هـي فعـلًا مكانتـش حاسـة بسـعادة غامـرة زيّ مـا كانـت مُتوقعـة، خلصـت الحفلـة وكُل واحـد



رجع لمكتبه عشان يكمّل شُغل، أمّا "نادية"، فدخلت البلكونة ووقفت في الشمس شوية، وهيَّ بتفكر في شكل حياتها الجاية، حياتها الجديدة..

***

– "بتفكري في إيه؟"

الصوت كان جاي من وراها، لفّت عشان تشوف صاحب الصوت، كان "أحمد"، واقف على باب البلكونة وشايل في إيديه كوبايتين عصير، ابتسم وهو بيقدّم كوباية منهم لـ "نادية"، اللي ردت له الابتسامة، وخدتها منّه وهي بتهز راسها بامتنان، وبعدين قالت له:

– "مَفيش، بفكر في اللي جاي"

– "خايفة؟"

– "خوف لطيف، مش ضار أو مُقلق"

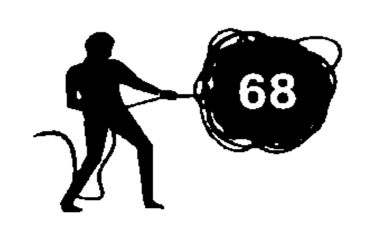
– "أنا كمان، من فترة بسيطة جدًا الواحد كان راسم لنفسه حياة كاملة هنا في مصر، وفجأة، كُل ده اتغيّر، هنودع صُحابنا وحبايبنا، وهنسيب كُل ذكرى حلوة عشناها هنا، لحد ما نرجعلها تاني"

– "ده لو رجعنا"

قالتها بصوت فيه حبّة وجع، بس هو ماخدش باله، ضحك وهو بيهز دماغه، وبعدين قال:

– "على رأيك"

سكت للحظة بص فيها من البلكونة، فتأملته "نادية" في اللحظة دي، كان طويل وعريض، وسيم وملامحه هادية بشكل ملحوظ، عيونه



كانـت زرقـا وجبينـه كان عريـض، وكان بيُملـك شـعر بُنـي ناعـم، جسـمه كان ريـاضي إلى حـد مـا وده كان مُتناسـب جـدًا مـع طولـه، رجـع بـص لهـا وهـو بيبتسـم، فكشـفت ابتسـامته عـن أسـنان ناصعـة البيـاض، وغـمّازة لطيفـة في خـده الأيمـن، حبّت "ناديـة" تكـسر حاجـز الصمـت فقالـت لـه:

- "ولا... ولا في حد مُضطر ترجع له؟ خطيبتك؟ حبيبتك؟"

حس بسعادة إنّها سألت، رد وقال:

- "لأ... مَفيش، وإنتي؟ في حد هترجعي له؟"

سـكتت للحظـة، ملامحهـا اتغـيّرت وكأنّهـا افتكـرت حاجـة ضايقتهـا، بـس رجعـت تبتسـم تـاني قبـل مـا ياخُـد بالـه وقالـت:

- "مَفيش غير أهلي، بس مُمكن مضطرش أرجع عشانهم يعني"

- "فاهمك"

سـكت مـرة تانيـة، وشرب شـوية مـن العصـير، وبعديـن هـز راسـه وهـو بيقول:

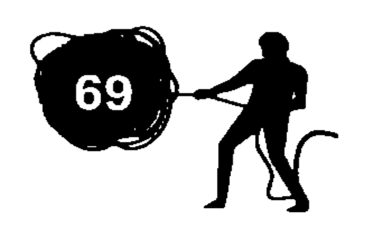
- "على العموم، أنا بس كُنت عايز أبارك لك مرة تانية"

- "الله يبارك فيك يا أحمد"

- "وكـمان، كُنـت عايـز أقولـك إنّي مبسـوط جـدًا إننـا هنسـافر مـع بعـض يـا ناديـة"

- "وأنا كمان"

- "صدقينـي دي مـش مُجاملـة، لـو الاختيـار كان في إيـدي، ماكُنتـش هختـار حـد تـاني غـيرك"



حسّت بصدق حقيقي نابع من صوته في جُملته الأخيرة، ابتسمت له بود، وبعدين قالت له:

- "أنا عارفة"

ابتسم لها هو كمان، واستأذنها بعدها عشان يمشي، سابها وطلع من باب البلكونة، عشان ترجع تبُص للشارع من تاني، وهي بتفكر في كلام "أحمد"، وهي بتبتسم..

***

بصيت لها وأنا مشدود لكلامها، قبل ما أقاطعها وأنا بقول:

- "طيب... ينفع اسألك سؤال؟"

- "أكيد يا علاء"

طلعت سيجارة جديدة من علبة سجايري وأنا بسألها:

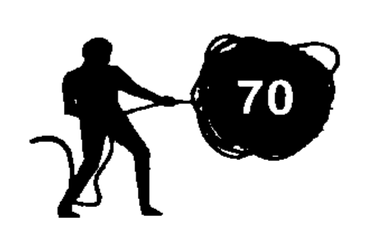
- "قُلتي إنك ماكُنتيش فرحانة أوي إنك هتسافري، مع إن ده كان واحد من أهم إنجازاتك، أقدر أعرف إيه السبب؟!"

سكتت للحظة، بان عليها فيها التوتر، وبعدين قالت:

- "مَظُنش إني جاهزة أتكلم عن ده دلوقتي"

بصيت لها وأنا حاسس بالغموض في كلامها، فضلت ساكت شوية، قبل ما اولع سيجارتي وأنا بقولها:

- "خلاص، اللي يريحك، احكي لي طيب عن سفرك ودراستك، أعتقد دي حاجة هتحبي تتكلمي عنها، مش كده؟"

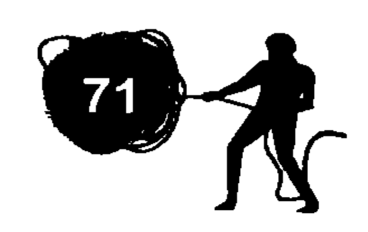


هزت راسها بالإيجاب وهي بتبتسم، قبل ما تتنهد بعُمق، وترجع تكمل كلام تاني..

***

إحساس جميل اِبتدا يتسرسب لـ "نادية" وهيَّ نازلة من الطيّارة في إنجلترا، إحساسها بإنّها فخورة بنفسها لإنّها أخيرًا وصلت لهنا، حلم حياتها اللي كانت بتحلم بيه من ساعة ما دخلت مجالها، إنّها تقدر تسافر تحضر ماجستير ودكتوراه بره مصر، وأديها أهي بتحقق الحلم، كُل حاجة كانت منورة ومتوهجة في عينيها، الشوارع ونضافتها، مُعاملة الناس الحلوة، اللهجة الجميلة بتاعتهم، المباني العريقة وتفاصيلها المُبهرة، كان نفسها تلف إنجلترا كُلّها حتة حتة، وهنا، جه دور "أحمد"..

"أحمد" كان عنده أخ أكبر منه بعشر سنين، درس واشتغل في إنجلترا فترة كبيرة قبل ما يرجع مصر تاني، وقبل ما يسافر عرّفه خريطة مزارات البلد وأفضل الأماكن اللي مُمكن يروحوها، وبما إنّه كان لسّه فاضل وقت على ما يبدأوا دراسة، قرر "أحمد" إنّه ياخُد "نادية" ويلفوا البلد سوا، بدايّة بساعة بيج بن الشهيرة واللي تُعتبر أهم ما يُميز عاصمة إنجلترا لندن، مرورًا بذهابهم لحديقة هايد بارك أكبر حديقة في العالم، لمّا قرروا إنّهم يأجروا عجل ويركبوه هناك عشان يقدروا يغطوا أكبر قدر من مساحتها، وكمان عشان يستمتعوا بمناظرها الخلابة مع هواء لندن العليل، ودّاها كمان متحف الرُعب المشهور هناك بعروض إنجليزية مُرعبة، متحف الشمع ومتحف التاريخ الطبيعي وعين لندن، مسابوش مكان تقريبًا إلا لمّا راحوا زاروه في الفترة دي، حتّى لمّا حبّت "نادية" تعمل شوبينج وتشتري حاجات جديدة،



"أحمـد" برضـو كان عـارف أفضـل الأماكـن الـلي تقـدر تشـتري منهـا وبأسـعار رخيصـة، كانـت فـترة لطيفـة جـدًا بالنسـبة لهـم، قرّبـوا فيهـا مـن بعـض بشـكل أفضـل وكـسروا حاجـز الزمالـة الـلي كان مـا بينهـم، وإبتـدوا يبنـوا علاقـة صداقـة لطيفـة، الجميـل إن دور "أحمـد" ماكنـش مُقتـصر عـلى الترفيـه والتسـلية وبـس، ولكنـه كان يُعتـبر مُتـولي مسـئولية "ناديـة" في كُل حاجـة تتعلـق بالإقامـة والمعيشـة، والاهتـمام بـأدق التفاصيـل عشـان "ناديـة" تبقـى مرتاحـة في إقامتهـا، وده الـلي خـلّى "ناديـة" تبتـدي تحـس ناحيتـه بالامتنـان والتقديـر قبـل مـا يبتـدوا دراسـتهم، وتبتـدي "ناديـة" رحلـة جديـدة مـن المُعافـرة في الحاجـة الـلي بتحبّهـا، مـن غـير مـا تفكّـر في أي حاجـة فاتـت، ولا أي حاجـة جايـة بعـد كـده..

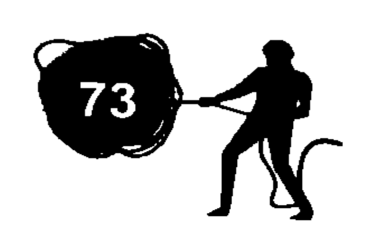
سـنتين مـن الشُـغل الـدءوب والعمـل المُسـتمر، ليـالي مـن السـهر والتعـب مـن أجـل تحقيـق أعـلى درجـات تحصيـل العلـم، بيقولـوا إنّـك لـو عايـز تعـرف حـد بجـد، اشـتغل معـاه، الشُـغل كفيـل يخليـك تعرفـه كويـس وتفهـم طباعـه وتحـدد عيوبـه، وده الـلي حصـل بـين "ناديـة" و"أحمـد" في الفـترة دي، بمـا إنّهـم كانـوا يعرفـوا بعـض وجايـين مـن مـصر سـوا، وكـمان كانـوا بيشـتغلوا عـلى نفـس البحـث، فـده خلاهـم يبقـوا صُحـاب ويندمجـوا مـع بعـض أكـتر مـن بقيـة زمايلهـم في الجامعـة، حسّـت "ناديـة" في الفـترة دي إنّهـا لـو كانـت لوحدهـا يمكـن مَكانتـش هتقـدر إنّهـا تكمّـل، الدراسـة كانـت صعبـة ومُتعمقـة جـدًا، كانـت مُختلفـة قلبًـا وقالبًـا عـن الدراسـة والشُـغل في مـصر، وجـود حـد زيّ "أحمـد" خـلّى الموضـوع يبقـى هـيّن عليهـا شـوية، وبمـرور الوقـت، إبتـدت تعرفـه ويعرفهـا أكـتر، عرفـت طباعـه والحاجـات الـلي بيحبّهـا وبيكرههـا، ولدهشـتها، كانـت تُعتـبر نفـس الحاجـات الـلي هـي كانـت بتحبّهـا وبتكرههـا، عُمرهـا مثـلًا مـا كانـت تتخيـل إنّهـا مُمكـن تلاقـي حـد بيحـب السـبانخ والـبروكلي زيّهـا، مـش

مُجرد بتاكلهم عادي لأ، بتحبّهم، اكتشفت إن حُبّه للخُضار أكتر بكتير من حُبّه للحوم والحلويات، عرفت إنّه بطبعه هادي ومُتفهم وبيقدر يشتغل تحت ضغط، وده كان بيساعدها جدًا لما كانت بتجيلها نوبات ذُعر أوقات بسبب بريزينتيشن مُهم أو امتحان صعب في الجامعة، كان دايمًا بيكون موجود عشان يهدّيها، ويساعدها عشان تعدّي النوبة دي، كان دمّه خفيف وعُمره ما فشل إنّه يضحكها، وكان بيهتم بتفاصيل صُغيرة كانت بتفرحها، زيّ لمّا تشوف حاجة في محل وتعجبها، بس متجيبهاش، فتلاقيه جابهالها وبيفاجئها بيها، أو لمّا حاجة بتحبّها زيّ خاتم مثلًا يضيع منها، وتفضل تعيّط عليه كتير، فـ ييجي بعد فترة وبعد ما تنسى خالص يجيب لها خاتم بنفس الشكل والمُواصفات، كأنّه الخاتم القديم بتاعها، لمّا كانت بتكلمه بليل في الموبايل وتقول له إنّها جعانة وبردانة ومش قادرة تقوم تعمل أكل، ولا حابة تُطلب ديليفري، فـ تلاقي باب شقتها بيخبّط بعد ساعة من المُكالمة، عشان تكتشف إنّه عملها أكلة حلوة بإيديه مع كوباية حاجة دافية عشان تدفيها، وسابهم قُدّام الباب ومشي، كُل دي تفاصيل عاشتها معاه وطباع عرفتها عنّه، كانت كفيلة تخليها تحُطّه في مكانة عالية أوي عندها، ويبقى حد غالي جدًا على قلبها..

بس برغم ده، وبرغم كُل التفاصيل الجميلة دي كُلّها، إلا إنّها متوقعتش أبدًا إنّه مُمكن يعمل اللي عمله بعد كده..

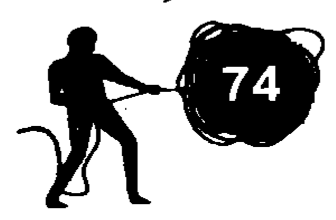
***

سنتين الماجستير خلصوا، وقدر "أحمد" و"نادية" يحصلوا على أعلى تقدير في الرسالة بتاعتهم، وده اللي هيأهم إنّهم يستعدوا للدكتوراة،



الفرحـة مكانتـش سـايعاهم، إنجـاز جديـد بيتضـاف لهـم حققـوه سـوا، واحتفـالًا بنجاحهـم في الماجسـتير قـرر "أحمـد" يعـزم "ناديـة" عـلى العشـا في واحـد مـن أفخـم وأغـلى المطاعـم في إنجلـترا، في اليـوم ده، لبسـت "ناديـة" فُسـتان أحمـر أنيـق، "أحمـد" كان جايبهولهـا في عيـد ميلادهـا، وطلـب منهـا إنّهـا ماتلبسـوش إلا بعـد مـا ياخـدوا الماجسـتير، فقـررت تلبسـه في العزومـة دي، مـع ميـك أب جميـل خلاهـا أكـثر تألقًـا وجـمال، أمّـا "أحمـد" فـكان لابـس بدلـة سـودا فخمـة، وكانـت مرسـومة عـلى جسـمه الريـاضي بشـكل مُبهـر، خـلى "ناديـة" تبتسـم لمّـا شـافته، ابتسـامة إعجـاب، في اليـوم ده أجّـر "أحمـد" عربيـة بسـواق عشـان تكتمـل الصـورة، مـا هـو مـش أي يـوم برضـو، ده الاحتفـال بنجاحهـم بعـد سـنتين كـد وتعـب، اتحركـوا بالعربيـة لحـد مـا وصلـوا المطعـم، نزلـوا هُـمّا الاتنـين ودخلـوا، انبهـرت "ناديـة" بتفاصيـل المطعـم وتداخـلات الألـوان عـلى الجُـدران والأرضيـة، وبالموسـيقى الحيّـة الـلي كانـت بتتعـزف في جانـب القاعـة مـن عازفـين مُحترفـين، انبهـرت بالجـو الأرسـتقراطي الـلي عُمرهـا مـا شـافته غـير في الأفـلام، الفسـاتين المُطـرزة بالمجوهـرات، والـلي مُمكـن تُقـدر بمئـات الآلاف، زُجاجـات الويسـكي والشـمبانيا، وأصواتهـم المُميـزة لمّـا بيتفتحـوا، المـكان كان رائـع، بـكُل مـا تحملـه الكلمـة مـن معنـى، اتحركـت "ناديـة" مـع "أحمـد"، وقُدّامهـم جرسـون بيوجههـم للترابيـزة بتاعتهـم، وصلـوا لهـا، وقعـدوا، بعدهـا عـرض عليهـم الجرسـون قايمـة الطعـام، وسـابهم عشـان يختـاروا الأصنـاف الـلي نفسـهم فيهـا، وطبعًـا لإنّهـم كانـوا شـبه نباتيـين، اختـاروا خُضـار أكـتر ولحمـة أقـل، رجـع الجرسـون وخـد الطلـب بتاعهـم، وسـابهم عشـان يسـتمتعوا بجـو المطعـم مـع بعـض، بصّـت "ناديـة" لـ"أحمـد" واتنهـدت بسـعادة وهـيَّ بتقـول بهـزار:

- "مَلاقِتش مكان أفخم من كده تودينا نتعشّى فيه؟"



ضحك بكياسة، وبعدين قال:

- "أعمـل إيـه؟ كُنـت بفكـر أعزمـك في قـصر باكينجهـام، بـس أعتقـد الملكـة كانـت هتتضايـق لمّـا تشـوفنا قاعديـن بنتعـشى عـلى السُـفرة بتاعتهـا"

- "كُنّـا هنعـزم عليهـا تيجـي تـاكُل معانـا، طـب والله لـو قعـدت معايـا شـوية لكُنـت هبلفهـا واخليهـا تحبّنـي"

ابتسم، وبعدين قال:

- "هو إنتي في حد يعرفك... ومايحبكيش؟"

ابتسمت، واتكسفت، حاولت تداري كسوفها بإنّها قالت:

- "يـا سـيدي يـا سـيدي، خلصنـا دراسـة وبقينـا بنكتـب شـعر وبنقـول كلام حلـو أهـو"

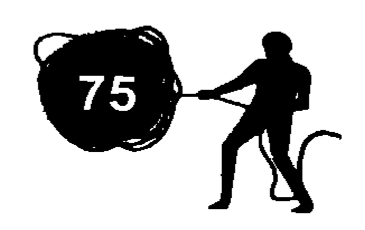
- "من بعض ما عندكم يا فندم"

ضحكت، وبعدين قالت:

- "بـس بجـد يـا أحمـد، المـكان شـكله غـالي جـدًا، وإحنـا في الآخـر يعنـي بنـصرف مـن المـصروف الـلي بتديهولنـا الجامعـة، كان إيـه لازمتـه التكاليـف دي كُلّهـا؟!"

- "إنتـي بتـصرفي مـن مـصروف الجامعـة، لكـن أنـا بكسـب مـن شُـغل الدعايـة الـلي بعملـه أونلايـن، ولا إنتـي ناسـية؟"

- "مش ناسية، بس برضو شُغلك مَيغطيش التكاليف دي يا أحمد"



- "بُصي، هو أنا ماكُنتش عايز أقولك عشان كُنت عارف إنّك مش هتوافقي، بس عامّة يا ستي دي ولا فلوس الجامعة ولا فلوس الشُغل"

- "أمّال إيه؟!"

- "بابا بعت لي شوية فلوس حلوين بمُناسبة نجاحنا في الماجستير"

- "ده كلام برضو يا أحمد؟ معقول تبعتر الفلوس كده؟"

- "شوفتي بقى نكدِك، يا نادية افرحي شوية، اللي عملناه ماكنش قُليل، إحنا نستحق نروق على حالنا حبتين"

بصت له وهي بتبتسم بلؤم، وقالت له بهزار:

- "أنا نكدية يا أحمد؟"

- "لا يا ستي أنا اللي نكدي"

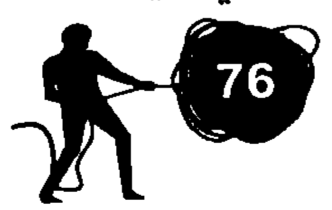
- "أيوة نكدي، ومُبذر كمان، ومحتاجني عشان أقرُص لك ودنك كُل ما تصرف الفلوس كده"

ابتسم، وبص لها بنظرة كُلّها اهتمام، وبعدين قال:

- "أيوة، محتاجِك فعلًا"

مَفِهمتش، كانت عايزة تسأله يُقصد إيه، في اللحظة اللي قاطعهم فيها الجرسون بالطلبات، نزّل الأكل على الترابيزة قُدّامهم، تمنى لهم وجبة سعيدة، وبعدين سابهم ومشي، شاور "أحمد" على طبق "نادية" وبعدين قال لها:

- "دوقي بقى البروكلي ده، أخويا بيقول لي إنّه أطعم بروكلي داقه في حياته"



مسكت "نادية" الشوكة وقطعت حتّة من البروكلي، وبعدين حطتها في بُقها وابتدت تمُضغها، الطعم سحرها، لدرجة إنّها غمضت عينيها من فرط جماله عشان تستمتع بيه أكتر، سمعت صوت "أحمد" بيقول لها:

- "إيه رأيك؟"

- "حلو أوي يا..."

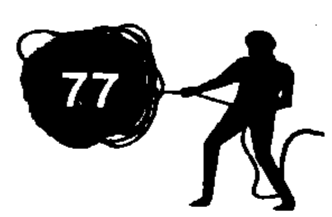
فتّحت عينيها، بس ملقتش "أحمد" قاعد على الكُرسي، كان على الأرض، نازل نُص رُكبة، بيبُص لها بابتسامة متوترة، وماسك في إيده علبة قطيفة مفتوحة، جواه خاتم منقوش على قمّته حجر أزرق لامع..

المزيكا وقفت، والناس في القاعة اِبتدوا ينتبهوا للي بيحصل، صيحات السعادة والحماس اِبتدت تطلع من الجميع، الكُل كان متفاجئ، بس محدش فيهم كان متفاجئ بجد زيّ "نادية"..

اتخضّت، قلبها كان بيدُق بشكل سريع، في اللحظة اللي "أحمد" بص فيها للخاتم، وبعدين بص لها وهو بيقول:

- "أقصد... إيه رأيك؟"

"نادية" مكانتش مستوعبة ولا قادرة تجمّع اللي بيحصل، ولا كان يُخطر على بالها في يوم إن "أحمد" مُمكن يتقدم لها، هيَّ مكانتش غبية، كانت عارفة أو نقدر نقول حاسّة من ناحيته بمشاعر، أصل مش طبيعي إن حد يهتم بحد تاني بالطريقة دي ويبقى شايفه مُجرد صديق يعني، اهتمامه كان صريح وواضح، مما يدُل على مشاعره، بس هي كانت فاكرة إن مشاعره دي مُجرد مشاعر إعجاب، مش حُب، مش هيام! مش مشاعر واصلة للدرجة دي، للدرجة اللي تخليه يتقدم



لهـا، "نادية" عُمرهـا مـا توقعـت إنّـه مُمكـن يتقـدم لهـا كـده، بالشـكل ده، وفي التوقيـت ده، وبالسُرعـة دي..

- "نادية؟!"

قـال اسـمها وهـو بيشـيل الخاتـم مـن علبتـه وبيمـده ناحيتهـا، عينيـه كانـت بتقـول إنّـه كان واثـق مـن الـلي بيعملـه فـوق الوصـف، أمّـا هـيَّ مكانتـش واثقـة مـن أي حاجـة، أي حاجـة خالـص، مكانتـش عارفـة تعمـل إيـه أو تقـول إيـه، متقـدرش تنكـر إنّهـا حسّـت ناحيتـه بمشـاعر إعجـاب، بـس مشـاعرها متعدتـش المرحلـة دي، ورجعـت تـاني لمشـاعر صداقـة، "ناديـة" كانـت شـايفة "أحمـد" حـد غـالي عـلى قلبهـا جـدًا، يمكـن أغـلى حـد موجـود في حياتهـا دلوقتـي، لكـن مقدرتـش تشـوفه كحبيـب، أو أكـتر مـن كـده كـمان! كـزوج!

- "تقبلي.. تقبلي تتجوزيني؟"

قـال الجُملـة الأخـيرة واسـتنّى يسـمع ردهـا، ردهـا الـلي هـي نفسـها مكانتـش عارفـاه، حاولـت تهـدي نفسـها، حاولـت تفكّـر بمنطقيـة شـوية..

"إيـه المُشـكلة يـا ناديـة؟"، قالـت لنفسـها، "إيـه المُشـكلة؟ قوليـلي؟ هتلاقـي فـين حـد يحبّـك زيّـه؟ ويهتـم بيـكي ويشـيلك فـوق دماغـه؟ هتلاقـي فـين حـد فاهمـك وعارفـك وحافـظ تفاصيلـه زيّـك؟"

"بس.. بس أنا مش بحبّه! إزاي أوافق وأنا لسّه مش بحبّه!"

"مـش مُهـم، مـش مُهـم يـا ناديـة، الحُـب هييجـي لوحـده بعـد كـده، الحُـب هييجـي مـن اهتمامـه بيـكي المُسـتمر وإحساسـك بمشـاعره الصادقة"

"طـب... طـب هـو لـو الحُـب بييجي فعـلًا مـع الاهتـمام، ليـه ماحبتوش لحـد دلوقتـي مـع إنّـه عـدّى عـلى علاقتنـا أكـتر من سـنتين!!"



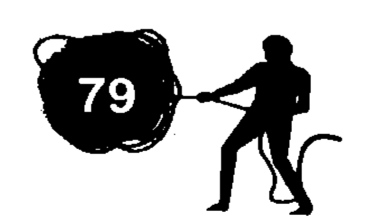
- "نادية؟"

نـده "أحمـد" عليهـا للمـرة التانيـة لمّـا لاحـظ تأخرهـا في الـرد، إبتـدا يقلـق، قطـرات العـرق كانـت بتنهمـر عـلى جبينـه، وهـي كـمان، نبضـات قلبهـا كانـت في السـما، إيديهـا كانـت بترعـش، بصّـت حواليهـا، الـكُل كان بيبُـص عليهـا، لسـان حالهـم كان بيقـول يـا تـرى هتوافـق ولا لأ، هـي نفسـها كانـت بتصـارع أفكارهـا ومـش عارفـة تـرُد تقـول إيـه، تُرفـض وتحرجـه؟ وتخاطـر بإنّهـا تخسر حـد زيّـه؟ أكـتر حـد اهتـم بيهـا في الفـترة دي؟ أكـتر حـد حسّـت إن في بينهـم حاجـات كتـير مُشـتركة، وتفاصيـل وذكريـات حقيقيـة بتجمعهـم، تُرفضـه؟ ولا تقبـل عـلى الرغـم مـن إنّهـا مابتحبـوش؟ تقبـل وتحـاول تحبّـه، وتسـمع لصـوت عقلهـا الـلي بيقـول إن الحُـب هييجـي بعـد الجـواز؟

فضلـت "ناديـة" سـاكتة للحظـات، "أحمـد" كان قـرّب يفقـد فيهـم الأمـل، بلـع ريقـه، وكان هيقـول حاجـة أخـيرة، قبـل مـا يلاقـي "ناديـة" بتغمـض عينيهـا، وبتتنهـد بعُمـق، وبعديـن بتفتـح عينيهـا مـرة تانيـة، وبتبتسـم، ابتسـامة حاولـت تطلعهـا صادقـة، وبعديـن قالـت:

- "موافقة... موافقة يا أحمد"





بصيت في الساعة، واكتشفت إن ميعاد الجلسة خلص، رجعت بصيت لها تاني وقُلت لها:

"على الرغم من فضولي اللي مخليني عايز أعرف إيه اللي حصل بعد كده، إلا إنّ يؤسفني أقولك إن وقتنا خلص النهاردة، نكمل في الجلسة اللي جاية؟"

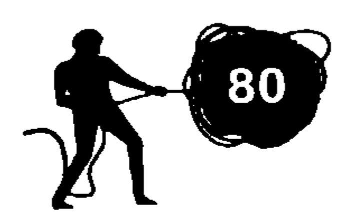
- "آه... أكيد"

- "مش هكتب لك على دوا قوي، مُهدئ بسيط بس عشان تقدري تنزلي وتمارسي حياتك بشكل طبيعي، لحد ما نكمل الحكاية مع بعض"

- "تمام، مُتشكرة أوي يا علاء"

قامت وسلمت عليا بعد ما خدت الروشتة مني، وخرجِت، في اللحظة اللي قعدت فيها ورجعت فيها بالكُرسي لورا، وإبتديت أفكر بيني وبين نفسي، وأنا بستعيد حكاية "نادية" مع "أحمد"، وحكاية "خالد" مع "سارة"..

***



عـدى أسـبوع مـن وقتهـا، كان شـاغل بـالي فيـه حكايـة "خالـد" أكـتر مـن حكايـة "ناديـة"، وكُنـت مُهتـم بـ"ناديـة" أكـتر مـا كُنـت مُهتـم بـ"خالد"، يمكـن لإن حكايـة "خالـد" فكرتنـي ببدايـة ارتباطـي بــ"أروى"، وحُبنـا اللـي ماكنـش لـه حـدود، أمـا اهتمامـي بشـخص "ناديـة"، فيمكـن لإنهـا كانـت سـت مُميـزة، وجميلـة، قُليـل مـا بشـوف زيهـا..

المُهم..

كُنـت في طريقـي لبيـت والـدة "أروى" عشـان أشـوف الـولاد كعـادة كُل أسـبوع، ركنـت العربيـة وطلعـت البيـت، ركبـت الأسانسـير ودُسـت عـلى زُرار الـدور الرابـع، وأول مـا وصلـت وفتحـت بـاب الأسانسـير، لقيـت "أروى" في وشي..

اتخضيـت، وهـيَّ كـمان اتخضـت زيـي، قلبـي دق دقـة فرحـة، كان بقـالي كتـير مشـوفتهاش، بـس حاولـت أسـيطر عـلى مشـاعري ومَبينهـاش..

- "إزيك يا أروى؟"

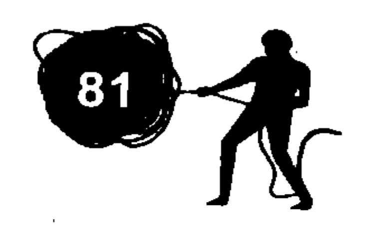
سـألتها وأنـا بطلـع مـن الأسانسـير وبمسـك بابـه عشـان محـدش يسـحبه، لقيتهـا بترجـع خطـوة لـورا وهـيَّ بتقـول:

- "إزيك إنت يا علاء؟ عامل إيه؟"

- "الحمد لله، كويس يا أروى، وإنتي؟ كويسة؟"

- "كويسة"

قالتهـا بنـبرة جاهـدت عشـان تطلعهـا صادقـة، بـس أنـا مَصدقتهـاش، مَصدقتـش إنهـا كويسـة، زي مـا كُنـت مُتأكـد إن هـيَّ كـمان مَصدقتنيـش، فضلـت باصـص لهـا مـن غـير مـا أتكلـم، وكأني بتملـى مـن ملامحهـا، مـين



عـارف هشـوفها تـاني إمتـى، حسـيتها اتكسـفِت مـن نظـرتي الطويلـة، وشـها بقـى أحمـر وبصـت في الاتجـاه التـاني واتلخبطـت، حاولـت أقـول أي حاجـة عشـان الموقـف مَيبقـاش مُحـرج أكـتر مـن كـده..

- "الولاد جاهزين؟"

- "آه جاهزيـن، مُهنـد بيسـتنى اليـوم ده مـن الأسـبوع للأسـبوع عشـان يشـوفك، متعلـق بيـك أوي"

- "وسما؟"

سـكتت ومَعرفتـش تـرُد، سـؤالي كان سـخيف، بـس كُنـت قاصـد أرميـه، لإني كُنـت متضايـق بينـي وبـين نفـسي مـن مُعاملـة "سـما" ليـا، وكُنـت بلـوم "أروى" عـلى ده، بـس ماكُنتـش قـادر أقـول كـده..

- "صدقنـي يـا عـلاء، أنـا بحـاول معاهـا بـس هـي.. مـش مُتقبلـة الـلي حصـل"

- "أتمنـى بـس الموضـوع ميتطـورش معاهـا لمُشـكلة كبـيرة، وأتمنـى ماتكرهنيـش"

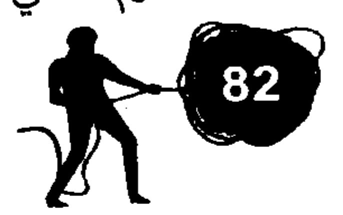
- "إيـه الـلي بتقولـه ده يـا عـلاء! تكرهـك إيـه بـس! لأ طبعًـا مـش هتكرهـك، لا هـيَّ ولا مُهنـد"

كان نفسي أسألها وأقول لها..

"وإنتي.. لسه بتحبيني ولا لأ؟ هَتقدري تكرهيني يا أروى!"

لكـن طبعًـا مقدرتـش، بـس مـن الواضـح إن السـؤال بـان في عينيـا، طـول عُمرهـا حافظـاني، وبتفهمنـي مـن نظـرة عـين، لقيتهـا بتحـاول تقفـل الحـوار عشـان متحرجنيـش، وقالـت:

- "أنا لازم أمشي عشان متأخرش على الشُغل"



- "تمام، اتفضلي"

فتحت لها باب الأسانسير على الآخر عشان تُدخل، دخلت فعلًا، وقبل ما أقفله عليها لقيتها بتقولي:

- "هو إحنا هنروح للمُحامي امتى؟ يعني عشان.. عشان إجراءات الطلاق وكده"
- "قُريب، قُريب يا أروى إن شاء الله، أظبُط أموري بس في البيت والشُغل وهنروح حاضر"
- "تمام، أتمنى نعمل ده بسُرعة"

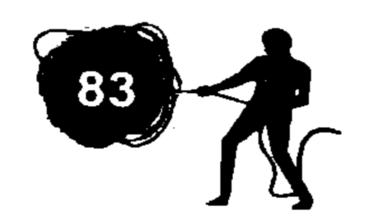
بصيت لها، في اللحظة اللي حست فيها إنها اتسرعت لما قالت كده، فكملت بسُرعة:

- "أقصد يعني، عشان إنت تستقر و.."
- "فاهم يا أروى، مَفيش داعي للشرح، أوعدك هنروح في أقرب وقت"

بصت لي وهزت راسها، قبل ما أحييها بابتسامة مُفتعلة، قفلت باب الأسانسير عليها، وراقبت الأسانسير وهو بينزل وبيختفي من ورا الباب، زي ما هي اختفت من حياتي..

فضلت واقف مكاني للحظات، بحاول أسيطر فيهم على وجع قلبي اللي حسيته لما شُفتها، قبل ما أتحرك ناحية باب الشقة وأخبط عليه، عشان أشوف الأولاد وأوصلهم للمدرسة، وأطلع بعدها على المُستشفى، عشان اسمع بقية حكاية "خالد"، اللي كان هيحكي لي عن بداية اختلاف قناعاته، هو و"سارة"..





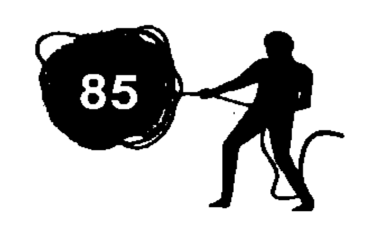


10:00 صباحًا..

"كُنّـا دايمًـا عكـس بعـض، قـولي مـن إمتـى اتفقنـا.. ده إحنـا لـو نشـبه لبعـض، فـ الشـبه.. يمكـن فُراقنـا!"

فضـل "خالـد" مركـز في كلـمات الأغنيـة وهـو قاعـد في الكافيـه عـلى النيـل، خـد رشـفة مـن كوبايـة الشـاي اللـي قُدّامـه، بـص في سـاعته، وبعدين اتنهـد في نفـاد صبر، كان بقـى لـه أكـتر مـن سـاعة قاعـد في الكافيـه مسـتني "سـارة"، آخـر مـرة كلّمهـا كان مـن نُـص سـاعة، وقفلِـت عليـه، جـرّب يكلمهـا تـاني، موبايلهـا اتقفـل، اتضايـق أكـتر، فجـأة، لقاهـا داخلـة مـن بـاب الكافيـه وبتـدور عليـه بعيونهـا، شـاور لهـا مـن مكانـه عشـان تشـوفه، وحـاول يبتسـم عشـان مـا يظهـرش ضيقـه عـلى وشّـه..

"اِهـدى يـا خالـد"، قـال لنفسـه، "أكيـد في حاجـة أخّرتهـا، أكيـد متأخرتـش عليـك عـن قصـد يعنـي"



اتنهد للمـرة التانيـة، وقابلهـا بابتسـامة، هـي كـمان أول مـا قربـت منّـه ابتسـمت بتعـب، وأول مـا وصلـت عنـده قالت:

- "معلـش يـا حبيبـي الطريـق كان زيّ الزفـت، أنـا مخلصـة الشُـغل في معـادي بـس ماكُنتـش لاقيـة حاجـة أركبهـا، اِتأخـرت عليـك؟"

قعـدت عـلى الكُـرسي الـلي قُدّامـه وهـي بتبُـص في سـاعة موبايلهـا، وبعديـن ضمّـت حواجبهـا وهـي بتبُـص لـه، مـدّت إيدهـا ومسـكت إيـده وهـيَّ بتقـول لـه:

- "أنا آسفة يا خالد، مخدتش بالي خالص إنّي اِتأخرت أوي كده"

هز "خالد" دماغه وقال:

- "ولا يهمك، المُهم إن إنتي هنا"

- "صدقنـي لـولا وحيـد كان زمـاني كُل ده لسّـه في الشـارع مـش لاقيـة حاجـة أركبهـا، الحمـد لله إنّـه.."

- "وحيد مين؟"

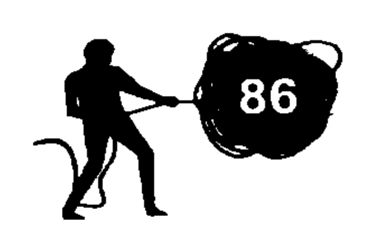
قاطعها بنبرة هادية لكن مُتشككة، ردّت وقالت:

- "وحيد يا ابني زميلي في الشُغل، ما إنت عارفه"

- "آه، ماله بقى؟"

- "شـافني واقفـة في الشـارع ومـش لاقيـة مواصـلات فعـرض عليّـا يوصلنـي، كـتّر خـيره بجـد"

اِبتـدت ملامـح "خالـد" تتغـيّر، وبـان عليـه الضيـق، افتكـر لمّـا كلمهـا مـن نُـص سـاعة وقفلـت عليـه، معقـول تكـون قفلـت عليـه عشـان كانـوا



بيتكلموا في العربية! اِبتدا الضيق يتحوّل لغضب، كان بيكافح عشان مايتعصبش عليها، رد بصوت حاول يطلعه هادي:

- "معلش بس عشان أنا مش فاهم، هو إنتي إزاي تسمحي لحد غريب يوصلك يعني؟"

"سارة" اتفاجئت من ردّه، بصّت له وقالت:

- "وحيد مش غريب يا خالد! أنا أعرفه بقالي كتير جدًّا! وبعدين أنا مش عيّلة صُغيرة برضو، أنا أدرى بالناس اللي في حياتي وأقدر أحكم عليهم كويس"

- "يعني إنتي ترضي إنّي أبقى متأخر عليكي عشان كُنت بوصّل زميلتي في الشُغل؟ تقبلي إنّي أوصلها أصلًا؟"

- "وفيها إيه يعني يا خالد هي دي حاجة غلط!"

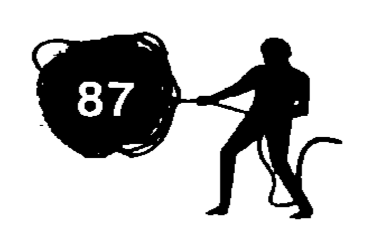
- "طبعًا غلط! لمّا تبقي مش محترمة الراجل اللي معاكي تبقى غلط!"

- "مُمكن توطّي صوتك؟ الناس بتبُص علينا"

"خالد" مَخدش باله من صوته العالي، ولا وشّه اللي بقى شبه حبّة الطماطم من كُتر الغضب، وبمُجرد ما الناس شافوا عيونه اللي كانت بتطُق شرار بصوا قُدّامهم، في نفس اللحظة اللي "سارة" وجهت كلامها ليه فيها وقالت:

- "يعني إيه مش بحترمك؟ أنا مش فاهمة!"

- "آه يا سارة مش بتحترميني، لمّا يبقى أغلب صُحابك ولاد، ومعلش أصل إحنا صحاب من المدرسة، ومعلش أصل إحنا عِشرة من أيام الجامعة، ولأ ده زميلي في الشُغل القديم، وده كان معانا في المسرح



ما إنت عارفه! يبقى آه مش بتحترميني! لمّا يبقى كُل خروجاتك ونزولاتِك مع ولاد ورايحة جاية معاهم و..."

قاطعته بعصبية:

- "هو في إيه! هو أنا بنزل معاهم لوحدي؟ ما إحنا بنبقى صحاب متجمعين يا خالد ولاد وبنات في بعض!"

- "النهاردة كُنتي لوحدِك"

- "النهاردة كُنت مُضطرة. ماكنش في مواصلات وكُنت متأخرة عليك، كُنت عايزني أعمل إيه يعني!"

- "كُنتي تكلميني أجيلك!!"

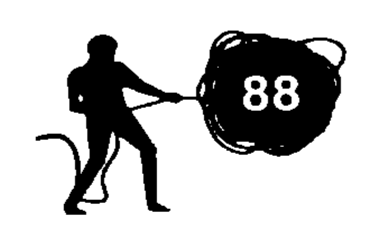
- "بقولك الطريق كان زيّ الزفت! كُنت هفضل واقفة في الشارع كُل ده؟! وبعدين الموضوع مجاش في دماغي لإنّي ماكُنتش عايزة أتعبك"

- "أيوة أيوة، أصلِك مش تاعباني دلوقتي، مش كده!"

بصّت له وهي مش قادرة تستوعب اللي بيقوله، هو كمان ماكنش قادر يفهم هيَّ إزّاي مش فاهماه، ردّت وقالت:

- "في إيه يا خالد؟ في إيه بجد!"

- "فيه إنّي تعبت يا سارة! تعبت من إنّي مغصوب عليّا أستحمل حاجة أنا مش قابلها ومش موافق عليها، إنّك تتأخري في الشُغل وأعرف إنّك قاعدة مع رجالة لوحدِك! ولمّا اعترض تشغلي لي اسطوانة إن ده شُغل ومكان أكل عيش وهتعملي إيه يعني، إنّك تُخرجي مع صُحابك وأنا عارف طريقتك في الهزار والضحك معاهم عاملة إزّاي! وتشغلي لي أسطوانة الثقة وإنّي المفروض أبقى واثق



إنّـك بتحبّينـي، أنـا تعبـت مـن إنّـك مـش قـادرة تحُطّـي نفسِـك مـكاني، وتشـوفي الموضـوع بعينـي ولـو لمـرة! أنـا بفكـر زيّهـم يـا سـارة، أي راجـل في الدُنيـا لمّـا يلاقـي البنـت بتبُـص لـه بطريقـة مُعينـة وعـادي معـاه وبتضحـك وبتهـزر هيبـدأ يفكـر فيهـا! ومـش كُل النـاس تعـرف إن إحنـا مـع بعـض!"

فجأة، لقاها بتضحك بسُخرية، استفزته أكتر ما كان مُستفز..

- "إنتي بتضحكي!"

- "طبعًـا بضحـك! مـش ملاحـظ إن آخـر جُملـة قُلتهـا دي تضحـك أوي؟ بجـد يعنـي!"

سكتت لحظة، ضمّت إيديها قُدّامها وقالت بشيء من الجدّية:

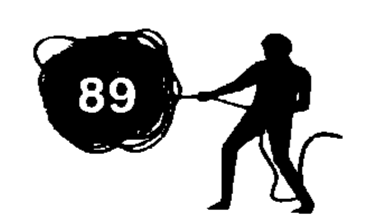
- "تفتكـر دي غلطـة مـين يـا خالـد؟ إن مـش كُل النـاس عارفـين إننـا مـع بعـض، وبنحـب بعـض"

فضـل "خالـد" باصـص لهـا وهـو سـاكت، وإبتـدا يفهـم الـكلام هيوديهـم عـلى فـين، كمّلـت وقالـت:

- "عـارف أنـا ليـه كلمتـك وقُلـت لـك نتقابـل النهـاردة؟ عشـان الموضـوع ده بالـذات، في عريـس تـاني اتقـدم لي يـا خالـد، عريـس تـاني! دكتـور وجاهـز، ومسـتعجل عـلى الجـواز جـدًا"

سكت "خالد" وبص الناحية التانية، بس هيَّ كمّلت:

- "ده رابـع عريـس يتقـدم لي في سـنة واحـدة! عمامـي في البلـد اِبتـدوا يتكلمـوا، ودول صعايـدة، مـش هيفهمـوا رفـضي المُتكـرر ده بشـكل صـح أبـدًا، عرفـت بقـى أنـا بضحـك ليـه؟ أصـل لمّـا تقـولي إن مـش كُل



الناس عارفين إننا مع بعض، تبقى دي غلطتي؟ ولا غلطتك إنّك لحد دلوقتي ماجتش تتقدم؟"

فضل "خالد" ساكت وبيقاوم عشان ميتكلمش، كان عارف إنّها مش هتفهمه، كمّلت وقالت:

- "أنا فعلًا مش قادرة أفهم! لو على الشُغل فـ إحنا بنشتغل إحنا الاتنين وهنقدر نشيل بعض، لو على الماديات قُلت لك ملكش دعوة أنا هعرف أتكلم مع أهلي والدنيا مش هتبقى تقيلة يعني، يبقى إيه اللي يمنع إن يبقى في بيننا حاجة رسمي؟ الفكرة السخيفة اللي في دماغك عن الجواز، مش كده؟"

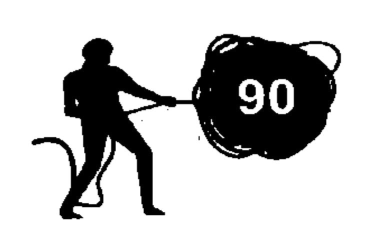
استفزته، رد وقال:

- "يا سارة إحنا مَبقالناش كتير مُرتبطين"

- "تلات سنين مش كتير؟"

- "لا يا سارة مش كتير. مش كتير خالص! يا سارة ده جواز، يعني محتاجين نبقى مُتأكدين من اختيارنا 100% قبل ما نُقدم على الخطوة دي"

- "نفس الكلام اللي بتقوله في كُل مرة بفتح معاك الموضوع ده، وكُنت مُقتنعة بيه، من سنة، من سنتين، لكن دلوقتي، بعد 3 سنين، بعد كمية العرسان اللي بتتقدم لي دي كُلّها والضغط اللي عليّا اللي إنت مش هتقدر تتخيله، ده يخليني أعيد عليك نفس السؤال مرة تانية، 3 سنين مش كتير يا خالد؟"



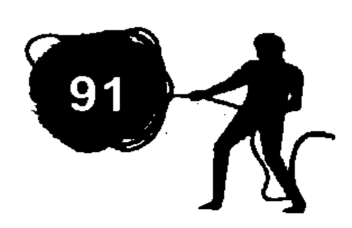
سـكت، واتنهـد بتعـب، حسّـت إنّهـا ضغطـت عليـه، اتنهـدت هـيَّ كـمان، بصّـت الناحيـة التانيـة، وبعديـن رجعـت بصت لـه، مسـكت إيـده وقالـت بصـوت حنـيّن:

- "أنـا عارفـة يـا خالـد، والله عارفـة، وفـاة والدتـك، هـروب والـدك، وعلاقـة خالتـك بجوزهـا هُـمّا السـبب في تبنّيـك القناعـة دي وإنّـك تبقـى خايـف مـن الجـواز كـده، لكـن يـا خالـد إحنـا مـش زيّهـم، إحنـا بنحـب بعـض، وهنسـاعد بعـض عشـان العلاقـة دي تنجـح"

- "إنتـي مـش عارفـة ده! مـش عارفـة إذا كان الحُـب لوحـده هينجـح العلاقـة ولا لأ، يـا سـارة إحنـا كُل يـوم بنكتشـف حاجـة جديـدة في بعـض، أديـكي شُـفتي بنفسِـك أهـو إزاي اتخانقنـا عشـان سي زفـت ده وصّلِـك النهـاردة"

- "وهنفضـل نتخانـق يـا خالـد! وهنزعـل وهنتصـافى في الآخـر زيّ أي اتنـين بيحبّـوا بعـض وعايزيـن بعـض، مـا هـو مـش معنـى إن إحنـا بنحـب بعـض إننـا هنعيـش حيـاة خاليـة مـن المشـاكل"

- "مَقولتـش كـده، بـس أنـا عايـزِك تتخيـلي معايـا كـده لـو كانـت قناعاتنـا واحـدة، تخيـلي معايـا الموضـوع ده مثـلًا، لـو إنتـي احترمتـي غـيرتي واتعاملتـي مـع كُل الرجالـة بحـدود وفي نطـاق الزمالـة وبـس، أو لـو أنـا كُنـت شـخص مُتفهـم وماعنديـش مُشـكلة في إنّـه يبقـى عنـدك صُحـاب رجالـة، تخيـلي لـو ده كان حاصـل يـا سـارة، ماكنـش هيبقى فيه مُشـكلة مـن الأسـاس، مَكُنّـاش هنبقـى قاعديـن بنتخانـق دلوقتـي، قيـسي عـلى ده بقـى حاجـات كتـير، كُل حاجـة إنتـي مُمكـن تبقـي مؤمنـة بيهـا أو عايزاهـا وأنـا مـش عايزهـا أو العكـس، ده هيـؤدي لـزواج وبيـت عامـل إزاي؟"



سكتت شوية، وبعدين قالت:

- "عندك حق"

اِتفاجئ من رد فعلها، فضل باصص لها وهو مستنيها تكمّل، وفعلًا كمّلت وقالت:

- "بس على الأقل، أنا عندي استعداد إنّي أضحي بحاجة من الحاجات اللي أنا عايزاها دي عشان خاطرك، عشان المركب تمشي، السؤال هنا، إنت عندك استعداد تضحي عشاني؟"

فضل ساكت، لحد ما الدموع اِبتدت تتكوّن في عينيها، قالت بصوت مكسور:

- "من شوية كُنت بتقول إنّك تعبت عشان بتستحمل حاجات مش قابلها، طب وأنا أقول إيه؟ أنا مش بس تعبت يا خالد، أنا قرّبت أجيب آخري، إنت عُمرك ما هتقدر تحُط نفسك مكاني لإن رغبة الجواز أصلًا مش موجودة عندك، عُمرك ما هتقدر تحس بالنظرات اللي بتتوجه لي، سواء من أهلي أو من زمايلي في الشُغل، ولا هتقدر تحس إحساسي لمّا بعرف إن واحدة صاحبتي اتخطبت أو اتجوّزت، بعمل المُستحيل عشان أبيّن لها إنّي فرحانة علشانها، وأنا فعلًا بكون فرحانة، بس إحساسي إنّي مش قادرة أكون في مكانها بيغلبني، فكرة إنّي بحب واحد وهو بيحبّني، وبقالنا سنين مع بعض، ومَفيش مُشكلة مادية معطلانا، ومع ذلك لحد دلوقتي مخدناش خطوة رسمي، وهو مش حاطط في اعتباره أصلًا إنّه ياخُدها، دي حاجة بتقتلني، تحب تعرف أكتر يا خالد؟ بعد كُل ميعاد أو خروجة حلوة ما بيننا، قبل ما أنام ولمّا بغمّض عيني، بلاقي نفسي بعيّط غصب عنّي، دموعي بتغرق المخدة كُل ليلة

بعد ما بنتقابل، لإنّي على قد ما بكون فرحانة ومبسوطة، إلا إنّي بفوق على أتعس واقع في الوجود، إن الفرحة دي وقتية، إنّي معاك مش قادرة أشوف المُستقبل، وإنّي مش حاسّة بالأمان، وإنّي خايفة، حقيقي خايفة، كُل ليلة بدخُل في صراع مع نفسي، ما بين حُبّي ليك اللي مالوش حدود، وما بين إحساسي إنّك مش عايز اللي أنا عايزاه، إنّك مش هنا عشان تطمّني، مش جمبي بحق وحقيقي، ومش عايز تفضل جمبي على طول"

بص لها بتأثر، والدموع كانت هتغلبه، مسك إيدها وهو بيقول:

- "ماتقوليش كده يا سارة، صدقيني أنا عايز أفضل جمبك على طول"

- "إزاي يا خالد؟! إزاي هتفضل جمبي؟! إيه الفكرة اللي في دماغك يعني؟ إن إحنا هنفضل متصاحبين طول العُمر!"

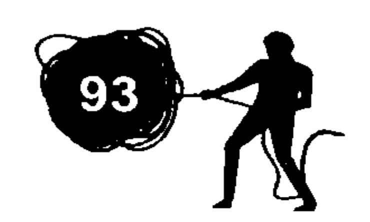
مردّش، فضل ساكت شوية، لحد ما لقاها بتسحب إيدها من إيده فجأة، في اللحظة اللي ظهر فيها الجرسون وقال:

- "تحبي تشربي حاجة يا فندم؟"

- "لا شُكرًا، أنا ماشية خلاص"

اتحرك الجرسون في اللحظة اللي بص لها "خالد" فيها باستغراب وقال:

- "رايحة فين؟"



- "هسيبك تفكّر في الكلام اللي قُلته، وماتقلقش، هروّح لوحدي، ولو قابلني أي حد أعرفه هرفُض إنّه يروّحني، حتّى لو فضلت واقفة ساعتين في الشارع، عشان حضرتك ماتزعلش"

قالت الجُملة الأخيرة بسُخرية وماستنتوش عشان يرُد، اتحركت وسابته في مكانه، عاجز عن الكلام، عاجز عن التفكير، وعاجز حتّى إنّه يتحرك وراها، ومايسيبهاش تمشي بالشكل ده..

***

بصيت لـ"خالد" وبعدين قُلت له:

- "كلامها أثر فيك؟"

- "جدًا يا دكتور علاء، فوق ما تتخيل، حسيت إني وجعتها، وإني ظالمها بوجودها معايا"

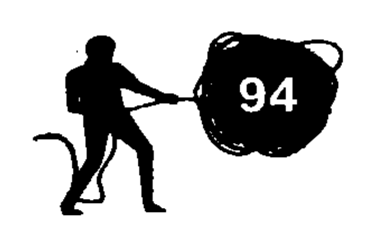
- "وبعدين؟! عملت إيه؟"

رجع بضهره في الكُرسي، قبل ما يقول:

- "هحكي لك"

***

عدّت أيام وأسابيع من ساعة ما اتكلموا، ماكنش شاغل تفكير "خالد" فيهم غير الموضوع ده، إحساسه كان بيقول له إنّهم مش جاهزين لده لسّه، أو هو مش جاهز لده، مش جاهز إنّه ياخُد خطوة جواز وهُمّا لسّه بيحاولوا يركبوا اختلافاتهم على بعض، وبيحاولوا يمنطقوا الأمور،

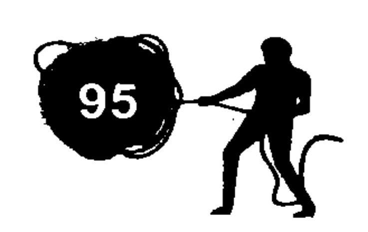


عقلـه كان بيقولـه إن مـش صـح ياخـدوا خطـوة زيّ دي وهُـمّا مـش واثقـين غـير مـن حاجـة واحـدة بـس، مشـاعرهم..!

كان حاسـس إنّهـم لـو اسـتعجلوا في الخطـوة دي وهُـمّا لسّـه بيحاولـوا يتوافقـوا مُمكـن يخـسروا كُل حاجـة، بـس في المُقابـل، قلبـه كان بيقـول لـه وفيهـا إيـه؟! فيهـا إيـه لمّـا يتجـوزوا؟! مشـاعره كانـت بتدفعـه في نفـس الوقـت ناحيـة الموضـوع لإنّـه عايـز يبقـى مـع "سـارة"، إحسـاس الفرحـة الـلي هيبقـى موجـود وقتهـا أكيـد مـش هيبقـى لـه مثيـل، كان عـارف ومُتأكـد مـن ده، كان مُتأكـد إن الفرحـة دي هتسـتمر لفـترة كبـيرة، بـس عقلـه كان بيدخُـل لـه مـن الناحيـة التانيـة ويقـول لـه..

"آه هتسـتمر لفـترة كبـيرة، بـس يـا تـرى، هـل هتسـتمر على طـول؟ هل هتسـتمر للأبـد؟ هـل ده القـرار الصح لمُجرد إنّكـم هتبقوا مبسـوطين؟"

ماكنـش عـارف يجـاوب عـلى السـؤال، كان مُـدرك إن اختلافاتهـم كتـيرة، هـو رافـض مبـدأ الخلفـة مثـلًا، هـي أكيـد هتبقـى عايـزة تخلّـف، هـو عنـده مُشـكلة في الصُحـاب الرجالـة وبيتمنّـى تقطـع معاهـم كُلّهـم، هـيَّ متقـدرش تعمـل ده وهتعتـبر ده تحكّـم منّـه، حاجـات كتـير كان بيفكـر فيها كانـت بتخـلي فكـرة الجـواز صعبـة التحقيـق وتـكاد تكـون غير منطقيـة، ده غـير الاختلافـات الجسـيمة في الشـخصية والقناعـات الـلي بيحاولـوا يتأقلمـوا عليهـا، كُل ده كان بيقـول إنّـه مـش وقتـه، بـس في نفـس الوقـت، كلامهـا كان عامـل ضغـط كبـير عليـه، مـا هـي في الأول وفي الآخـر بنـت، ومُجتمعنـا مبيرحمـش البنـات الـلي بتتأخـر في الجـواز وبتُرفـض العرسـان، كُل ده كان ضاغـط عليهـا وبالتـالي كان ضاغـط عليـه هـو كـمان، بـس لمّـا فكّـر فيهـا بعقلـه حـس إن مـش المفـروض يكـون في ضغـط أصـلًا! مـا في نـاس بتتجـوّز

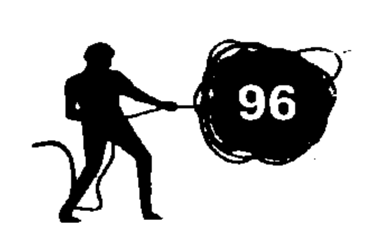


في التلاتينـات! إيـه المُشـكلة يعنـي! مـش لازم ولا مفـروض عشـان الـلي حوالينـا بيتجـوزوا يبقـى نعمـل زيّهـم..

"بنحـب بعـض؟"، سـأل نفسـه، "آه بنحـب بعـض، في حُـب وفي راحـة وفي مشـاعر مَلهـاش مثيـل، في تفاهـم وفي قبـول لبعـض الطبـاع والعيـوب، لكـن في نفـس الوقـت في اختلافـات جسـيمة، في قناعـات عكـس بعـض، في مبـادئ مـش واحـدة!"

"خالـد" كان مُـدرك إن "سـارة" خايفـة، بـس هـي مكانتـش مُدركـة إن هـو كـمان خايـف، وإن مـن حقـه يخـاف نظـرًا لـكُل الـلي شـافه في طفولتـه ومُراهقتـه، "خالـد" كان نفسـه "سـارة" تفهـم إن كُل الـلي كان بيتكلـم فيـه هـو إنّهـم المفـروض يبقـوا جاهزيـن مـن كُل النواحـي قبـل مـا ياخـدوا قـرار زيّ ده، جاهزيـن نفسـيًا وعاطفيًـا، وعقليًـا واجتماعيًـا وماديًـا، جاهزيـن ومُسـتعدين يبـدأوا حيـاة جديـدة بجـد سـوا، مُقبلـين عليهـا، وعايزيـن يعيشـوا كُل لحظـة فيهـا بـكُل طاقتهـم، واخديـن قـرارات ضامنينهـا وضامنـين إنّهـم هيكونـوا قدّهـا، وواخديـن خطـوات في تنفيذهـا مـش مُجـرد أحـلام في خيالهـم وخـلاص..

"هـل كُل ده متوفـر عندنـا؟"، كان بيسـأل نفسـه، "ولـو متوفـر فـ بنسـبة كام في الميّـة؟ هـل إحنـا عايزيـن نتجـوز النهـاردة قبـل بُكـره لأي سـبب غير مشـاعرنا واحتياجاتنـا العاطفيـة وإننـا عايزيـن نبقـى مـع بعـض، والأمـور المُحيطـة زيّ الأهـل وإن النـاس كُلّهـا بتتجـوز وبتخطـب؟ هـل في شـكل ومُخطـط لمُسـتقبلنا مـع بعـض عشـان نفكـر في الجـواز؟ ولا هنسـيبها تمـشي كـده؟ هـل إحنـا شـبه بعـض وأفكارنـا ومُعتقداتنـا واحـدة فخـلاص نتـوكل عـلى الله لإن إحنـا ضامنـين إننـا هنعـرف نكمـل بـدون قلـق؟ هـل إحنـا جاهزيـن لـده؟"



ده الـلي كان "خالـد" بيسـأله لنفسـه، والإجابـة كانـت دايمًـا إنّهـم مـش جاهزيـن..

لكن، وبالرغم من كُل شيء، الصراع فضل مُستمر..

الصراع ما بين القلب والعقل..

أسـوأ مـا في صراع القلـب والعقـل، إنّهـم بيقدمـوا لـك خيـارات صعـب جـدًا إنّـك تختـار مـا بينهـم..

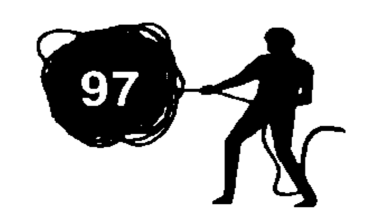
الخيار دايمًا بيكون ما بين اللي إنت عايزه، وما بين اللي إنت محتاجه..

وعـلى الرغـم مـن كُل فكـرة منطقيـة العقـل بيقدمهـا وبيحـاول يقنعنـا بيهـا، إلا إن في الغالـب، القلـب هـو الـلي بيغلـب..

بس مش دايمًا خيار القلب، بيكون هو الخيار الصح..!

الفـترة دي كانـت فـترة سـخيفة جـدًا عـلى "خالـد"، لإنّـه ماكنـش عـارف يشـوف "سـارة" زيّ الأول، ولا حتّـى عـارف يتكلـم معاهـا زيّ زمـان، الفـترة دي فكّرتـه بالفـترة الـلي بعـد عنهـا لمّـا اِبتـدا يحـس إنّـه بيحبّهـا، بـس المـرة دي الوضـع كان أصعـب، "سـارة" كانـت موجـودة في كُل تفصيلـة في حياتـه، وفجـأة، بقـى في سـخافة في التعامـل مابينهـم، بقـى حاسـس إنّـه بيخسرهـا، الفكـرة خوّفتـه أكـتر مـن خوفـه إنّـه مـش جاهـز للجـواز، وإنّ يفضـل الحال بينهـم كـده، ركـود وسـخافة، لحـد مـا تبطّـل تحبّـه! أو تـروح بمشـاعرها لحـد تـاني! مقـدرش يتعايـش مـع الفكـرة، وده كان كفيـل إنّـه يهـد تـاني قناعـة عنـده بعـد اعترافـه ليهـا، ويقـرر إنّـه يكلمهـا، ويقـول لهـا إنّـه موافـق عـلى الجـواز، وهييجـي يتقـدم أخـيرًا..





- "غلط! غلط جدًا يا خالد."

بص لي وهو مُندهش من ردة فعلي، سبت مشاعري تسوقني ولساني فلت غصب عني، حاولت أتمالك نفسي، وقُلت له بصوت هادي:

- "أقصد... لو سألتني عن وجهة نظري يعني، فأنا شايف إنه ماكنش ينفع أبدًا تتنازل عن قناعتك بالسهولة دي"

- "أنا عارف إن القرار اللي خدته ماكنش أنسب قرار، بس كُنت هعمل إيه يا دكتور؟! بحبها!"

قالها بنبرة وجعت قلبي، جُملته فكرتني بإحساسي بالضعف لما كُنت برجع أفكر في "أروى"، وفي احتمالية رجوعنا مرة تانية، هزيت راسي بتفهم وقُلت له:

- "فاهمك يا خالد، فاهمك جدًا، قولي، إيه اللي حصل بعد كده؟"

فتح بُقه عشان يتكلم، في اللحظة اللي الباب خبط فيها، ولقيت "دُعاء" بتُدخل منه وهيَّ بتقول:

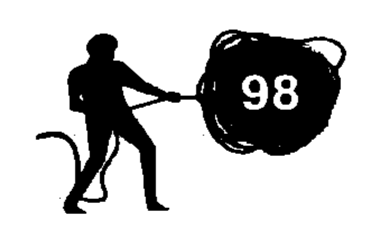
- "وقت الجلسة خلص يا دكتور، المُمرض المسئول عن.. أستاذ خالد.. واقف بره عشان يرجعه لأوضته"

بصيت على الساعة، مَحستش إن الوقت عدى خالص، لقيت "خالد" بيقوم من مكانه وهو بيبتسم، وبعدين قال لي:

- "أشوفك الجلسة الجاية يا دكتور"

رديت له الابتسامة وهزيت راسي، وراقبته وهو بيُخرج من الباب، وأول ما "دُعاء" اتطمنت إنه مشي، لقيتها بتقولي:

- "الإدارة ردت عليا من شوية بخصوص البيانات اللي حضرتك طلبتها مني"



- "عظيم، فين البيانات؟"

- "مرضوش يبعتوها يا دكتور!"

- "نعم! مرضوش يبعتوها ليه؟"

- "قالوا لي إن المريض اتكلم مع مُدير المُستشفى، وطلب منه بشكل شخصي إنه يحجب بياناته تمامًا، عن أي دكتور أو مُمرض في المُستشفى"

- "والمُدير وافق؟"

- "آه يا دكتور، الظاهر كده إن المُدير يعرفه، يمكن يكون حد تقيل في البلد وخايف على سُمعته"

فضلت ساكت للحظة وأنا بفكر في كلام "دُعاء"، قبل ما أقول لها:

- "طيب، الحالة الجاية حالة الدكتورة نادية، مش كده؟"

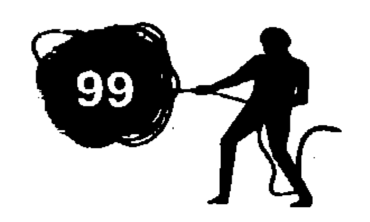
- "أيوة، ميعادها بعد ساعة من دلوقتي"

- "تمام، أول ما توصل خليها تُدخل على طول"

- "تحت أمرك يا دكتور"

خرجت وقفلت الباب وراها، ولعت سيجارة وسحبت نفس منها، وبعدين شغلت المسجل على تسجيل الجلسة الأولى بتاعة "نادية" عشان استعيد تفاصيل حكايتها، اللي اِنتهت بإنها وافقت على جوازها من "أحمد".

***





12:00 ظُهرًا..

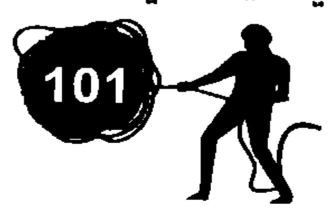
- "قـولي ورايـا يـا عروسـة، وأنـا قبلـت الـزواج منـك عـلى سُـنة الله ورسـوله"

فضلـت "ناديـة" بَصـة للـمأذون للحظـة، وبعديـن بصـت لــ "أحمـد"، وقالـت بصـوت فيـه حبـة تـردد:

- "وأنا.. قبلت الزواج منك.. على سُنة الله ورسوله"

- "ألف مبروك، بالرفاء والبنين إن شاء الله"

ده كان جوازهـم بمُنتهـى البسـاطة، مـن غـير فـرح، مـن غـير مـا أهلـه أو أهلهـا يكونـوا حاضريـن، بسـبب ظـروف إقامـة "أحمـد" و"ناديـة" في إنجلـترا الـلي منعتهـم مـن النـزول مـصر، مُجـرد كَتـب كتـاب بسـيط في السـفارة المصريـة بعـد تأكـد المـأذون هنـاك مـن موافقـة أهـل "ناديـة"، وبالرغـم مـن إن اليـوم ده المفـروض بيكـون أسـعد يـوم في حيـاة أي بنـت،



إلا إن "نادية" مكانتش مبسوطة، كانت فاكرة في الأول إنها مكانتش مبسوطة بسبب عدم وجود أهلها أو بسبب إنهم معملوش فرح، بس في الحقيقة هيَّ مكانتش مبسوطة بسبب حاجة تانية خالص، وهيَّ إن خوفها كان غالب على سعادتها، خوفها إنها تكون خدت قرار غلط، وخوفها من المُستقبل، وإيه اللي مُمكن يكون مخبيهولها.

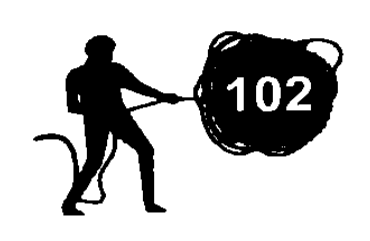
كانت بتفكر في كُل ده، في اللحظة اللي "أحمد" مسك إيدها فيها، قرب منها بالراحة، باسها على جبينها، وبعدين قال لها:

- "مبروك يا نادية، مبروك يا أحلى حاجة اتمنيتها من ربنا، وهَداني بيها"

ابتسمِت، بس مقدرتش ترُد عليه، في اللحظة اللي خدها فيها في حُضنه، وزي ما توقعت، حُضنه مريحهاش..

في البداية كُل حاجة كانت لطيفة، قضوا شهر عسل جميل جدًا في واحد من أجمل شواطئ إنجلترا، استمتعوا مع بعض بالبحر والهدوء والخدمة الراقية، حست "نادية" إنها كانت محتاجة للأجازة دي عشان تستقبل الدراسة في العام الجديد بعقل صافي ونفس مرتاحة، وحاولت تأقلم نفسها على التغيير الكبير اللي حصل في حياتها بزواجها من "أحمد"، حاولت برضو إنها تبعد تفكيرها عن فكرة إنها مش مرتاحة أو مش مبسوطة بشكل كامل..

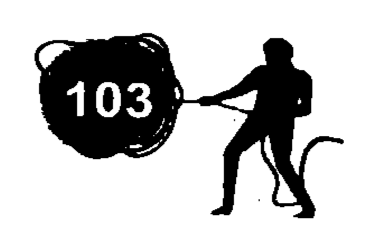
"اعقلي يا نادية"، كانت بتقول لنفسها، "محدش بياخُد كُل حاجة في الدُنيا، وبعدين إنتي مُمكن تكوني مُتخوفة بس من التغير في علاقتك بأحمد، وإن كُل حاجة حصلت بسُرعة ومن غير ترتيب، بس بمرور الوقت، هتبتدي تحسي بقيمته بجد، مع كُل حاجة هيِّحاول يقدمها لك عشان تبقي مبسوطة"



وده اللي كان "أحمد" بيحاول يعمله فعلًا، بمُجرد ما خلصوا شهر العسل ورجعوا، تكفل بتأجير شقة صُغيرة كده على قدهم، وقدم على وظيفة تانية في الجامعة إلى جانب وظيفته على الإنترنت، جابوا حاجات بسيطة جدًا عشان يبدأوا حياتهم بيها، وابتدوا يحضروا ويجهزوا موضوع رسايل الدكتوراة بتاعتهم، أكتر حاجة كانت مريحة "نادية" في "أحمد" إنهم كانوا هُما الاتنين بيدرسوا وبيشتغلوا في نفس المجال، اهتماماتهم تقريبًا واحدة، بيحضروا الندوات والمؤتمرات العلمية سوا، بيتكلموا في نفس المواضيع وبيتشاركوا نفس الاهتمامات، أوجه التشابه ما بينهم كانت من المُفترض تكون عامل قوي بيخدم العلاقة، وبيخلي "نادية" تبطل تفكير في أهم وأكتر حاجة كانت شاغلة بالها من ساعة ما اتجوزت "أحمد"، إنه بالرغم من كُل حاجة بيعملها عشان خاطرها، برغم المصاريف اللي بيصرفها والاهتمام اللي مغرقها بيه، برغم طيبته وجدعنته ووقوفه جمبها، برغم من إنه بيدعمها في شُغلها وفي دراستها ومصدقها ومؤمن بيها أكتر حتى ما هيَّ كانت مؤمنة بنفسها، إلا إنها... مكانتش بتحبه!

الحُب، حاجة واحدة بس زي إن الحُب مش موجود كفيلة إنها تعكر صفو أي علاقة مهما كانت مزاياها، مهما كان في توافق فكري وطبقي، مهما كان الشخص اللي إنت مُرتبط بيه كويس معاك، مهما كان بيحبك وبيهتم بيك، لو إنت مابتحبوش، أو لو معرفتش تحبه مع الأيام، هتفضل حاسس بإن في حاجة كبيرة أوي ناقصة في حياتك..

وعلى الرغم من إن الحُب كان يُعتبر حاجة واحدة بس اللي ناقصة في علاقتهم قُصاد كُل المزايا التانية، إلا إن ده كان كفيل يساوي الكفة، ويحسسها إنها مش مبسوطة ولا مرتاحة..



برغم كُل شيء "أحمد" كان بيقدمه، إلا إن ده ماكنش كفاية أبدًا... أبدًا لـ"نادية".

***

- "في إيه يا نادية؟"

- "أنا آسفة يا أحمد، آسفة بجد"

اِتعدل أحمد في جلسته على السرير، قام بعدها وقعد على طرفه، كان شبه عاري، وبينهج بشدة، وكان باين على ملامحه الضيق، ولع الأباجورة اللي جمبه في اللحظة اللي رَفعِت "نادية" فيها الملاية لحد دقنها عشان تداري جسمها العاري، حست إنها مش قادرة تبقى عريانة قُدامه في النور، كانت خايفة، خايفة من اللي بيحصل ما بينهم، واللي لسه حاصل دلوقتي..!

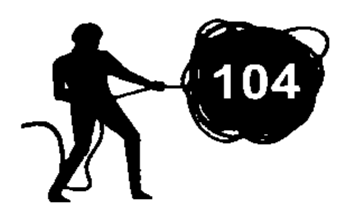
حاولت تقرب منه وهيَّ لافة الملاية عليها، جت على نفسها على قد ما قدرت وحاولت تلمس كتفه بكف إيدها، كانت مستغربة، هيَّ ليه مش قادرة تخليه يلمسها؟ ليه مش عارفة تستمتع بالعلاقة معاه؟ ليه.. بتنفر منه!

همست في ودنه بصوت واطي:

- "أحمد.. أحمد إنت كويس؟"

سكت شوية، كان بيحاول يهدي نفسه فيهم، قبل ما يلف ويواجهها، ملامح وشه اِبتدت ترجع للهدوء والاتزان مرة تانية، مسك إيدها برقته المعهودة، وبعدين قالها:

- "أنا تمام، تمام يا نادية، إنتي كويسة؟"



هـزت راسـها بالسـلب واِبتـدت الدمـوع تتكـون في عيونهـا، اِنهـارت مـن العيـاط وهـيَّ بتقـول لـه:

- "أنـا.. أنـا آسـفة بجـد، أنـا مـش عارفـة مـالي، مـش عارفـة مـالي يـا أحمـد!"

- "ششش، اِهدي، اِهدي يا نادية"

مـال عليهـا وحاوطهـا بدراعاتـه، حَضَنهـا جامـد، بـكُل قوتـه، حـاول يحتويهـا في حُضنـه عـلى قـد مـا قـدر، بـس هـيَّ مهديتـش، بالعكـس، حسـت برعشـة بتنتـاب جسـمها كُلـه، رعشـة رفـض، وحسـت إنهـا عايـزة تبعـده عنهـا في اللحظـة دي، قالـت لـه وهـيَّ بتعيـط:

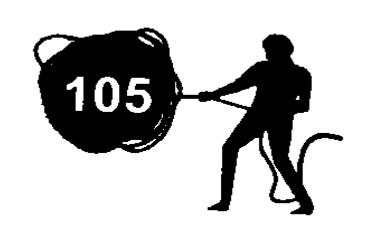
- " مش قادرة يا أحمد، مش قادرة"

- "خـلاص خـلاص، أنـا ماكُنتـش هعمـل حاجـة، أنـا.. كُنـت بحـاول أهديـكي بـس"

مكانتـش قـادرة تبُـص لـه مـن كُـتر مـا كانـت مكسـوفة منـه، فضلـت تعيـط بـس، لحـد مـا لقيتـه بيقـول لهـا، بصـوت هـادي:

- "بكـره إن شـاء الله هـنروح لدكتـور كويـس نكشـف عنـده، وإن شـاء الله ربنـا هيكرمنـا بحـلّ، أنـا مـش عايـزك تشـيلي هـم، كُل حاجـة هتبقـى كويسـة بـإذن الله، مـاشي؟"

بصـت لـه بصعوبـة، وهـزت دماغهـا، حـاول يبتسـم لهـا عشـان يطمنهـا، وبعدهـا قـام، وسـابها، سـاب الأوضـة خالـص، وبمُجـرد ما مـشي، ولدهشـتها، حسـت "ناديـة" إنهـا بقـت مرتاحـة شـوية، وكأن وجـوده جمبهـا كان هـو السـبب في انهيارهـا!



عنـد الدكتـور، كانـت "ناديـة" قلقانـة وخايفـة، كانـت خايفـة مـن إن الدكتـور يلاقـي حـل فعـلًا، وده لإنهـا مـن جواهـا، مكانتـش عايـزة الموضـوع يتحـل..

حقيقي مكانتش عايزة..!

عملـوا هُـما الاتنـين كُل الفحوصـات الـلي الدكتـور طلبهـا منهـم، وفضلـوا قاعديــن في مكتبــه مســتنيين، "أحمــد" كان بيبُــص لــ "ناديــة" بنظــرات مُطَمّنــة، بــس "ناديــة" كانــت بتتحــاشى إنهــا تبُــص لــه، عشــان نظراتــه مكانتــش بتطمنهــا، بالعكــس كانــت بتقلقهــا أكــتر، فضلــوا قاعديــن قُــدام بعـض في الوضـع الموتـر ده، لحـد مـا الدكتـور رجـع لهـم أخـيرًا، دخـل مـن البـاب واتحـرك ناحيـة مكتبـه، حياهـم، وبعديـن قـال بإنجليزيـة مُمتـازة:

- "بالنســبة للمُشــكلة الــلي بتحصــل مــا بينكــوا دي فــ ماتقلقــوش، في حلــول كتــيرة جــدًا أقــدر أقدمهالكــم، شرط الاســتعداد النفــسي، وإن طبعًــا يكــون في قبــول مــا بينكــوا"

ضحك "أحمد" باستهزاء، وبعدين قال:

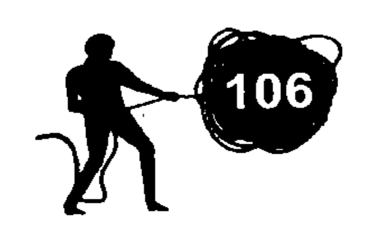
- "ما هو طبعًا يا دكتور في قبول، أُمال إحنا اتجوزنا ليه؟"

قـال الجُملـة الأخـيرة وبـص لـ "ناديـة"، الـلي مردتـش، وبـان عليهـا التوتـر، اسـتغرب جـدًا، بـس مدهـاش اهتـمام أوي لإن الدكتـور رد وقـال:

- "أما بقى بالنسبة للمُشكلة التانية، فـ دي للأسف ملهاش حل"

"نادية" بصت له باستغراب، وبعدين قالت:

- "مُشكلة تانية؟ مُشكلة إيه يا دكتور!"



سكت الدكتور للحظات، بص فيها في الورق اللي قُدامه، وبعدين بص لـ "نادية مرة تانية، وقال بنبرة هادية شوية:

- "للأسف يا مدام نادية، وإحنا بنعمل التحاليل والفحوصات، اكتشفنا إن حضرتك... غير قادرة على الإنجاب"

وقعت الجُملة الأخيرة في قلب "نادية" زي الحجر! للحظة حست إنها مسمعتهوش كويس، أكيد مقالش كده لأ.

- "إيه! بتقول إيه!"

- "أنا مُتأسف جدًا"

صدمة "أحمد" مكانتش أقل من صدمة "نادية" في شيء، بص للدكتور وقال له:

- "حضرتك أكيد غلطان"

- "إحنا خلينا مدام نادية تعيد الفحوصات أكتر من مرة عشان نتأكد يا أستاذ أحمد"

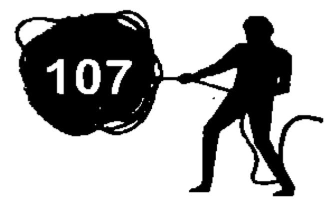
- "لأ.. أكيد في حل، دوا أو جلسات إشعاعية، حتى لو أطفال أنابيب"

- "للأسف مَفيش حل"

"نادية" بصت له وقالت بانفعال:

- "يعني إيه مَفيش حل!"

- "اِهدي يا مدام نادية مش كده، أنا عارف إن الصدمة شديدة عليكوا، بس حضراتكوا مش ناس عادية، إنتوا على درجة عالية من العلم والثقافة وقاطعين شوط كبير في البحث العلمي، وده معناه إنكوا أكيد مُدركين للكلام اللي بقوله، مدام نادية، أنا آسف



إني بقولــك ده بالطريقــة دي، بــس حضرتــك لازم تفهمــي كويــس إن المُشــكلة الــلي عنــدك ملهــاش حــل، لا دلوقتــي... ولا بعديــن."

فضلــت "ناديــة" بَصــة للدكتــور في عــدم تصديــق، وكأنهــا مســتنياه يقولهـا إنــه كان بيهــزر، وإن الموضـوع كلــه هــزار في هــزار، بــس الدكتــور مقالــش كــده، وفضــل ثابــت عــلى موقفــه، عشــان يأكــد لهــا إن الــلي اتقـال ده حقيقــي، وإنهــا فعــلًا مــش بتخلــف، ومــش هتحــس بطعــم الأمومــة، دورت وشــها وبصــت لـ"أحمــد"، الــلي لأول مــرة مــن ســاعة مــا عرفتــه، مقــدرش يبُــص لهــا بحُــب زي مــا كان متعــود، كان باصــص لهــا بحُــزن، حُــزن عميــق، مقــدرش يخبيــه أو يداريــه..

***

بصيت لها، ومنعت دموعي بالعافية من إنها تنزل، قبل ما أقول:

- "أنا... أنا آسف يا نادية، حقيقي آسف"

اِتنهدِت بعُمق وهيَّ بتبُص لي، قبل ما ترُد وتقول:

- "ولا يهمك، عدّى وقت طويل على ده"

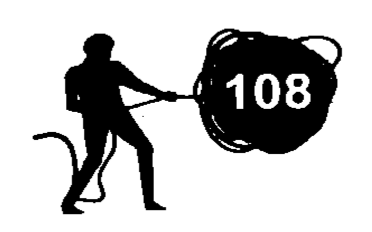
- "بس أكيد ده لسه بيزعلك ومأثر عليكي لحد دلوقتي"

هزت راسها بحُزن حقيقي، سكت شوية، وبعدين قُلت:

- "وأحمد.. استقبل ده إزاي؟ وعملتي إيه معاه؟"

- "للأســف، الــلي حصــل ده يــا عــلاء كان البدايــة، البدايــة لــكُل حاجــة ســيئة حصلــت بينــي وبــين أحمــد بعــد كــده"

- "إزاي؟"



سـكتت للحظـة، ولعـت سـيجارة ونفثـت دُخانهـا في الهـوا، غمضـت عينيهـا وكأنهـا افتكـرت ذكـرى أليمـة في حياتهـا، قبـل مـا تفتحهـم تـاني، وتكمـل كلام..

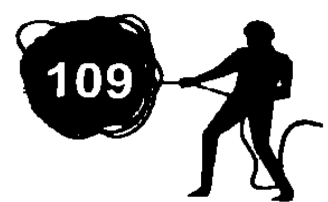
***

- "نادية.. نادية يا حبيبتي، إنتي فين؟"

- "أنا هنا في الصالة يا أحمد"

عـدّى شـهور مـن سـاعة مـا "ناديـة" عرفـت إنّهـا مـش بتخلّـف، في البدايـة كان عندهـا حالـة إنـكار للموضـوع ككُل، مـش راضيـة تصـدق إن ده حقيقـي، حالـة مـن الصدمـة انتابتهـا لفـترة طويلـة، مكانتـش بتتكلـم، مكانتـش بتُخـرج، ومكانتـش عايـزة تعمـل أي حاجـة، بعدهـا، اِبتـدت تُـدرك إن ده حقيقـي فعـلًا، وإنّهـا عُمرهـا مـا هتجـرب إحسـاس الخلفة، وإحسـاس الأمومـة، مـش هتحـس بابنهـا وهـو بيكـبر جُوّاهـا شـوية شـوية، بيتحـرك في بطنهـا، مـش هتشـوف صورتـه عـلى السـونار ولا هتسـمع دقّـات قلبـه الصُغـيّر، مـش هتحـس بـآلام الـولادة الـلي بينتُـج عنهـا في النهايـة أجمـل مُعجـزة ربنـا خلقهـا، مُعجـزة الحيـاة، وأجمـل إحسـاس في الدُنيـا بالنسـبة لأي سـت، إحسـاس اسـتقبال مولـود جديـد بـين إيديهـا، ابنهـا، حتّـة منهـا، بيحمـل صفاتهـا وملامحهـا، اِبتـدت تُـدرك إنّهـا مـش هتسـمع صوتـه أول مـا يتولـد وهـو بيعيّـط، مـش هتاخـده في حُضنهـا وتسـقيه مـن حنانهـا، ومـش هتشـوفه وهـو بيكـبر قُدّامهـا يـوم بعـد يـوم..

فجـأة، اِبتـدت "ناديـة" تُـدرك إنّهـا مـش هتخلـف، وده دخّلهـا في حالـة انهيـار شـديدة، بقـت قُليـل مـا بتنـام، ولـو نامـت... بتصحّـى مفزوعـة وهـيَّ بتُـصرخ وبتعيّـط، ولـو "أحمـد" حـاول يهديهـا أو يطمنّهـا كانـت بتثـور



أكتر، بقت قُليل ما بتاكُل، ولو كَلِت.. بترجع اللي في بطنها وكأنّها مش قابلة شيء يُدخل معدتها، حالتها ساءت وبقت عايشة حياتها بالزق حرفيًا، فضلت على الحالة دي لشهور طويلة، "أحمد" ماسبهاش فيهم للحظة، كان بيودّيها لدكاترة عشان تتعالج، بيخرجها دايمًا، بيسفرها في الأجازات، بيتكلم معاها عن الرضا بقضاء الله، عمل كُل اللي قدر عليه عشان يساعدها ترجع لطبيعتها ولحياتها من جديد، وبمرور الوقت، اِبتدت ترجع فعلًا، شوية شوية، واحدة واحدة، لحد ما بدأت تواظب على دراستها مرة تانية، و"أحمد" ساعدها عشان تلم اللي فاتها، طبعًا "نادية" مَرجعتش زيّ زمان، بس على الأقل كانت أحسن كتير من الأول، من الفترة اللي عرفت فيها إنّها مبتخلفش، في اليوم ده، "أحمد" رجع البيت وهو فرحان ومبسوط جدًا، ما هو النهاردة ماكنش يوم عادي برضو..

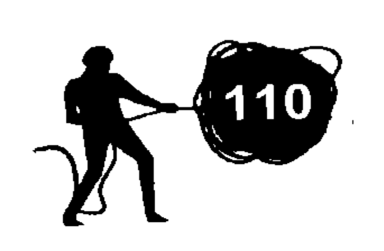
النهاردة، كان عيد جوازهم.

اتحرك "أحمد" ناحية الصالة لمّا سمع صوت "نادية"، لقاها قاعدة على الكنبة قُدّام التليفزيون، بتقلب فيه بدون اهتمام، أول ما شافته ابتسمت له غصب عنها، أمّا هو، فاتحرك لحد عندها، قعد جمبها على الكنبة وهو بيقول:

- "كُل سنة وإنتي طيبة يا أحلى نادية في الدُنيا"

- "وإنت طيب يا أحمد، ربنا يخليك ليا يا رب"

مد "أحمد" إيده في جيبه وطلّع علبة طويلة، فتحها، وخرّج منها أنسيال جميل جدًا، "نادية" بصّت للأنسيال بدون اهتمام، بس حاولت تبيّن إنّها فرحانة بيه لمّا عيونها اتلاقوا بعيون "أحمد":



- "إيه الأنسيال الحلو ده.. ده عشاني؟"

- "طبعًا، هو أنا ليّا مين غير مراتي حبيبتي؟ دي أقل حاجة مُمكن أقدمها لِك"

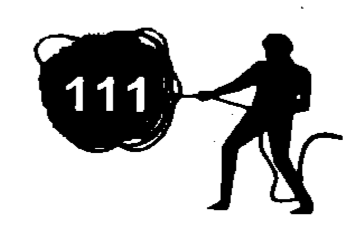
ابتسمت له، في اللحظة اللي طلّع فيها الأنسيال من العلبة، ولفه حوالين إيديها، بصّت على الأنسيال مرة تانية، وقالت له:

- "الله، حلو أوي يا أحمد، ربنا ما يحرمني منّك أبدًا"

- "ولا يحرمني منّك يا حبيبتي"

رفع إيدها لحد شفايفه وطبع عليها بوسة رقيقة، قبل ما يشم ريحة بيرفيوم جميل جدًا طالعة من إيدها، بص لـ "نادية" وركز في ملامحها أكتر، لقاها مُهتمة بنفسها شوية، شعرها شكله حلو وحاطّة ميك أب خفيف، كان بقاله كتير جدًا مقربش منها وملمسهاش، شهور طويلة، من قبل ما يعرفوا موضوع الخلفة ده، فكّر بينه وبين نفسه، معقول تكون عملت كده عشان تدي له إشارة إنّها جاهزة؟ إنّها أخيرًا بقت كويسة؟ ماكنش يعرف إنّها كانت لسّه مش كويسة، وإنّها حطّت الميك أب والبيرفيوم في اليوم ده عشان في واحدة صاحبتها جات تزورها، ومكانتش عايزة تشوفها وهيَّ تعبانة، فقررت تداري تعبها بالميك أب، "أحمد" ماكنش يعرف ده، وافتكر.. إنّها عايزاه زيّ ما هو عايزها، واللي شجع الفكرة دي جُوّاه، إنّه لقاها بتمد إيدها ناحية خدّه، وبتملّس عليه بلُطف وهيَّ بتقول له:

- "أنا عارفة إن الفترة اللي فاتت كانت صعبة عليك، وإنّك استحملتني كتير، صدقني أنا مهما عملت مقدرش أوفيك حقّك عليّا أبدًا"



- "لأ.. لأ يا نادية، ماتقوليش كده"

كان كُل اللي بيدور في ذهن "أحمد" في اللحظة دي إنّه هينعم بليلة جميلة مع مراته، البنت اللي بيحبّها، بس "نادية" مكانتش بتفكّر في كده خالص، هيَّ بس حبّت تبين له إنّها مقدراه ومقدرة تعبه معاها، فقررت تلمسه باللُطف ده، وتقول له كده، فجأة، وقبل ما "نادية" تُدرك أي حاجة، لقت "أحمد" بيقرب منها، لحد ما حسّت بأنفاسه على وشّها، وهو بيقول:

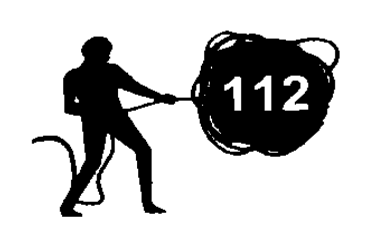
- "وحشتيني.. وحشتيني يا نادية"

- "إنت بتعمل إيه يا أحـ.."

مقدرش يمسك نفسه، انقض عليها، كالأسد اللي بينقض على فريسته، صرّخت، حاولت تبعده عنها، بس هو ماكنش في وعيه، رغبته كانت أقوى منّه، فضل يحاول معاها وهيَّ بتدفعه عنها بكُل قوتها، بتصارعه وكأنّه واحد غريب عنها وبيحاول يغتصبها، مش جوزها! فضلت تقاومه لحد ما قدرت تفلت منّه بالفعل، حاول يمسكها مرة تانية من إيدها في اللحظة اللي إيده جت فيها على الإنسيال، شدّه منها من غير ما يُقصد، عشان يتقطع من إيدها فجأة، هيَّ كمان اختل توازنها ووقعت على الأرض وهيَّ بتُصرخ فيه وبتقول:

- "إنت مش طبيعي! إنت مجنون! أكيد مجنون!"

فجأة، اِبتدا "أحمد" يُدرك المشهد اللي قُدّامه، "نادية" واقعة على الأرض، هدومها شبه مقطعة، الإنسيال اللي لسه شاريه مقطوع وقطعه متبعترة جمبها، كان بينهج بقوة، ومش مصدّق إنّه عمل كده، فجأة



ملامحه اتغيّرت وابتدا يبُص لها بغضب، غضب شديد أول مرة تعهده منّه، قبل ما يقول:

- "أنا اللي مش طبيعي يا نادية؟ أنا اللي مجنون! ماشي، أنا قابل أصدّق إن أنا مجنون فعلًا، بس لو ده حقيقي فده عشان إنتي اللي جننتيني، حرام عليكي يا شيخة إنتي مابتحسيش؟"

- "عايزني أعمل إيه يعني! ما أنا بتعالج عشانك! بلف على الدكاترة والمُستشفيات وأنا مش قادرة ولا عايزة عشانك! ليه مش قادر تفهم إنّي بحاول؟!"

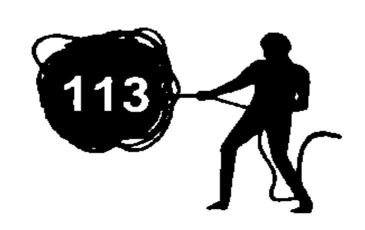
- "إنتي بتكدبي عليّا ولا على نفسك؟ لا يا دكتورة! إنتي بتتعالجي عشان نفسك. عشان ترجعي لحياتِك وشُغلِك ودراستك، اللي هُمّا أهم منّي، أي حاجة في حياتك أهم منّي!"

- "إنت بتقول إيه؟"

- "بقول الحقيقة يا نادية، بقول الحقيقة. شهور وأنا مستحملك ومستحمل نفورك منّي وكأنّي مخلوق من نار، وكأنّي شيطان مش بني آدم، وأقول معلش، استحملها، ما الصدمة اللي هيَّ فيها مش سهلة برضو، بس لحد إمتى هفضل مستحمل! لحد إمتى هتفضلي مش فاهمة إن أنا راجل وليّا مُتطلبات وليا حقوق عليكي!"

- "وأنا مش قادرة أديك حقوقك دي، مش قادرة!"

- "لا يا نادية إنتي تقدري، تقدري عادي، بس إنتي اللي مش عايزة، عارفة ليه؟ عشان إنتي مش بتحبيني."



بصت لـه "ناديـة" في صدمـة ومقدرتـش تنطـق، مقدرتـش تدافـع عـن نفسـها، في اللحظـة الـلي كمّـل فيهـا وقـال:

- "دي الحقيقــة يــا ناديــة، إنتــي عُمــرك مــا حبتينــي، إوعــي تكــوني فاكـرة إنّي مـش عـارف أو مـش فاهـم، أنـا حاسـس ده منّـك مـن أول مـا اتجوّزنـا، مُعاملتـك ليّـا مختلفتـش كتـير مـن قبـل الجـواز، وكأننـا لسّــه صُحــاب، ده أنــا عُمــري مــا ســمعت منّــك كلمــة حُــب واحــدة، ولا سـمعتك بتقوليـلي إنّـك بتحبينـي ولـو حتّـى بالكـذب! عارفـة ليـه؟ عشـان إنتـي مـش كذّابـة يـا ناديـة، ولا بتقـدري تعمـلي حاجـة إنتـي مـش عايزاهـا"

- "يا أحمد أنا..."

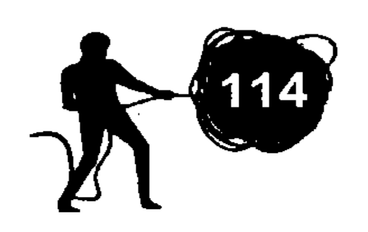
- "أنـا تعبـت. تعبـت يـا ناديـة خـلاص، كُل إنسـان ولـه آخـر، مـش هقـدر أسـتحمل أكـتر مـن كـده، أنـا عايـز أعيـش حيـاة طبيعيـة، مـع واحـدة مترفضنيـش وماتبعدنيـش عنهـا بالشـكل ده، عايـز يبقـى ليّـا ابـن مـن صُلبـي، وده حـق تـاني مـش هتقـدري توفريـه ليّـا!! أنـا مـش هقـدر أكمّـل كـده! مـش هقـدر أكمّـل كـده وإلا هيجـرا لي حاجـة أنـا كـمان."

بص لها بصّة أخيرة، قبل ما ياخُد نَفَس عميق، وبعدين قال:

- "إنتي طالق.. طالق يا نادية."

***

بصيـت لهـا وأنـا متأثـر، بـس هـيَّ ماكنـش بايـن عليهـا التأثـر أوي، حسـيت وكإنـه مـش فـارق معاهـا انفصالهـا عنـه، وده طبيعـي جـدًا بالنسـبة لإنهـا ماحبتهـوش.



خدت نفس من سيجارتها وبعدين قالت:

- "انفصاله عني كان صعب، لإني ماكُنتش ناقصة وقتها، كان فيا اللي مكفيني وماكنش عندي استعداد أستقبل أي تغيير في حياتي، بس شئت أم أبيت هو ده اللي حصل، كُنت متضايقة من نفسي جدًا لإنّي عملت فيه كده، ووصلته للمرحلة دي، "أحمد" ماكنش يستاهل منّي ده، أنا مُعترفة إنّي ظلمته معايا لمّا وافقت أتجوزه، لمت نفسي كتير جدًا على اللي عملته فيه، ودخلت في مرحلة مش لطيفة، البداية الحقيقية لوحدتي، بدأت أشرب سجاير، كانت بتخلي دماغي تهدى شوية، وبعد فترة قررت أقبل الأمر الواقع، وألحق الحاجة الوحيدة اللي فاضلة لي في حياتي، قررت أركز في دراستي وشُغلي مرة تانية، وطبعًا الموضوع كان صعب جدًا، لارتباطي بـ"أحمد" في الدراسة، انفصالنا خلى كُل حاجة تبقى أصعب، خصوصًا عليه لإنه كان بيشوفني كتير في الجامعة، لحد ما بمرور الوقت، عرفت إنه اتعرف على بنت إنجليزية بتدرس في الجامعة، وبعد مرور سنة أو أكتر ارتبط بيها، أما أنا فارتبطت بدراستي وخليتها هيَّ شُغلي الشاغل في الفترة دي، لحد ما ربنا كرمني وحصلت على الدكتوراة، ظبطت أموري عشان أرجع مصر بعد ما قدمت طلب التحاق بكُلية العلوم هنا، وقبل ما أرجع على طول عرفت إنه اتجوز البنت الإنجليزية دي، وقرر يعيش معاها في إنجلترا، فرحت له، فرحت له من كُل قلبي، واتمنيت إنه يكون قدر يتجاوزني بشكل كامل"

بصيت لها، وبعدين قُلت:

- "مُمكن أسألك سؤال؟"



- "أكيد يا علاء"

- "هو.. طالما إنتي مش بتحبيه.. اتجوزتيه ليه؟"

سكتت للحظة، وبعدين قالت:

- "أحمد كان إنسان طيب ومُحترم، بيحبني وبيخاف عليا، مُستعد يعمل أي حاجة عشان خاطري، والأهم من ده كُله إننا كُنا شبه بعض، قناعاتنا ومبادئنا كانت تقريبًا واحدة، كُنا بنشتغل في نفس المجال وإحنا الاتنين حابين السفر بره مصر، كان شخص مُتفتح وعصري وده خلاني أحس بالراحة في تعاملاتي مع الناس، التوليفة دي حسستني إني أبقى عبيطة لو رفضته، كُنت فاكرة إني مش مُهم أحبه، كُنت فاكرة إن قلبي هيحبه بمرور الوقت، بس للأسف ده محصلش، وإحساس الراحة اللي كُنت فاكرة إني هنشده باختيار العقل، محصلتش عليه"

- "طيب.. إيه اللي خلاكي تسمعي لصوت عقلك بدل قلبك؟! هل لإنّك جربتي تسمعي لقلبك قبل كده و..."

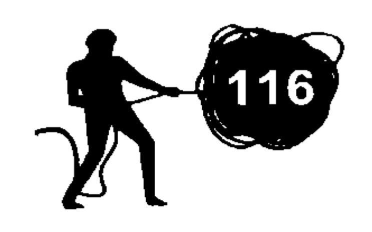
- "وخذلني."

قالت الكلمة الأخيرة بصوت مجروح، اِبتديت ألاحظ تكون الدموع في عينيها، كملت وقالت:

- "بس برغم خُذلان قلبي ليا، إلا إني عُمري ما قدرت ألومه زي ما لُمت عقلي"

- "اشمعنى؟"

- "لإني كُنت بحب يا علاء"



سكت للحظة، قبل ما أسألها:

- "كُنتي بتحبي حد قبل ما تتجوزي أحمد، مش كده؟"

- "مش بس كُنت بحب حد.. كُنت متجوزة حد"

مقدرتش مبينش اندهاشي من جُملتها الأخيرة، ابتسمِت وهيَّ بتطفي سيجارتها وبتقول:

- "أيوة يا سيدي، اللي قُدامك دي واحدة اتجوزت مرتين، في غضون سنوات قُليلة، أي نعم أنا ناجحة في حياتي العملية جدًا، بس لما الأمر بيتعلق بحياتي الاجتماعية، فيُستحسن تبعد عني عشان أنا فاشلة فشل ذريع"

قالتها بهزار بس أنا اتخضيت للحظة، مقدرش أنكر إن جمالها وكلامها وقوة شخصيتها أثروا عليا، وخلوني أحس إني... مُعجب بيها! معقولة تكون حسّت مني ده؟ حاولت ابتسم عشان مبينلهاش إحساسي، وبعدين قُلت لها:

- "كان اسمه إيه؟ جوزك الأولاني"

- "حُسام، حُسام المصري"

- "إيه! حُسام المصري؟ الروائي والسيناريست المعروف!"

- "أيوة"

بصيت لها بانبهار وأنا مُبتسم، وبعدين قُلت:

- "معقولة إنتي كُنتي متجوزة حُسام المصري! ده إنسان مُبدع وعبقري جدًا"

- "هو فعلًا إنسان مُبدع وعبقري، بس..."



- "بس إيه؟!"

كانـت هتقـول حاجـة، بـس السـاعة الـلي عـلى المكتـب رنـت جـرس انتهـاء الجلسـة، ابتسـمِت وهـيَّ بتبُـص عـلى السـاعة، وبعديـن قالـت:

- "بـس دي حكايـة تانيـة، تتحـكي في الجلسـة الجايـة، أشـوفك بعـد أسـبوع يـا دكتـور."

قامت وقفت فـ قُمت أنا كمان، وابتسمت لها، وبعدين قُلت:

- "آه آه، أكيد"

مديـت إيـدي وسـلمت عليهـا، وبعديـن راقبتها وهـيَّ بتتحـرك ناحيـة البـاب، كانـت جميلـة ومُثـيرة في نفـس الوقـت، المـرأة في مُنتصـف التلاتينات بيكـون لهـا جـمال ورونـق خـاص، وهـيَّ، كانـت في أوج رونقهـا، أول مـا وصلـت عنـد البـاب لقيتهـا بتلـف وبتبُـص لي، رفعـت عينـي لعينيهـا بسُرعة، واتمنيـت ماتكونـش خـدت بالهـا إني كُنـت ببُـص عليهـا، لقيتهـا ابتسـمت وقالـت لي:

- "أنـا بـس كُنـت عايـزة أقولـك إني برتـاح جـدًا لما بتكلـم معـاك يـا عـلاء، أنـا حقيقي مُتشـكرة"

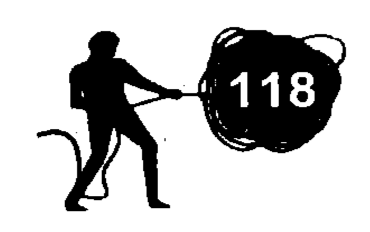
- "العفو يا نادية، ده واجبي، وشرف ليا كمان قبل ما يكون واجب"

- "مع السلامة"

- "مع السلامة"

خرجـت وقفلـت البـاب وراهـا، قبـل مـا أقعـد عـلى الكُـرسي مـرة تانيـة، وأفكـر في كُل الـكلام الـلي قالتـه، بالتفصيـل..

***



- "علاء؟! عاش من شافك يا راجل، إيه الغيبة الطويلة دي؟"

اتحركت ناحية "فاروق"، صاحبي من أيام الكُلية، واللي كان قاعد على القهوة قُدامه حجر معسل وكوباية شاي خمسينة، أول ما شافني قام وخدني بالحُضن، قبل ما أقوله وأنا بضحك:

- "لسه زي ما إنت، تخلص الشيفت بتاعك وتيجي تضرب لك الحجرين التمام، إيش حال ماكُنتش دكتور وعارف أضرار الشيشة!"

- "والنبي بلاش تتكلم يا حريقة السجاير إنت، إنت ناسي أيام الكُلية لما كان الدكتور بيشرح لنا مُسببات السرطان والعياذ بالله، وإنت قاعد في المُدرج بتشرب سجاير من تحت لتحت!"

ضحكت وأنا بفتكر الموقف، وبعدين قُلت له:

- "أيوة صح، طب فاكر لما قفشني؟"

- "يا ديني، ده إنت كان يومك اسود يوميها"

ضحكنا إحنا الاتنين في نفس الوقت، وبعدين لقيته بيقول:

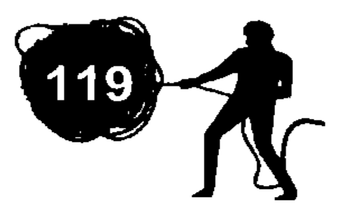
- "تشرب شاي؟"

- "لأ لأ مالوش لزوم"

- "يا عم أقعد هو أنا بعزمك على كوارع! دي هيَّ كوباية شاي يعني، يا دُقدق! واحد شاي خمسينة هنا للدكتور، و... أجيب لك حجر؟"

- "لا يا عم معايا سجاير، تسلم"

- "طب احكي لي، أخبارك إيه والدنيا عاملة معاك إيه؟ أنا معرفش عنك أي حاجة من ساعة آآآ..."



سكت للحظة، وبعدين قال بتردد:

- "من ساعة يعني ما أروى والأولاد.. سابوا البيت"

ابتسمت بتكلف، قبل ما أرُد وأقول:

- "أهـو، مَفيـش جديـد يُعتـبر، مـن البيـت للمُستشـفى ومـن المُستشـفى البيـت"

حب يُنكشني فقال وهو بيغمز لي:

- "يا جدع؟ يعني مَفيش جو جديد اليومين دول؟"

- "جو جديد إزاي؟!"

- "جـو جديـد، يعنـي مُـزة حلـوة قابلتهـا في كافيـه، دكتـورة عسـولة معـاك في المُستشـفى، كـده يعنـي"

ضحكت من اللي قاله، وبعدين قُلت له:

- "هو.. هو في بصراحة"

- "أيوة بقى، هو ده الكلام"

- "بس لا هيَّ واحدة قابلتها في كافيه، ولا دكتورة معايا في المُستشفى"

- "إيـه ده! أُمـال إيـه! إوعـى يـاض تكـون بتلعـب بديلـك مـع مـرات البـواب!"

ضحكت وقُلت له:

- "لأ لأ متخافش"

- "أُمال مين؟ البت دُعاء المُمرضة!"

- "يا عم اسمع بقى، هيَّ... هيَّ تبقى حالة بتتعالج عندي"

كان بيسـحب نفـس مـن الشيشـة وأنـا بقـول الجُملـة الأخـيرة، فجـأة لقيتـه بيكُـح جامـد وبيبُـص لي باندهـاش، وبعديـن قـال:

- "إنت بتهزر صح؟"

- "لأ، وهكون بهزر ليه؟"

- "عشان ماينفعش! ماينفعش يا علاء!"

- "وإيه المُشكلة يا فاروق؟"

- "إيـه المُشـكلة إيـه بـس يـا عـلاء! مـا إنـت دكتـور وعـارف! ماينفعـش يبقـى في علاقـة بـين الدكتـور والمريـض!"

- "أيوة بس... بس نادية إنسانة مُختلفة و..."

- "في الأول وفي الآخـر اسـمها حالـة يـا دكتـور! حالـة وبتتعالـج عنـدك، والأمانـة المهنيـة بتحتـم عليـك إنـك متتورطـش في أي علاقـة مـع حالـة مـن حالاتـك، مهـما حصـل"

بصيت له للحظة، كان معاه حق، كمل وقال بنبرة عتاب:

- "وأنا اللي كُنت فاكرك لسه بتحب أروى"

- "في إيـه يـا فـاروق! ده إنـت لسـه سـألني بعضمـة لسـانك إذا كان في حـد جديـد ولا لأ"

- "كُنـت بنكُشـك، بهـزر معـاك، مسـتنيك تقـولي مَفيـش حـد، لإنـك لسـه بتحـب أروى، تنكـر يـا عـلاء؟! تنكـر إنـك لسـه بتحبهـا؟"

سكت للحظة، هزيت راسي فيها بأسى وأنا بقوله:

- "لأ، مانكرش"



- "خـلاص، يبقـى تشـيل موضـوع ناديـة ده مـن دماغـك خالـص، ومتفكـرش غـير في حاجـة واحـدة بـس، إزاي تصلـح الأمـور بينـك وبـين أروى"

- "الموضوع ده انتهى يا فـ..."

- "لا يـا عـلاء منتهـاش، أنـا مـش لسـه عارفـك إمبـارح عشـان تقـولي انتهـى، أنـا مـش فاهـم، إنـت بتحبهـا وهـيَّ بتحبـك! يبقـى تبعـدوا عـن بعـض ليـه؟"

- "عشـان مُختلفـين يـا فـاروق. عشـان كُل واحـد فينـا عايـز حاجـات غـير التاني"

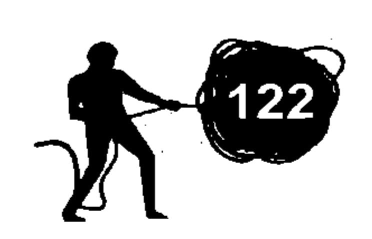
- "ولو، تحلوا الموضوع مع بعض"

- "إزاي يا فاروق! قولي إزاي!!"

سـكت للحظـة، بـص لي فيهـا بمُنتهـى الحـدة، وبعديـن قـرب منـي وقـال لي بصـوت واطـي:

- "أنـا مـش طـرف في العلاقـة يـا عـلاء عشـان أقولـك تحلوهـا ازاي، بـس برغـم كـده، عنـدي ليـك كلمتـين عايـزك تسـمعهم كويـس، لـو سـبت مراتـك، الـلي بتحبهـا وبتحبـك، يـا إمـا هتعيـش بقيـة عُمـرك لوحـدك، يـا إمـا هتتجـوز واحـدة مابتحبهـاش لمُجـرد إنـك متبقـاش لوحـدك، وفي الحالتـين هتنـدم"

- "وليـه متجاوزهـاش! ليـه ملاقيـش واحـدة تانيـة أحبهـا وتحبنـي بجـد وتكـون قناعاتنـا واحـدة؟"



- "الدنيا مش كريمة للدرجة دي يا علاء، مش هتديك كُل حاجة، وبعدين متحاولش تقنعني إنك تقدر تحب بعد أروى، على رأي عمرو دياب، هو أنا بعد الحُب ده كُله، هقدر أعيش للحُب العادي!"

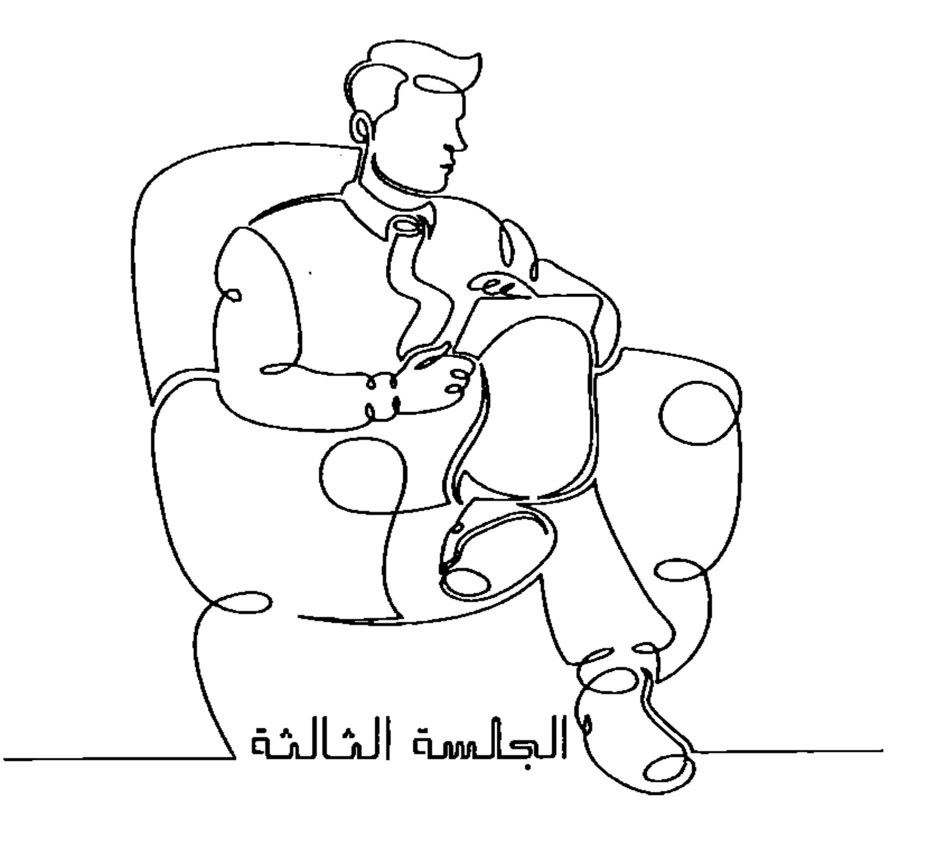
خلص كلامه وسحب نفس جديد من الشيشة، وسابني أفكر في الكلمتين اللي قالهم، كان معاه حق، بنسبة كبيرة كان معاه حق، وخصوصًا لما افتكرت قصة "نادية" و"أحمد"، وإزاي مقدرتش تكمل معاه لإنها مكانتش بتحبه، ويمكن لإنها... مقدرتش تتجاوز"حسام"! جوزها الأولاني..

فضلت أفكر في كلام "فاروق" كتير جدًا، بس في النهاية، فضلت ثابت على موقفي ناحية "أروى"، وفضلت شايف إن اللي عملته هو الصح، لحد ما سمعت بقية حكاية "خالد"، وجوازه من "سارة"..









10:00 صباحًا..

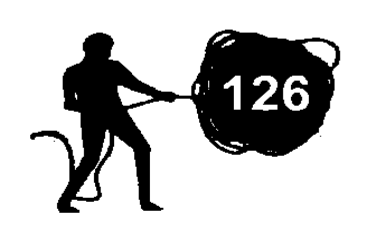
قفل باب الشقة وراهم، هيَّ جريت لحد أوضتهم ودخلتها، وقفلت على نفسها، وهو فضل واقف مكانه، وبدأ يسمع صوت الهدوء، أخيرًا، اِبتدت أصوات الزغاريط والهيصة تهدى في دماغه، وكلاكسات العربيات اللي كانت بتزفه فضلت تبعد لحد ما اختفت تمامًا، وقف للحظة، وركز في الهدوء، كان الصوت الوحيد اللي سامعه هو صوت عقرب ساعة إيده، اللي ماكنش مُتزامن إطلاقًا مع صوت دقات قلبه، قلبه كان داخل سباق مع نفسه، مخضوض يمكن، فرحان، مُتحمس بزيادة، ماكنش قادر يحدد بالظبط، وماكنش عارف يهدّي نفسه، أو يطمّن قلبه.. اتحرك بهدوء ناحية الصالة، قعد على كُرسي الأنتريه، قلع الجزمة والشراب، قلع ساعته وفك كرافتته اللي كانت خانقاه طول الفرح، قفل موبايله، وبعدين قلع دبلته اللي لسّة مش متعوّد على مكانها، بقاله فترة بيلبسها في إيده اليمين، فجأة مكانها اتغيّر،



فضل ماسكها في إيده للحظات وهو بيراقب اسمها المحفور جُواها، قبل ما يحُطها جمب الموبايل والساعة، ويتحرك ناحية الحمّام.. طوّل فـ الحمّام على قد ما قدر، ساب المايّة السُخنة تنزل على جسمه ودماغه لأطول وقت مُمكن، بس في النهاية كان لسّة قادر يسمع صوت دقّات قلبه الغير مُنتظمة، وقف قُدّام المرايا ومسحها بإيده، عشان يشوف انعكاس صورته، وملامح القلق اللي على وشّه، فجأة افتكر كُل حاجة مر بيها في حياته، من قبل ما يعرف "سارة" ومن بعد ما شرفت في حياته، أزماته النفسية وهو صغير، خوفه من الارتباط والجواز، إحساسه لما كان هيفقدها، كُل التعب اللي شافه عشان يوصلوا لليوم ده، افتكر كُل ده، وابتسم، وكأنّه لسّة مش مصدّق إنّها دلوقتي مراته، ومستنياه دلوقتي في أوضتهم، وإن في حياة جديدة هيبتدوها سوا، من اللحظة دي.. خرج من الحمام وراح ناحية الأنتريه تاني، لبس دبلته في إيده اليمين، وبعدين افتكر، ورجع لبسها في إيده الشمال، اتحرك بخطوات تقيلة ناحية أوضتهم، ضربات قلبه فضلت تزيد، وقف قُدّام الباب للحظة، خد فيها نفس عميق، وبعدين خبّط خبطتين، مجالوش رد، خبّط تاني، والمرة دي سمع صوتها وهيَّ بتقول له بحذر:

- "ما تُدخل!"

فتح الباب ودخل من غير ما يبص ناحيتها، قفل الباب، وبعدين لف وبص لها، كانت قاعدة على السرير ورافعة البطانية لحد دقنها، مقرفصة ولافّة إيديها حوالين رجليها، وبتبص له بقلق، اِتحرك ناحيتها وحاول يداري توتره، لحد ما قعد جمبها على السرير، قرب منها لحد ما حسّت بسخونة أنفاسه، وفضلت تتأمل ملامحه اللي بتعشقها،



ضربات قلبه زادت ووصلت لمرحلة خطر، فجأة كسرت الصمت وقالت له:

- "بُص بقى، أنا... أنا هغمّض عينيّا، وإنت بوسني زيّ بتوع الأفلام الأجنبي كده، ماشي؟"

ضحك غصب عنّه، وبعدين قال لها:

- "أيوة بس.. بس أنا مش عايز أبوسِك"

- "نعم؟"

- "أقصد يعني... مش عايز أبوسِك دلوقتي حالًا يعني، مش أولوية بالنسبة لي"

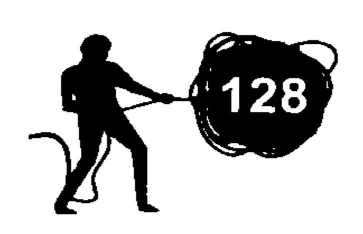
- "يا سلام؟! أُمال إيه اللي أولوية بالنسبالك إن شاء الله؟!"

- "حُضنِك"

كانت للكلمة الأخيرة وقع كبير على مسامعها، اتهزّت، وابتسمت غصب عنها، ومن غير ما تفكر كتير فتحت دراعاتها على الآخر، ومن غير ما يفكر هو كمان، ساب نفسه في حُضنها، وبمُجرد ما عمل كده، اِبتدت نبضات قلبه تهدى، وحس إنّه رجع عيل صُغيّر من جديد، وإنّه رجع لحُضن أمّه اللي اتحرم منّه طول عُمره، فجأة، كُل مشاعر القلق والخوف والتوتر اِبتدت تروح، وحل مكانها مشاعر أجمل، أول مرة يحسّها بالقوة دي، أمان وحُب وطمأنينة، ضمّها بقوة واستكان في حُضنها أكتر، لحد ما حس إن كُل سنين التعب والمُعاناة اللي شافها، مايسووش حاجة قُدّامِ اللحظة دي، والحُضن ده، والسكن ده.



فضلوا على الوضعية دي لوقت طويل جدًا، رفع راسه بعدها عشان يشوفها مرة تانية، ولأول مرة بقميص النوم، صغنونة كانت، رُفيعة ويقدر يشيلها بإيد واحدة، مكانتش يعني مُتفجرة الأنوثة أو كده، لكن لإنه بيحبها، فكان شايفها أجمل بنت في الدُنيا في اللحظة دي، مسك إيدها برفق وقربها من شفايفه برفق، وطبع عليها بوسة صُغيرة، ابتسمِت، في اللحظة اللي اِتحرك فيها بكف إيده على دراعها، بهدوء، عشان تبتدي تحس بقشعريرة الحُب وهيَّ بتنتاب جسمها كُله، مسكها من دراعها برفق، وقربها منه أكتر، اتكسفِت، خدودها اِبتدت تحمر وبصت لتحت، عشان تواجه شفايفه بجبهتها، قرب أكتر وطبع بوسة تانية على جبهتها، واتحرك بشفايفه بهدوء لحد ما وصل لخدها اليمين، وطبع عليه بوسة كمان، كان حاسس بحرارة جسمها في اللحظة دي، وهج الحُب خلاه يتحرك بشفايفه ناحية شفايفها، عشان يُقطفها كما التُفاح، بس طعم شفايفها في اللحظة دي، كان أطعم من كُل فاكهة الأرض، كان بيسمع زمان إن تلاقي الشفاه هو أمتع ما في العلاقة بين الراجل والست، ومفهمش ده غير في اللحظة دي، في الأول "سارة" كانت ثابتة ومش بتتحرك، بس وهج الحُب قدر يغلبها هيَّ كمان، واِبتدت تستجيب لحركات شفايفه مع شفايفها، في اللحظة دي، قرر "خالد" يحاوطها بإيديه ويضُمها في حُضنه أكتر، وهيَّ كمان حاوطته بدراعاتها، فبدا التحام أجسامهم وكأنه جسد واحد، وروح واحدة، اِبتدت "سارة" تحرك إيديها على شعره بالراحة، في اللحظة اللي مال بيها على السرير، عشان تُهجر شفايفه شفايفها وتبدأ تتحرك لأماكن تانية، اِتحرك لحد رقبتها، واِبتدا يكتشف معالمها بشفايفه، أما هيَّ، فغمضت عينيها واتنهدت وهيَّ حاسة بأنفاسه بتلتهمها، فضل



ينـزل بشـفايفه أكـتر، وأكـتر، رفـع إيـده لحـد كتفهـا وابتـدا ينـزل الحمالـة بالراحـة، لحـد مـا..

***

- "أيوة؟ لحد ما إيه؟"

كُنـت ببُـص لـه وقطـرات العـرق بتلهمـر عـلى جبينـي، الظاهـر إنـه لاحـظ انفعـالي واهتمامـي بالجُـزء ده بالـذات فقـرر يوقـف كلام، بـص لي وابتسـم بلـؤم، وبعديـن قـال:

- "لحـد مـا حسـيت إني اتماديـت شـوية في الـكلام، مـش كـده ولا إيـه يـا دكتـور؟"

بلعت ريقي، بصيت له وابتسمت أنا كمان، وبعدين قُلت له:

- "لو إنت شايف كده يبقى خلاص، مش لازم نكمل الجُزئية دي"

اتنهـدت، عملـت نفـسي ببُـص عـلى الـورق الـلي قُدامـي للحظـات، معرفـش ليـه اتأثـرت أوي كـده، هـل لإن وصفـه للمشـهد كان حلـو؟ ولا لإني افتكـرت ليلـة دُخلتـي عـلى "أروى" وإحسـاسي وقتهـا، وإنّ بقـالي كتـير بعيـد عنهـا، فوحشـني إحسـاسي وأنـا معاهـا، معرفـش! بصيـت لـه مـرة تانيـة، وبعديـن قُلـت بسُـخرية عشـان ألطـف الجـو شـوية:

- "هـو الجـواز كـده يـا خالـد، أول سـنتين حُـب ودلـع وفرفشـة، وبعـد كـده بتبتـدي المشـاكل"

- "إنـت بتقـول فيهـا؟ مـا هـو ده الـلي حصـل فعـلًا، بـس الفـرق يـا دكتـور إن المشـاكل مبتدتـش زي مـا بتقـول، المشـاكل كانـت موجـودة مـن زمـان، مـن قبـل جوازنـا، الجـواز واليومـين الحلويـن الـلي في الأول



خلـوا المشـاكل تهـدى وتسـتكين، تختفـي تحـت السـطح شـوية، لكـن بمُجـرد مـا اليومـين دول خلصـوا، رجعـت المشـاكل تظهـر عـلى السـطح بشـكل أوضـح، وأقـوى بكتـير، وده حصـل بظهـور عمـرو في حياتنـا"

- "عمرو؟ عمرو مين ده كمان؟"

- "ده واحد كان بيشتغل معاها"

هزيت راسي وكُنت هقول حاجة، في اللحظة اللي كمل فيها وقال:

- "وحبيبها القديم!"

***

- "إزيك يا حبيبي، وحشتني جدًا"

- "إيه اللي أخرك كده يا سارة؟ أنا جعان جدًا"

- "معلش يا قلبي، رُبع ساعة بالظبط والأكل يبقى جاهز"

اتحركِـت ناحيـة الـدولاب وإبتـدت تغـير هدومهـا، بـص لهـا "خالـد" وهـو نايـم عـلى السريـر، وفضـل يقلـب في التليفزيـون وهـو بيقـول:

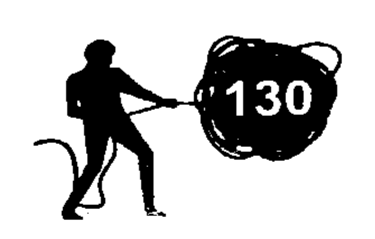
- "مقولتليش، إيه اللي أخرك؟"

قالت بصوت مليان بهجة:

- "مَفيش، فاكر عمرو؟"

- "عمرو مين؟!"

- "عمـرو يـا ابنـي اللي كان معايـا في الكُليـة، المُهـم، قابلتـه بالصُدفـة وأنـا خارجـة مـن الشُـغل وعرفـت إنـه اشـتغل في المجـال و..."



- "عمرو؟! إنتي قصدك عمرو اللي... اللي كان بيحبِك؟"

قالها بصوت مصدوم شوية، بصت له وهيَّ مستغربة، وبعدين قالت:

- "ياه، إنت لسه فاكر الموضوع ده؟"

- "طبعًا فاكر! وفاكر إن إنتي كمان كُنتي بتحبيه!"

- "بس مرتبطناش!"

- "فرقِت يعني؟"

- "طبعًا فرقت يا خالد"

- "مش فارقة بالنسبة لي!"

- "يا خالد ده كان حوار قديم من أيام الجامعة، يعني كُنا عيال وقتها!"

- "ما أنا وإنتي حبينا بعض أيام الجامعة، هتقوليلي كُنا عيال برضو؟"

- "أنا مش فاهمة إنت بتفتح الموضوع ده دلوقتي ليه، ما أنا وإنت اتجوزنا خلاص و..."

- "لا عالّ والله، افتكرتي دلوقتي إن إحنا متجوزين؟ ولما إنتي عارفة إن إنتي متجوزة مفكرتيش ليه تكلمي جوزك وتعرفيه إنتي فين ومع مين؟ ها؟"

صوته اِبتدا يعلى، سكتت وهيَّ بتبُص له بغضب، بس مرضيتش تتكلم عشان ماتستفزوش أكتر، بس هو، مقدرش يفضل ساكت:

- "إيه اللي حصل بعد كده يا سارة؟"



- "مَفيش حاجة"

- "إيه اللي حصل يا سارة بقولك!"

سكتت للحظة، اتنهدت فيها وبعدين قالت:

- "رُحنا قعدنا في كافيه والكلام خدنا للشُغل وكده"

- "كمان!"

- "يا خالد اسمعني بس، عمرو شغال في المجال بتاعي بقى له فترة، وعايزني أشتغل معاه و..."

- "نعم! إنتي بتقولي إيه!"

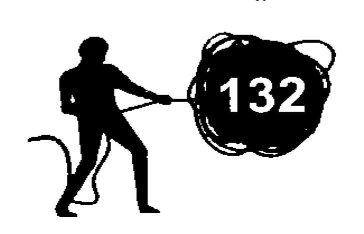
- "افهم بس، ده عرض عليا مُرتب أكبر بكتير من اللي باخده في شُغلي دلوقتي، ده غير إني لو اشتغلت معاه هيبقى عندي فُرصة إنّي..."

- "اللي إنتي بتقوليه ده مُستحيل يحصل يا سارة! إنتي سامعة؟ مُستحيل! يعني إيه تشتغلي مع واحد كان بيحبك وإنتي كمان كُنتي بتحبيه زمان؟ مركب إيريال أنا ولا إيه!"

قال الجُملة الأخيرة بأعلى صوت عنده، كان متعصب جدًا، "سارة" اتخضت وفضلت واقفة مكانها وهيَّ مش قادرة تستوعب إنه زعق لها بالشكل ده، وفي اللحظة دي، مقدرتش تفضل مُتماسكة أكتر من كده، ضمت حواجبها وبصت له باستغراب، وهيَّ بتقوله:

- "هو... هو إنت على أي أساس بتقول مُستحيل؟"

بص لها باستغراب هو كمان، وكأنه مش فاهم السؤال، كملت هيَّ وقالت:



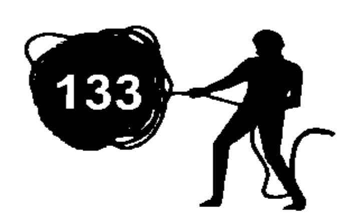
- "دي حياتي أنا، وشُغلي أنا، أنا بس اللي مفروض أخُد قرار في ده وأقول إذا كان ينفع أقبل الشُغل ده ولاماينفعش!"

- "ده لما تبقي عايشة لوحدك يا سارة! لكن لما تبقي ست متجوزة ده بيفرض عليكي واجبات واضح إنك لحد اللحظة دي مش قادرة تفهميها، أهمها وأولها طاعة الزوج!"

- "طاعة زوج إيه بس، الكلام ده كان أيام ستي وستك! لما كانوا بيُقعدوا في البيت يخبزوا العيش ويحضروا المايه السُخنة عشان سي السيد لما يرجع يغسلوا له رجليه! لكن دلوقتي الدنيا اتغيرت والست بقت تشتغل زيها زي الراجل تمام! بأي حق بقى أطيعك في حاجة مُمكن أندم عليها قُدام؟ ها؟ بأي حق؟!"

- "بقولك إيه! كلام النسويات ده مَيتقاليش أنا! ده يتقال للرجالة العيرة اللي مش بتحترم مراتتها وبيؤذوهم في الرايحة والجاية، إنما إنتي مَشوفتيش مني أي حاجة وحشة من ساعة ما اتجوزنا، مَشوفتيش مني غير دعم لشُغلك، ومتقدريش تنكري ده يا سارة، مسألتيش نفسك رد فعلي كان هيبقى إيه لو كُنتي قُلتي ليه إن العرض ده جاي من أي حد تاني؟ كُنت هشجعك تقبلي بالوظيفة وهدعمك زي ما طول عُمري بدعمك! لكن كُل شيء وله حدود! ماتبقيش رايحة تشتغلي مع عمرو وتتخيلي إني هدعمك أو هوافق! ده واحد كان بيحبك!! فاهمة يعني إيه كان بيحبك؟! مش يمكن لسه في دماغه؟ مش يمكن لما شافك حب يرجع أيام زمان عشان كده عرض عليكي الشُغل ده؟ هو إنتي مبتفكريش خالص كده!"

- "في إيه يا خالد هو أنا هروح أنام معاه! ده شُغل، شُغل زي أي شُغل في الدُنيا!"



للحظة، إيده اتهزت وثبتت مرة تانية، عواطفه أمرته يضربها، بس عقله لغى الأمر في جُزء من الثانية، وكنتيجة لعدم تنفيسه لغضبه، نبضات قلبه زادت والعروق بانت في وشه من كُتر العصبية، بصت له، كانت خايفة، بس حاولت تفضل ثابتة، قرب منها، وقال لها بنبرة تهديد:

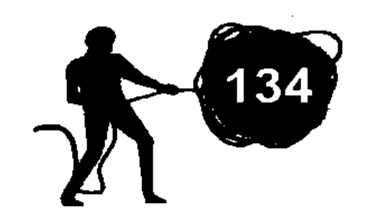
- "أنا هعتبر إنك ماكُنتيش في وعيك، وهعمل نفسي مسمعتش الجُملة الأخيرة دي، لكن لو كلمتيني بالشكل ده تاني، صدقيني مش هيحصل كويس"
- "هتعمل إيه يعني؟"
- "هطلقك يا سارة!"

قال الجُملة الأخيرة بقوة لدرجة إنها اتهزت، مقدرتش ترُد، فكمل هو وقال:

- "ويكون في علمك، الموضوع ده أنا مش هتكلم فيه تاني، يا أنا، يا الواد ده! وإنتي وشوقك بقى!"

سابها واتحرك ناحية الدولاب، خد قميص وطلع من الأوضة بسُرعة، غيّر وهو بيتحرك لباب الشقة، وبعدين فتحه وخرج منه، ورزعه وراه، نزل وهو بيتنفس بالعافية، مسك قلبه اللي كان حاسس إنه هيقف، في نفس اللحظة اللي "سارة" رمت فيها نفسها على السرير، وفضلت تعيط بحُرقة..

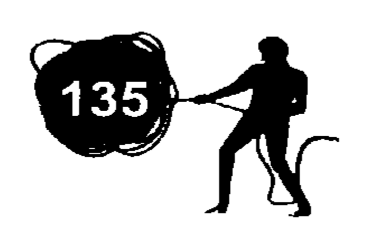
***



عـدت أيـام وأسـابيع و"سـارة" قاعـدة عنـد أهلهـا وسـايبة "خالـد" لوحـده، وفي الفـترة دي، "خالـد" كان بيعـاني مـن صراع جبـار بينـه وبـين نفسـه، كان فاهـم ومُـدرك قـد إيـه الشُـغل ده مُهـم بالنسـبة لهـا، بـس في نفـس الوقـت ماكنـش قـادر يسـتوعب هـيَّ إزاي مـش فاهمـة إنـه ماينفعـش! هـيَّ مـن البدايـة وهـيَّ عارفـة مبادئـه وقناعاتـه في الصداقـة مـع الجنـس الآخـر دي، خصوصًـا بعـد الجـواز، تقـوم مـش بـس تقولـه إنهـا هتشـتغل مع حـد معرفـة مـن زمـان، لأ ده كـمان يبقـى الشـخص الـلي كان بيحبهـا وكانـت بتحبـه؟

"هـيَّ مـش شـايفاني طيـب؟"، كان بيسـأل نفسـه، "مش شـايفاني بتعامل إزاي مـع أي بنـت أعرفهـا في حيـاتي؟ ده أنـا تقريبًـا ماعنديـش صُحـاب بنـات! وكُلـه عشـان إيـه؟ مـا هـو عشـانها في الآخـر! عشـان ماتحسـش إن في بنـت واخـدة مكانـة في حيـاتي غيرهـا، وبعديـن حتـى لـو كان عنـدي صُحاب بنـات، فأنـا مـن زمـان وأنـا راسـم حـدودي معاهـم والعلاقـة بيننـا يـدوب سـلام وسـؤال عـلى الحـال وخـلاص، لكـن سـارة، سـارة أنـا عارفهـا وعـارف طبيعتهـا، بتتعامـل بـبراح مـش مقبـول بالنسـبة لي، بتاخُـد راحتهـا وبتهـزر وبتضحـك، مـن غـير مـا تحـس إنهـا بتعمـل حاجـة غلـط أو ماتصحـش! وده... ده ماينفعـش! ماينفعـش أبـدًا!"

فضـل "خالـد" مُتمسـك بمبـدأه وقناعتـه لأطـول وقـت، برغـم الوَحشـة الـلي كان حاسـها بسـبب فُـراق "سـارة"، لحد مـا والدتها وإخواتهـا اتدخلوا، وحاولـوا يصلحـوا بينهـم ويعرضـوا حـلّ وسـط يرضي جميـع الأطـراف، طلبوا منـه يوافـق إنهـا تقبـل الشُـغل الجديـد، وفي المُقابـل هـيَّ هتفهـم "عمـرو" الوضـع، وإن "خالـد" بيغـير عليهـا منـه، وتفهمـه إنهـا هتشـتغل معـاه بـس بـدون مـا يكـون في تعامـل مُبـاشر بينهـم، يعنـي تعاملهـا يبقـى مـع زمايلهم

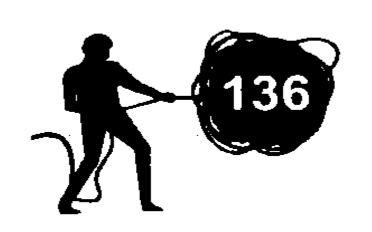


في الشُغل مـش أكـتر، "خالـد" كان رافـض الفكـرة دي لأكـتر مـن سـبب، أهمهـم إن شـكله هيبقـى وحـش جـدًا قُـدام "عمـرو"، وكأنـه مـش واثـق في نفسـه مثلًا وإنّـه حاسـس إن "عمـرو" بيهـدده! والسـبب التـاني إنـه ماكنـش شـايفه حـلّ وسـط ولا حاجـة، لإنـه مـش مضمـون نهـائي، ده شُـغل، يعنـي صعـب جـدًا الفكـرة دي تتحقـق بشـكل كامـل، رفـض "خالـد" الفكـرة بـس أهلهـا فضلـوا يتحايلـوا عليـه إنـه يوافـق، وفي النهايـة، اضطـر إنـه يوافـق، لإنـه ماكنـش عايـز يحسسـهم إنـه فاقـد الثقـة فيهـا للدرجـة دي، ومـن ناحيـة تانيـة، لإنهـا فعـلًا وحشـته!

رجعـوا لبعـض تـاني بـس الحيـاة مـا بينهـم مرجعتـش زي الأول، "سـارة" كانـت دايمًـا حاسـة إنهـا بتعمـل حاجـة غلـط، و"خالـد" ماكنـش قـادر يثـق فيهـا بشـكل كامـل، لإنـه مايعرفـش إيـه الـل بيحصـل في الشُـغل، كان بيحـاول عـلى قـد مـا يقـدر يطمـن نفسـه ويبعـد عـن دماغـه وسـاوس الشـيطان دي..

"هتقـول لـك"، كان بيقـول لنفسـه، "أكيـد لـو حصـل حاجـة هتقـول لـك ومـش هتخبـي عليـك، ولـو في حاجـة صـدرت مـن عمـرو ده تهـدد علاقتكـوا، أكيـد هتختـارك إنـت وهتسـيب الشُـغل، أكيـد يـا خالـد، أكيـد"

لسـبب مـا، مهـما حـاول يقـول لنفسـه الـكلام ده ماكنـش بيصدقـه، طـول مـا هـيَّ في الشُـغل كان بيبقـى عايـش في عـذاب مُسـتمر، وبيفكـر ياتـرى إيـه الـلي بيحصـل، بتتعامـل إزاي، بيشـوفها؟ بيتمنـى يكلمهـا؟ أكيـد، طـب هـيَّ بتعمـل إيـه، هـل بتعمـل حاجـة غلـط؟ طـب غلـط مـن منظـور مـين؟ مـا هـو مُمكـن مـن منظورهـا هـيَّ مابتعملش حاجـة غلـط وبتتصرف عـلى طبيعتهـا، بـس مـن منظـور "خالـد" لأ، مُمكـن تكـون بتغلـط وبتعمـل حاجـات تضايقـه ومايسـمحش بيهـا لـو عرفهـا، كان بيفضـل في العـذاب



ده كُل يـوم، لا بيعـرف يشـتغل ولا يعمـل حاجـة، لحـد مـا اليـوم يخلـص ويرجعـوا البيـت، ويحـاول ينـسى كُل ده وهُـما مـع بعـض..

***

لحـد مـا في يـوم، كان رايـح مشـوار تبـع شُـغله وكان في مـكان قُريـب مـن شُـغلها، فقـرر يفاجئهـا ويعـدي عليهـا ويروحـوا سـوا، ماينكـرش إنـه فكـر في حاجـات كتـير مُمكـن يشـوفها وتضايقـه، بـس كُل الـلي فكـر فيـه، ماكنـش ييجـي حاجـة جمـب الـلي شـافه فعـلًا..

قـرب "خالـد" مـن مـكان الشُـغل، كان شـايفه مـن بعيـد، ولمـا ركـز أكـتر شـاف "سـارة" واقفـة قُـدام المدخـل ومسـتنية حاجـة تركبهـا، ابتسـم، وهـو مُتوقـع إنهـا هتنبسـط لمـا هتشـوفه، خصوصًـا إنهـا أول مـرة ييجـي يزورهـا في شُـغلها الجديـد، قـرب منهـا، في اللحظـة الـلي شـافه فيهـا وهـو بينـزل مـن سـلالم المبنـى، وبيُقـف جمبهـا..

"عمرو"..

بقوامـه الممشـوق وشـعره الطويـل الناعـم، بدقنـه الحليقـة وابتسـامته السـمجة، بغـروره الـلي مالـوش مثيـل، وقـف جمبهـا وبـص لهـا، بصـت لـه هـيَّ كـمان، فــ ابتسـم لهـا، وهـيَّ ردت لـه الابتسـامة بـتردد، فضلـوا واقفـين لحـد مـا وقفـت قُدامهـم عربيـة فجـأة، خـرج منهـا سـايس وقـدم مُفتاحهـا لــ "عمـرو"، خـد المُفتـاح وبـص لــ "سـارة"، وبعديـن اِتحـرك ناحيـة العربيـة عشـان يركبهـا..

كُل ده، و"خالـد" واقـف مسـتخبي ورا عامـود، بيراقـب الـلي بيحصـل، كان متوقـع إنـه خـلاص كـده، "عمـرو" هيركـب عربيتـه ويدورهـا ويمـشي، بـس الـلي حصـل إنـه فتـح بـاب العربيـة ووقـف للحظـة، بـص فيهـا لــ



"سارة" اللي كانت بتبُص على الطريق وبتشوف لو في مواصلة جاية، وبعدين رجع تاني لحد عندها، نده عليها فـ بصت له، اِبتدا يتكلم وهو بيشاور على العربية، الدم غلي في عروق "خالد"، كور إيده بعصبية وكان هاين عليه يضرب العامود من كُتر العصبية، "سارة" بصت لـ "عمرو" وابتسمت له بذوق وهزت راسها يمين وشمال، رفضًا لاقتراحه بإنه يوصلها، بس هو ماستسلمش من أول رفض، فضل يتكلم معاها وهو بيشاور على الطريق، وكأنه بيقنعها إنها مش هتلاقي مواصلة دلوقتي وإن الطريق زحمة، رفضت للمرة التانية، لكنه برضو استمر في مُحاولة إقناعها، والمرة دي شاور على ساعته، وكأنه بيقول لها إن الوقت هيِّتأخر، وإنه ماينفعش يسيبها واقفة في الشارع لوحدها، المرة دي مرفضتش، بصت ناحية الطريق وكأنها بتستجدي أي مواصلة تيجي عشان تنقذها من الموقف ده، فكر "خالد" إنه يظهر في الصورة عشان يخفف عليها الموقف، بس راجع نفسه وقرر يفضل واقف ويشوف هتتصرف إزاي وهتعمل إيه، فضلت واقفة للحظة، لحد ما فجأة، لقت "عمرو" بيمد إيده وبيلمسها من كتفها، وهو بيشاور ناحية العربية لتاني مرة، نبضات قلب "خالد" زادت بشكل ملحوظ، بس اللي صدمه أكتر إن "سارة" منزلتش إيده لما عمل كده، لأ دي بصت له، وابتسمت، وهزت دماغها بإنها موافقة تركب معاه، واِبتدت فعلًا تتحرك ناحية العربية، ابتسم "عمرو" ابتسامة المُنتصر، اتحرك معاها وفتح لها باب العربية، وتعمد إنه يلمس ضهرها بكف إيده وهيَّ بتركب، "خالد" ماكنش عارف اللي شافه بعد كده كان حقيقة ولا تهيؤات من الحالة اللي هو فيها، لكنه كان شبه مُتأكد إنه شاف "عمرو" بيتأمل مراته وهيَّ بتركب العربية، وبيُنظر لها برغبة، "خالد" مقدرش يُصبر أكتر من كده، جري ناحيتهم بأقصى سُرعة عنده، عدّى

الشارع وكان هيتداس من أكتر من عربية، بس للأسف المسافة كانت بعيدة شوية، لإنه بمُجرد ما وصل كانت العربية اتحركت بالفعل، فضل واقف مكانه وهو بياخُد نفسه بالعافية ومش قادر يستوعب الموقف اللي حصل، وبعدين فاق فجأة على صوت كلاكس عربية، لف وراه واكتشف إنه واقف في نُص الشارع، وإن العربية اللي كانت بتزمر له كانت تاكسي، مفكرش كتير، جري ناحية التاكسي بسُرعة وفتح الباب وركب، وهو بيشاور على عربية "عمرو" وبيقول للسواق يمشي وراها بالراحة، السواق داس بنزين وجري عشان يلحق العربية ومتتوهش منه، ولما قرب منها ساب مسافة بينه وبيها، حاول "خالد" يتمالك نفسه بكُل طاقته، بس مقدرش، طلع موبايله واتصل بـ"سارة"، فضل يدي جرس، ومردتش في الآخر، العربية كانت متفيمة فـ ماكنش قادر يشوفهم من ورا الإزاز خالص، رن تاني، إدى جرس، والمرة دي "سارة" قفلت عليه!

فضل "خالد" في الحالة دي لحد ما وصلوا لأول شارعهم، فجأة عربية "عمرو" هدت وركنت على جمب، "خالد" خلى سواق التاكسي يركن الناحية التانية عشان يعرف يراقبهم، فضل باصص عليهم من بعيد، "سارة" مانزلتش على طول، فضلت في العربية دقيقة أو أكتر، مروا على "خالد" كأنهم عُمر بحاله، كان هاين عليه ينزل يكسر العربية على دماغهم هُما الاتنين، بس في نفس الوقت، كان عايز يجيب آخرها، كان عايز يعرف إيه اللي هيحصل بعد كده، فجأة، لقى سارة بتنزل من العربية وهيَّ بتضحك، شاورت لـ "عمرو"، وبعدين قفلت الباب وابتدت تتحرك، معدتش ثواني و"عمرو" زمر لها، فـ لفت ورجعت له من ناحية بابه هو، نزل الإزاز واداها حاجة، دقق "خالد" عشان يشوف اداها إيه، كان موبايلها، غالبًا نسيته على الكُرسي وهيَّ نازلة،



خدتـه منـه وهـيَّ بتُشـكره بنفـس الضحكـة، وبعديـن سـلمت عليـه، واتحركـت ناحيـة البيـت، المـرة دي "خالـد" اتأكـد إنـه مـش بيتوهـم، لإنـه شـاف "عمـرو" بشـكل أوضـح وهـو بيبُـص عـلى جسـم "سـارة" وهـيَّ ماشـية، فضـل باصـص لهـا للحظـات، وبعديـن اتحـرك بعربيتـه، في اللحظـة دي موبايـل "خالـد" رن، بـص عـلى الموبايـل، الاسـم كان حبيبتـي، بـص عـلى "سـارة" لقاهـا حاطـة الموبايـل عـلى ودنهـا وهـيَّ ماشـية، سـابها تـرن شـوية، وفي النهايـة رد وقـال:

- "ألو؟"

- "أيـوة يـا حبيبـي، معلـش المواصـلات كانـت زحمـة معرفتـش أرُد عليـك، أنـا خـلاص طالعـة البيـت أهـو"

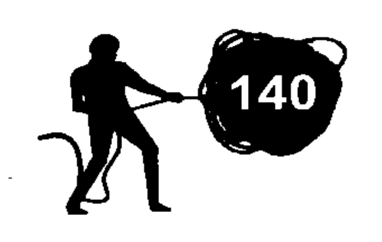
***

حـط المُفتـاح في البـاب، وفضـل واقـف للحظـة، وبعديـن لفـه في الكالون مرتـين وفتحـه، كان بقـى لـه أكـتر مـن نُـص سـاعة واقـف تحـت، بيحـاول يفـوق مـن صدمتـه، بيحـاول يهـدى، وبيحـاول يفكـر بشـكل سـليم، لحـد مـا في النهايـة قـرر إنـه كفايـة كـده، وإنـه لازم يطلـع..

دخـل مـن بـاب الشـقة وقفلـه وراه، سـمعت صـوت البـاب فـ اتحركـت عـلى الصالـة، بصـت لـه بقلـق وقالـت لـه:

- "إيه يا خالد.. كُنت فين؟ مش عوايدك تنزل دلوقتي!"

فضـل باصـص لهـا ومـردش في لحظتهـا، كان بايـن عليـه التعـب، والوجع، اتحـرك بهـدوء ناحيتهـا، وبعديـن تخطاهـا، وقعـد عـلى الكنبـة، بـص لهـا للحظـة، اتنهـد بعُمـق، وبعديـن قـال لهـا بصـوت هـادي:



- "عمرو بيوصلك كُل يوم؟ ولا النهاردة بس؟"

السؤال وقع عليها زي الصاعقة، للحظة مكانتش عارفة تـرُد وتقول إيه، فضل باصص لها بنفس الثبات، نظرته كانت بتخترقها، حاولت تفكر في رد، حاولت تقلب الترابيزة، وفعلًا قالت:

- "إنت... إنت كُنت بتراقبني؟"

ابتسم، وبعدين ضحك، ضحكة طويلة مُفتعلة، كح على أثرها كُحة قوية، وبعدين سكت للحظة وقال بابتسامة وبنفس الهدوء:

- "آه، كُنت براقبك"

- "إنت مش من حقـ.."

- "رُدي عليا!"

زعق في الجُملة الأخيرة بكُل قوته لدرجة إن قلبه وجعه، اتهز للحظة ومسك قلبه، اتخضت من صوته ومن حالته، والدموع اِبتدت تتكون في عينيها، بص لها مرة تانية وهو بيقول بصوت باين عليه التعب:

- "كُنتي بتستغفليني كُل يوم؟ ولا النهاردة بس؟"

دموعها اِبتدت تنهمر على خدها، مكانتش عارفة ترُد عليه، هو كمان كان عارف إنها مش هتقدر ترُد، قام وواجهها، كانت خايفة منه، وخايفة عليه، بص لها وقال بنفس النبرة الهادية:

- "بُكره تروحي الشُغل، وتقدمي استقالتك، وماتروحيش هناك تاني لأي سبب، وشوفي شُغلك القديم ترجعي له، ولا ماتشتغليش خالص،



معادتــش تفــرق بالنســبة لي خــلاص، المُهــم إنــك مــش هتكمــلي في الشُــغل ده، مفهــوم؟"

- "يا خالد أنا..."

- "مــش عايــز اســمع كلام كتــير، أنــا تعبــت خــلاص، تعبــت من الــكلام ومن التفكــير، تعبــت مــن التظاهــر بــإني تمــام وعــادي، تعبــت مــن إني باجــي عــلى نفــسي وبقبــل حاجــات مُتعارضــة تمامًــا مــع مبــادئي وقناعــاتي، أنــا خــلاص، مبقتــش عايــز غــير إني أبقــى مرتــاح وبــس، عايــز زوجــة تســمع الــكلام، وتحترمنــي، وماتســتغفلنيش، ماتقوليــش عــلى حاجــة وتعمــل عكســها مــن ورايــا، أنــا مــش بطلــب كتــير عــلى فكــرة، أنــا بطلــب نفــس الــلي أنــا بقدمــه، لا أكــتر ولا أقــل، فــ ياريــت متقعديــش تجادلينــي في قــرف مالــوش لازمــة، مــش عايــز اســمع قرفــك ده تــاني، عايــز اســمع كلمــة واحــدة، حــاضر، حــاضر وبــس"

فضلــت بَصــة لــه وهــيَّ مُنهــارة مــن العيــاط، وهــو فضــل مســتنيها تجــاوب، عــدت أكــتر مــن دقيقــة وهــيَّ بتفكــر، بتراجــع نفســها، لحــد مــا في النهايــة ردت وهــيَّ بتعيــط وقالــت:

- "حاضر، حاضر يا خالد"

اتنهد بعُمق بمُجرد ما سمع الكلمة الأخيرة، كملت وقالت:

- "هســيب الشُــغل ومــش هروحــه تــاني، ولــو عايــزني أبطــل شُــغل خالــص وأقعــد في البيــت، هعمــل كــده"

بــص لهــا، وهــو بيراقــب وقــع الكلــمات الــلي بتقولهــا عــلى ملامحهــا، كملــت:

- "بس بشرط!"



استغرب الرد، سألها:

- "شرط إيه؟!"

- "نخلف"

الكلمة صدمته، متوقعهاش أبدًا في حوار زي ده، كملت:

- "أنا مُستعدة أتخلى عن الشُغل عشان خاطرك، بس ماعنديش استعداد أفضل قاعدة بين أربع حيطان مستنياك لما ترجع من الشُغل، يومي كُله بينحصر في الطبيخ والغسيل والمُسلسلات، لو فعلًا عايزني أسيب شُغلي، يبقى نخلف"

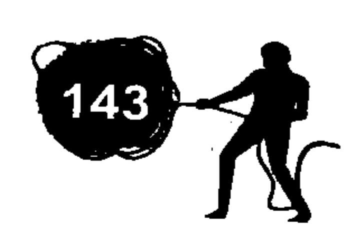
- "أنا مقدرش أعمل كده"

- "ليه؟ هتقولي لسه مش جاهز صح؟ سنين عدت وإنت مش جاهز! هتبقى جاهز إمتى! رُد عليا هنخلف إمتى؟"

بص حواليه ومردش، لإنه كان عارف إن الإجابة مش هترضيها، بس هيَّ كده كده كانت عارفاها:

- "أنا أقولك يا خالد، إحنا عُمرنا ما هنخلف، لإن ببساطة، طول ما الأفكار بتاعة زمان دي لسه في دماغك مُستحيل هتبقى جاهز، هتفضل طول عُمرك شايف نفسك مش قد المسؤولية"

- "لإني فعلًا مش قد المسؤولية! إنتي عارفة إنتي بتتكلمي في إيه؟ بتتكلمي في طفل! طفل من لحم ودم، روح جديدة هتيجي الدُنيا تتعذب لو مكُناش جاهزين كفاية إننا نعتني بيها! إنتي مش شايفانا ولا إيه؟ ده إحنا كُل يوم في مشاكل! عايزانا نخلف والولد



ييجـي يلاقـي أبـوه وأمـه مُنفصلـين؟ عايـزاه يتعقـد زي مـا أنـا اتعقدت؟ إنتـي مـش مُدركـة إنتـي بتتكلمـي في إيـه أصـلًا"

- "أنـا بتكلـم في حقـي! حقـي الـلي ربنـا وهبهـولي وزرع فيـا غريـزة تحقيقـه، إنـت الـلي مـش مُـدرك أنـا مُسـتعدة أضحـي بإيـه علشـانه، مُسـتعدة أضحـي بشـغلي وكاريـري كُلـه في سـبيل إن يبقـى عنـدي ابـن، يبقـى هـو مشروعـي في الحيـاة، يبقـى هـو أمـلي بعـد الحيـاة الصعبـة الـلي عشـتها، هـزرع فيـه كُل حاجـة حلـوة، هحبـه أكـتر مـن أي حـد في الدُنيـا، نفـسي في ابـن يـا خالـد! نفـسي أبقـى أم يـا أخـي!"

اتهـز للحظـة، بـس تمالـك نفسـه وحـاول مايبينـش تأثـره، كان بيفكـر إنه اتخـلى عـن أغلـب قناعاتـه عشـانها، وفي النهايـة مبقـاش مبسـوط برضـو، فكـر إن دي القناعـة الوحيـدة الـلي لـو اتخـلى عنهـا، مـش هتـؤدي لتعاسـته هـو وبـس، لا دي مُمكـن تـؤدي لتعاسـة شـخص تـاني مالـوش ذنـب، طفـل كُل ذنبـه إنـه جـه الدُنيـا عشـان يـرضي غريـزة أم أنانيـة، مبتفكـرش غـير في نفسـها وبـس..

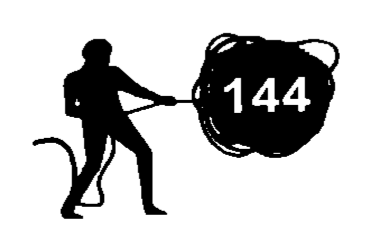
بص لها، ورد بمُنتهى الثقة:

- "أنـا آسـف يـا سـارة، مـش هقـدر أقـدم لـك ده، ومعتقـدش إني هقـدر أقدمهولِـك أبـدًا"

دموعها زادت، لكنها ردت وقالت رغم دموعها:

- "يبقـى مـش مـن حقـك تقـولي أسـيب الشُـغل أو ماسـيبهوش، مـش مـن حقـك أي حاجـة أصـلًا"

- "عندِك حق"



ماكنـش بيتريـأ، قـال الجُملـة الأخـيرة وهـو مُقتنـع بيهـا، لأول مـرة مـن زمـن يكـون قناعـة جديـدة ويضيفهـا عـلى قايمـة قناعاتـه، وعُمـره مـا تخيـل إن القناعـة دي، هتتعلـق بيه وبـ"سـارة"..

فضــل واقــف مكانــه لدقايــق، وهــو مُــدرك المفــروض يعمــل إيــه دلوقتـي، بـس جسـمه ماكنـش مسـاعده إنـه يتحـرك أو ياخُـد خطـوة، كان عـارف إنـه لـو اِتحـرك يبقـى خـلاص كـده، مَفيـش رجـوع تـاني، فضلـوا ثابتـين في مكانهـم هُـما الاتنـين، مـا بـين دمـوع وحـسرة، وصدمـة مـش قابلهـا العقـل، لحـد مـا في النهايـة قـدر "خالـد" إنـه يتحـرك ناحيـة أوضتـه، غـاب فيهـا رُبـع سـاعة، وبعديـن خـرج وهـو بيجُـر وراه شـنطة سـفر كبـيرة، "سـارة" راقبتـه وهـو بيتحـرك بيهـا لحـد البـاب، مـن غـير مـا تقـول أي حاجـة، الموقـف ماكنـش مسـتدعي أي كلمـة مـن طرفهـا، بـس "خالـد"، كان لازم يتكلـم..

وقـف عـلى البـاب للحظـة، بـص لهـا وبصـت لـه، اتمـلى فيهـا عـلى قـد مـا قـدر، وبعديـن قـال بصـوت مجـروح:

- "ورقتك هتوصلك على بيت مامتك، أشوف وشك بخير يا سارة"

***





12:00 ظهرًا..

فضلت قاعد في مكاني وأنا بفكر في حكاية "خالد"، اللي نهاها ومقدرش يمسك دموعه من كُتر تأثره بالموقف، كُنت حاسس بيه جدًا، لإن أنا كمان افتكرت موقف انفصالي عن "أروى" وافتكرت قد إيه كان صعب عليا، مقدرش يكمل الجلسة، وقرر ينهيها ويروح يستريح، فوافقته، وندهت على "دُعاء" عشان تجيب المُمرض ويوديه لأوضته، ومن ساعتها وأنا قاعد بفكر في اللي قاله، وإن بنسبة كبيرة، برغم كُل الوجع والألم، هو أكيد خد القرار الصح..

سألت نفسي بعدها..

"أكيد.. أكيد يا علاء؟ ولا إنت بس عايز تحس إن إنت كمان قرارك كان صح؟!"



بصيت في ساعتي، كانت داخلة على 12 وربع، في اللحظة اللي الباب خبط فيها ولقيت "نادية" بتُدخل عليا بابتسامتها المعهودة، ابتسمت لها وقُمت عشان أسلم عليها، لقيتها بتقولي:

- "معلش يا علاء أعذرني على التأخير، أنا دايمًا بتأخر كده، مش بعرف أبقى مظبوطة في مواعيدي خالص"

- "ولا يهمك، اتفضلي"

طريقتي كان باين عليها الرسمية جدًا، هيَّ كمان لاحظت ده، حاولت أبعد عن دماغي أي أفكار غير احترافية من ناحيتها، أو إحساس بإعجاب أو خلافه، اتحركِت ناحيتي وسلمت عليا، قبل ما تتحرك ناحية الكُرسي وتقولي بصوت فيه شوية اهتمام:

- "إنت كويس؟!"

- "آه تمام، ضغط الشُغل بس"

ابتسمت لي، وقالت بصوت هادي:

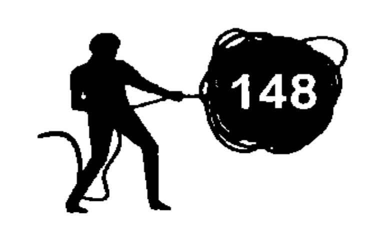
- "طيب لو حابب تتكلم، أنا مُستعدة ألعب دور الدكتور النفسي النهاردة واسمعك، إيه رأيك؟"

ابتسمت لها، بصيت على المكتب وبعدين قُلت لها:

- "مَفيش حاجة ماتشغليش بالك، خلينا في قصتك بس الأول، أنا مُتشوق جدًا أعرف أكتر عن حُسام"

اتهزت للحظة لما جبت سيرته، مع إنها المفروض عارفة إنها هتتكلم عنه النهاردة، سكتت شوية، قبل ما تقولي:

- "تحب تعرف عنه إيه؟"



- "كُل اللي نفسك تحكي لي عليه"

اتنهدت بعُمق، وبعدين قالت:

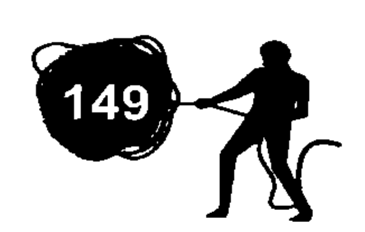
- "كان جميـل، جميـل يـا عـلاء، الراجـل الوحيـد الـلي قـدر يخطـف قلبـي مــن أول يــوم شُــفته فيــه، كُنــا صُحــاب، ونشــأت بيننــا قصــة حُــب جميلـة، انتهـت بالجـواز"

- "طيب حلو جدًا، ليه بقى حصل الانفصال؟!"

سكتت للحظة، ابتسمت فيها بسُخرية، قبل ما تكمل وتقول:

- "عشـان زي مـا قُلـت لـك يـا عـلاء، قصـة الحُـب الجميلـة دي... انتهـت بالجواز!"

***



- "نادية؟ إنتي فين؟"

- "أنا هنا في الصالة يا حبيبي"

فرق كبير بين رد "نادية" على "حسام" وبين ردها على "أحمد"، ردها على "حسام" كان أجمل وأرق وألطف، باشتياق حقيقي إنها تشوفه بعد يوم شُغل طويل ومُرهق، كانت قاعدة في الصالة فاتحة اللاب توب بتاعها وشغالة عليه، وبمُجرد ما سمعت صوت "حسام" ردت عليه، والتفتت عشان تشوفه، عشان تلاقيه ظهر قُدامها بملامحه اللي بتعشقها، عيونه البُنية الصافية ودقنه الكاملة وشعره القُصير، وابتسامته اللي وقعت في سحرها، بمُجرد ما شافته، لقت نفسها بتقوم فجأة عشان تستقبله بحُضن طويل دافي، ضمها جوه حُضنه بقوة وهو بيدفن وشه في شعرها الهايش، قبل ما يهمس في ودنها:

- "وحشتيني"

- "وإنت كمان يا قلبي"

باسها من رقبتها بحنية، غارت وضحكت برقة، وحاولت تفلت منه بنعومة وهيَّ بتقول:

- "يا ابني إنت لسه جاي من بره، ده إنت حتى ملحقتش تاخُد نَفَسك من طلوع السلم، إنت مابتشبعش خالص كده؟"

- "مقدرش أشبع منك أبدًا"

- "طيب يلا، روح غير كده وخُد دُش، وأنا هخلص اللي في إيدي وهحضر لك الغدا"

خطف منها بوسة سريعة على شفايفها، اتفاجئت بيها وبرقت له وهيَّ بتضحك، قبل ما يسيبها ويتحرك ناحية أوضتهم وهيَّ بتقول له:



- "وماتولعش سجاير في الأوضة عشان ريحتها بتضايقني"
- "حاضر يا قلبي"

قلبهـا كان بيُرقـص في كُل مـرة كان بيقـول لهـا كلمـة حلـوة، أو كان بيلمسـها فيهـا، هـيَّ كـمان مكانتـش بتقـدر تشـبع منـه، مـن شـقاوته وبراءتـه وحنيتـه، وجـوده بالنسـبة لهـا كان كافي جـدًا عشـان تبقـى مرتاحـة، ومبسـوطة وسـعيدة، اتنهـدت بعُمـق، قبـل مـا ترجـع تـاني عشـان تكمـل الـلي كانـت بتعملـه عـلى الـلاب..

"ناديـة" في الوقـت ده كانـت مشـغولة في إنهـا بتـدور على منـح في المجال بتاعهـا عـن طريـق الانترنـت، الموضـوع ماكنـش سـهل أبـدًا، الجامعـات كانـت كتـير بـس المنـح كانـت قُليلـة ومُتطلباتهـا صعبـة، وهـيَّ كانـت لسـه في البدايـة، معملتـش حاجـة مُميـزة أوي تخـلي الجامعـات تتهافـت عليهـا يعنـي، بـس برغـم كـده، مبطلتـش تحـاول وتـدور، أصـل ده كان حلمهـا مـن زمـان، مـن سـاعة مـا قـررت إنهـا تُدخـل الكُليـة، إنهـا تحصـل عـلى ماجسـتير ودكتـوراة مـن جامعـة بـره مـصر، وإنهـا تسـافر ومانرجعـش تـاني، "ناديـة" مكانتـش حابـة الحيـاة في مـصر خالـص، وكانـت بتحلـم إنهـا تشـتغل وتعيـش في أي دولـة أوروبيـة، أيًـا كانـت هـيَّ إيـه، المُهـم إنهـا تسـافر، لأنهـا اكتفـت مـن الحيـاة في مـصر ومشـاكلها ومتاعبهـا بالـذات في المجـال بتاعهـا، الـلي كانـت فُـرص الشُـغل فيـه في مـصر قُليلـة جـدًا..

- "بتعملي إيه يا نادية؟"

فاقـت مـن شرودهـا عـلى صـوت "حسـام" الـلي كان خـارج مـن الحـمام ومُتجـه ناحيتهـا، قبـل مـا تقولـه:

- "مَفيش، بدوّر على منح ماجستير"



قعـد جمبهـا عـلى الكنبـة، وبعديـن خـد تُفاحـة مـن طبـق تُفـاح كان محطـوط عـلى الترابيـزة، قطـم منهـا حتـة قبـل مـا يقـول لــ "ناديـة":

- "وإيه الأخبار؟"

- "الموضـوع صعـب أوي يـا حسـام، صعـب بجـد، المُتطلبـات تعجيزيـة وحاسـة إني مـش هلاقـي حاجـة تناسـبني أبـدًا"

- "ماهـو طبيعـي يـا بنتـي، هُـما يعنـي هيعرفـوا المُميزيـن إزاي؟ لازم طلباتهـم تبقـى صعبـة"

- "أيـوة بـس مـش للدرجـة دي، أنـا حاسـة إن قُدامـي مـش أقـل مـن 3 سـنين عشـان ألاقـي منحـة مدفوعـة بالكامـل وتكـون في صميـم دراسـتي"

- "لا لا مـش للدرجـة دي، أكيـد هتلاقـي إن شـاء الله، أصـل إحنـا في مـصر يعنـي مـش في أوروبـا أو أمريـكا"

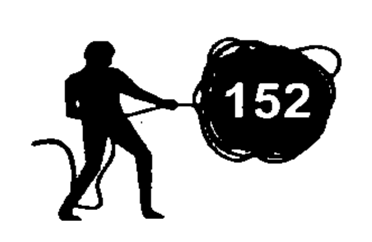
- "يعني إيه؟!"

- "أقصـد إنـك بتـدوري عـلى منحـة في جامعـات هنـا في مـصر مـش كـده؟ أكيـد طلباتهـم مـش هتبقـى أصعـب مـن طلباتهـم بره"

سـكتت "ناديـة" للحظـة، اسـتوعبت فيهـا إنـه فهمهـا غلـط، فــ قالـت لـه وهـيَّ بتضحـك:

- "يـا حبيبـي لأ، جامعـات هنـا إيـه بـس اللـي هـدور فيهـا؟ أنـا بـدور عـلى منـح بـره مـصر"

كان بيُقطـم التُفاحـة لمـا قالـت الجُملـة الأخـيرة، ثبـت للحظـة وملامحـه اتغـيرت، بـص لهـا وبعديـن قـال:



- "مش فاهم، منح بره مصر إزاي؟"

بصت له وهيَّ مستغربة، وبعدين ردت:

- "بره مصر يا حسام، يعني في فرنسا في ألمانيا في إنجلترا، كده يعني"
- "أيوة يعني هتسافري إزاي برضو!"
- "يعني إيه هسافر إزاي؟!"

بصت له وهيَّ مش فاهمة سؤاله، اتنهد بعُمق، وابتدا صوته يتغير ويبقى جاف شوية وهو بيقول لها:

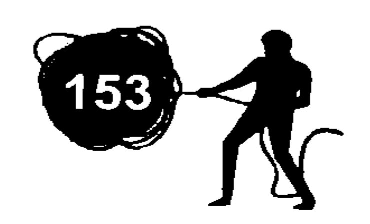
- "يعني... هتسافري إزاي وإحنا متجوزين؟!"
- "وإيه المُشكلة مش فاهمة؟! ما إنت عارف من زمان إني حلمي اسافر وأدرس بره مصر، وأعيش بره كمان"
- "أيوة ده كان زمان، قبل ما نتجوز، أنا كُنت مُتخيل إنك بطلتي تفكري في الموضوع ده خلاص"

سكتت "نادية" للحظة وحست بشوية خوف من كلامه، وبعدين قالت:

- "وأبطل أفكر فيه ليه؟! وإيه اللي يمنع إننا نبقى متجوزين واسافر يا حسام؟!"

بص لها للحظة، وبعدين ضحك وقال:

- "لأ لأ، إنتي أكيد بتهزري"
- "مش بهزر والله، بتكلم جد!"



بص لها مرة تانية وهو مش قادر يستوعب إنها مبتهزرش، سكت شوية، وبعدين قال:

- "فعلًا؟! مش شايفة أي حاجة تمنع سفرك وإحنا متجوزين؟!"

- "لا خالص"

- "طب اشرحي لي كده معلش، الموضوع ده هيتم إزاي، يعني إيه الخطوات اللي بتتاخد من بعد قبولك في المنحة لحد ما بترجعي؟"

- "بسافر وإقامتي بتبقى عليهم، بقعد هناك سنة أو اتنين على حسب الجامعة، ولو خلصت ونجحت أقدر أقدم على منحة دكتوراة كمان وأنا هناك"

هز دماغه باستهزاء شوية، حط بقية التُفاحة في الطبق، وبعدين عدل نفسه وابتدا يعد على صوابعه وهو بيقول:

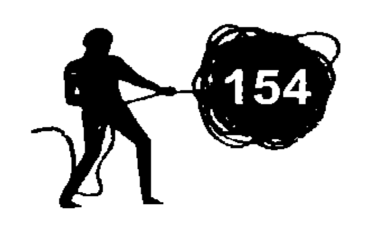
- "يعني... أولًا هتسافري لوحدك، في بلد أوروبية مُنفتحة، وثانيًا، هيبقى بيني وبينك آلاف الأميال ومش هنبقى سوا، وثالثًا، هتبعدي عن جوزك فترة تتراوح ما بين سنتين لخمس سنين مثلًا، من غير ما تبقي مُقيمة معاه بشكل دائم، دي كُلها حاجات ماتمنعش سفرك يا نادية؟"

سكتت للحظة، وبعدين قالت:

- "أكيد في حلول يا حسام!"

- "زي إيه؟ قوليلي"

- "زي إن هيبقى في أجازات أكيد وهنزل مصر و..."



- "ده مــش حــل يــا ناديــة، أنــا ماتجوزتكيــش عشــان تبعــدي عنــي بالشــهور وترجعــي تُقعــدي معايــا أســبوعين وتمــشي! ده مــش جــواز ده!"

- "ليــه محسســني إن دي هتبقــى حياتنــا العُمــر كُلــه يــا حســام؟! دي فــترة مؤقتــة!"

- "مَفيــش حاجــة اســمها فــترة مؤقتــة يــا ناديــة، الفــترة بتجُــر فــترة، بُكــره تســافري عشــان تحــضري ماجســتير، بعــده تكمــلي للدكتــوراة، بعــده تقوليــلي جــات لي فُرصــة شُــغل حلــوة بــره ومــش عايــزة أضيعهــا، وهكــذا"

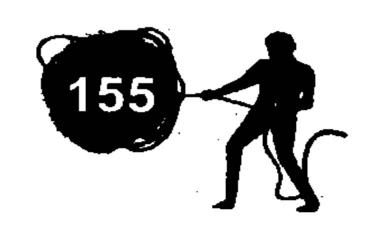
- "يبقى تسافر معايا يا حسام!"

ضحك باستهزاء للمرة التانية وبعدين قال:

- "وشُغلي؟!"

- "تشتغل بره"

- "أشــتغل إيــه بــره؟ إحنــا هنضحــك عــلى بعــض؟ أنــا كاتــب يــا ناديــة، كاتــب وسيناريســت، وبشــتغل في واحــدة مــن أكــبر شركات الإنتــاج في مــصر، الــلي بتنتــج أفــلام ومُسلســلات مصريــة! يعنــي لازم أفضــل في مــصر، لازم أحتــك بالشــارع والنــاس عشــان أعــرف أكتــب عنهــم وأعــبر عــن أفكارهــم، لمــا أســافر هشــتغل إزاي؟! أنــا مــش دكتــور ولا مُهنــدس! أنــا كاتــب، لا اللُغــة هــيَّ اللُغــة ولا الأفــكار ولا الثقافــة، هبــدأ هنــاك مــن الصفــر بعــد مــا بنيــت اســم ومركــز وبقــى ليــا مكانــة كبــيرة هنــا؟ بقــى ده كلام نــاس عاقلــين يــا ناديــة؟!"



- "أُمال كلام الناس العاقلين إن لو جات لي فُرصة عظيمة زي دي أسيبها؟! أتخلى عن حلمي عشان خاطرك؟! هو إنت ترضاها لنفسك يا حسام؟! يعني لو جات لك فُرصة شُغل حلوة في الخليج مثلًا، كُنت هترفضها؟"

- "آه يا نادية كُنت هرفضها! أو لو كانت ظروف شُغلك غيري وكُنتي هتقدري تشتغلي في أي بلد وأي مكان كُنت هسافر وأخدك معايا وتشتغلي هناك، إنما لو كانت ظروفك زيي كده ومايَنفعش تسيبي مصر كُنت هرفضها، عارفة ليه؟"

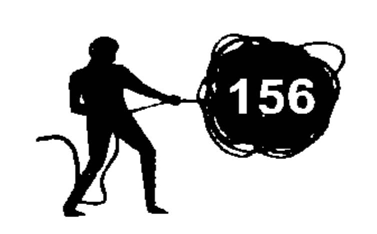
سكت للحظة، قبل ما يقرب منها، ويقول بصوت أهدى شوية:

- "عشان بحبك، عشان مقدرش أبعد عنك أسبوع واحد! ده إنتي اليوم اللي بتباتي فيه عند مامتك يا نادية بيمُر عليا كأنه سنة، فما بالك لو بعدت عنك شهور وسنين! خليني أفكرك إحنا اتجوزنا ليه يا نادية، اتجوزنا عشان نفضل مع بعض طول العُمر، يبقى إزاي... إزاي تتخيلي إني مُمكن أقبل أو أرضى إني أبعد عنك؟!"

سكت وهو بيبُص لها، وبعدين مسك إيدها وهو بيقول:

- "إنتي... إنتي تقدري تبعدي عني؟"

فضلت بصاله ومردتش على طول، لإن كُل الحاجات دي ماجتش في دماغها أصلًا، رغبتها في إنها تسافر وتدرس بره كانت أكبر من إنها تفكر في إيه اللي هيحصل لو بعدت عن "حسام"، أكيد كانت مُتخيلة إن الموضوع هيبقى صعب عليهم، بس متخيلتش أبدًا إنه مُمكن يوصل لإنها تتخلى عن حلمها بالسهولة دي، سكتت شوية، قبل ما تبُص له وتقول بتردد:



- "لا يا حسام، مقدرش أبعد عنك، بس..."

- "مَفيش بس"

مد إيده وقفل اللاب بالراحة، وكمل وقال:

- "مدام ماتقدريش يا حبيبتي، يبقى تشيلي الموضوع ده من دماغك خالص، ودوري على منح هنا في مصر براحتك، وأنا هدعمك في ده ومش همنعك عنه أبدًا، وهفضل أدعمك عشان تبقي أحسن في شُغلك، طول ما إنتي هنا، طول ما إنتي جمبي"

قرب منها وطبع بوسة على جبينها، وبعدين مسك وشها بكفوفه الاتنين وقرّب منها أكتر، قبل ما يميل بيها على الكنبة ويبوسها بوسة طويلة على شفايفها، خلت "نادية" توقف تفكير في الموضوع وتدوب فيها، وكأن عقلها اتخدر في اللحظة دي، لما قلبها داق طعم القُرب منه، من حبيبها!

***

- "بس للأسف يا علاء، مقدرتش أشيل الموضوع من دماغي بسهولة"

سحبت سيجارة من علبة سجايري وولعتها، وأنا بسألها:

- "كُنتي حاسة بإيه وقتها؟"

- "كُنت حاسة بصراع، صراع جوايا مش راضي يهدى، ما بين قلبي، وعقلي"

- "احكي لي أكتر"

سكتت للحظة، قررت هيَّ كمان تولع سيجارة، وبعدين كملت..





مكانتش حاجة سهلة أبدًا إنها توقف تفكير في أكتر حاجة كان نفسها فيها بجد، فُرصة الدراسة بره، عند الناس اللي بيقدروا العلم والعُلماء، طول عمرها عندها طموح كبير، وشايفة إنها تقدر توصل وتبقى زي زويل وفاروق الباز وغيرهم كتير، بس لو اتوفرت لها الإمكانيات الصح، والتعليم المُناسب، فكرة إنها تتخلى عن ده كُله، إنها توافق تحجّم طموحها وتخليه لا يتعدى الشُغل والدراسة في مصر كانت حاجة صعبة عليها جدًا، أصل ليه يعني! ليه وعشان مين؟ عشان "حسام"؟! ده مش ذنبها، مش ذنبها إنه رافض فكرة سفرها من أساسها وإنه شخص أناني و...

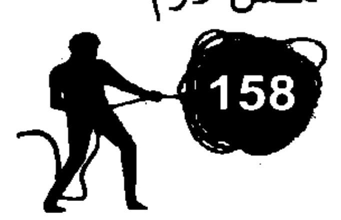
"إيه اللي إنتي بتقوليه ده يا نادية؟"، قالت لنفسها، "حسام آخر واحد في الدُنيا مُمكن يكون أناني، حسام ضحى بحاجات كتير جدًا وتعب وشقي عشان تتجوزوا، وتكونوا مع بعض في الآخر، وطول عُمره بيدعمك في دراستك وشُغلك، وبيحترم كيانك ومقدره وبيتباهى بيكي وسط معارفه المشهورين، واحد غيره كان قعّدك في البيت ومخلاكيش تشتغلي أصلًا، مش كده ولا إيه؟!"

"أيوة بس... بس ده مش صح! مش معنى إنه معملش معايا كده إني أوافقه وأتخلى عن حلمي في السفر والدراسة بره، أنا مش عايزة أحقق كياني هنا، مش عايزة أفضل هنا!"

"محدش بياخُد كُل حاجة يا نادية"

"ومين قال إني لما أبقى عايزة أحقق طموحي، يبقى ده كُل حاجة؟"

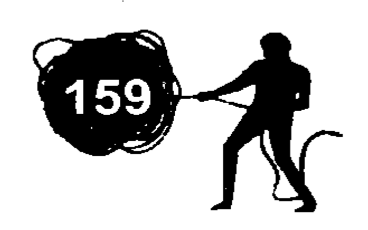
"يكفيكي زوج بيحبك وبيموت فيكي، وإنتي بتموتي فيه، يكفيكي إنه راجل مُتفهم ومُناصر لشُغلك، مش لازم تفكري في أكتر من كده، مش لازم"



فضلـت "ناديـة" في الحـيرة دي لفـترة، قلبهـا بيقـول مـش لازم، وعقلهـا بياخُدهـا غصـب عنهـا للتفكـير في حياتهـا الـلي هتتغـير تمامًـا لـو سـافرت تـدرس بـره، الـصراع جواهـا كان قـوي، مـا بـين إحساسـها بـإن "حسـام" معاه حـق، وإنـه مـش طبيعـي إن اتنـين متجوزيـن يتفرقـوا بالشـكل ده، ومـا بـين تفكيرهـا الـلي بيقـول لهـا مـش منطقـي تتخـلى عـن حلمهـا بالبسـاطة دي، بعـد مـا عاشـت سـنين بتحلمـه وبتسـعى إليـه، بعـد كُل التعـب الـلي تعبتـه في الجامعـة عشـان توصـل لـه وتحققـه في الآخـر، عُمرهـا مـا تخيلـت للحظة إن التعـب ده كُلـه، هيبقـى في الآخـر نتيجتـه إنهـا تـرضى بنصيبهـا وتشـتغل في مـصر أي حاجـة، زيهـا زي غيرهـا، مـن غـير مـا تحـاول تبقـى أحسـن حـد في مجالهـا، مـن غـير مـا تسـيب بصمـة تخلـد اسـمها في التاريـخ..

عقلهـا كان بيحـاول يقنعهـا إنهـا بتضحـي بحاجـة مـش سـهلة، وإنهـا ماينفعـش تضحـي بيهـا مـن الأسـاس، أمـا قلبهـا، فـكان مصـدق "حسـام"، وبيخليهـا تفكـر في كلامـه طـول الوقـت، فضلـت "ناديـة" تتخيـل إيـه الـلي مُمكـن يحصـل لهـا لـو بعـدت عـن "حسـام"، وإنهـا فعـلاً مـش هتقـدر تسـتحمل البُعـد زيـه بالظبـط، ده "حسـام"! عـشرة العُمـر والحبيـب والـزوج، أكـتر حـد بتحبـه في الدنيـا دي كُلهـا، أكـتر حـد اتعـودت عليـه وعلى قُربـه منهـا، إزاي مُمكـن تصحـى في يـوم ومتلاقيهـوش جمبهـا عـلى السرير؟! إزاي هترجـع لبيتهـا مـن غـير مـا تجـري عليـه عشـان ياخدهـا في حُضنـه؟! هتعيـش إزاي مـن غـير لمسـته؟! مـن غـير حُبـه وخوفـه عليهـا وحنيتـه؟!

قلبهـا كان بيحـاول يقنعهـا إن بُعدهـا عـن "حسـام" هيكـون مُتعـب ليهـا جـدًا عـلى الصعيـد النفـسي، وإن هيبقـى صعـب عليهـا جـدًا إنهـا تعمـل أي حاجـة في حياتهـا وهـو مـش موجـود، فكـرت في إنهـا لـو سـافرت فعـلًا وسـابته، هـيَّ مُمكـن ماتقـدرش تكمـل في الدراسـة ولا في الشُـغل!

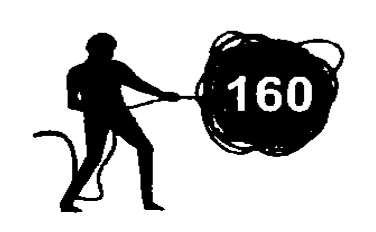


لإنهـا كانـت بتتحامـى فيـه مـن مصاعـب الحيـاة ومتاعبهـا، في الجامعـة لمـا كانـت بتحـس بصعوبـة في الامتحانـات أو إن الدنيـا مـش متظبطـة في مـشروع أو بحـث بتعملـه، كانـت بتجـري عليـه تحـكي لـه وتشـكي لـه، تطلـع كُل اللي جواهـا قُدامـه، تقولـه إنهـا زهقـت ومـش عايـزة تكمـل في الكُليـة وإنهـا جابـت آخرهـا خـلاص، عشـان في اللحظـة دي يمسـك إيديهـا ويقربهـا منهـا، ويقـول لهـا إنـه مـش هيسـمح لهـا تستسـلم مهـما حصـل، وإنـه هيفضـل معاهـا وفي ضهرهـا لحـد مـا تعـدي الأزمـة دي، وده الـلي كان بيحصـل فعـلًا، كان بـس يكفيهـا وجـوده، يكفيهـا إنـه يكـون قاعـد قُدامهـا، يمسـك إيديهـا، يبُـص لهـا بـكُل حُـب ويقـول لهـا بـكُل صـدق إنهـا قدهـا، وتقـدر تعمـل أي حاجـة، "حسـام" كان دايمـا مآمـن بيهـا وبإمكانياتهـا وقُدراتهـا، كان دايمًـا مصدقهـا وبيدعمهـا وبيشـجعها، وده كان أكـتر مـن كافي بالنسـبة لهـا عشـان تعـدي كُل صعـب وتنجـح فيـه، عشـان في النهايـة، تلاقيـه قاعـد قُدامهـا في أول كُـرسي وسـط النـاس الـلي بتصقـف لهـا عـلى نجاحهـا في بحـث أو مـشروع، بعيـون كُلهـا فخـر وسـعادة، وكأنـه بيقـول لهـا..

"صدقتينـي؟ صدقتينـي يـا ناديـة؟ مـش قُلـت لـك إنـك تقـدري"، فـ تـرُد عليـه بضحكتهـا الـلي مزينـة وشـها، وكأنهـا بـترُد عليـه وبتقـول لـه "أيـوة، أنـا أقـدر، طـول مـا إنـت هنـا يـا حُسـام"..

طـول مـا هـو هنـا، طـب لـو مبقـاش هنـا، هـل تقـدر؟! ولـو قـدرت، هـل هتبقـى سـعيدة وهـيَّ بتحقـق نجاحاتهـا لوحدهـا زي مـا بتبقـى سـعيدة وهـيَّ معـاه؟

قلبهـا كان بيقـول لأ، وعقلهـا كان بيقـول مجربتيـش عشـان تقـدري تُحكمـي، يمكـن تقـدري..

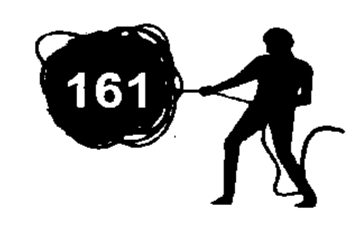


فقلبها كان بيرُد ويقول... ويمكن لأ!

في النهايـة، قـررت إنهـا تبطـل تفكـير في الموضـوع عـلى الأقـل بشـكل مؤقـت، قالـت لنفسـها إنهـا كـده كـده مـش لاقيـة منحـة كويسـة، وفُرصـة قبولهـا في منحـة تـكاد تكـون معدومـة، قـررت إنهـا هتبطـل تـدور عـلى منـح، وهتركـز في شُـغلها أكـتر، بـدل مـا كانـت معتبراه شُـغل مؤقـت لحـد مـا تلاقـي منحـة، وفعـلًا اِبتـدت تعمـل كـده وتركـز في شُـغلها، وبقـى يومهـا بيـدور مـا بـين الشُـغل والبيـت، والبيـت والشُـغل..

وبمـرور الوقـت، اِبتـدا ضغـط الشُـغل يزيـد عليهـا، والاهتـمام بـ"حسـام" وبالبيـت بقـى حاجـة تقيلـة وصعبـة عليهـا أوي، كانـت كُل يـوم بتصحـى الصُبـح بـدري، قبـل "حسـام" تاخـد دُش وتُدخـل المطبـخ، تحـضر الفطـار لـ "حسـام"، وبعديـن تجهـز عشـان تنـزل، "حسـام" كان شـغال في الميديـا، يعنـي ماكنـش مُرتبـط بميعـاد مُعـين لازم يقـوم يـروح الشُـغل فيـه، فـكان دايمًـا بيصحـى بعـد مـا "ناديـة" تنـزل، ولمـا كان بيقـوم كان بيلاقـي فطـاره سُـخن وجاهـز، أمـا "ناديـة" فيُعتـبر مكانتـش بتلحـق تفطـر وهـيَّ في البيت، كانـت بتنـزل وتقـول هتفطـر في الشُـغل، بـس ضغـط الشُـغل كان بينسـيها، لحـد مـا تحـس إنهـا هتسـقّط خـلاص، فتبعـت تجيـب أي حاجـة تاكُلهـا لحـد مـا تـروّح، ولمـا كانـت بـتروّح مكانتـش بتلاقـي "حسـام" في البيـت في الأغلـب، كان بيتأخـر شـوية في شُـغله..

"ناديـة" مكانتـش بتلحـق تسـتريح، يدوبـك تغـير هدومهـا وتجـري عـلى المطبـخ عشـان تحـضر الغـدا، عشـان "حسـام" لازم يرجـع ويلاقـي الغـدا جاهـز، كان بيبقـى صعـب عليهـا جـدًا يرجـع وهـيَّ لسـه بتُطبـخ، كان بيُقعـد كُل شـوية يقـول لهـا إنـه جعـان وتعبـان وعايـز يـاكُل، وهـيَّ مكانتـش بتقـدر تسـتحمل كلامـه ده، لأنهـا كانـت بتبقـى تعبانـة وجعانـة

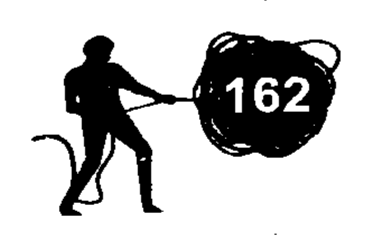


يمكن أكتر منه كمان، في بداية جوازهم لما كانت بتعمل الأكل كانت بتعمله بحُب ونفس راضية، لكن دلوقتي، دلوقتي هيَّ بتعمله غصب عنها!

فكرت كتير في ده؟! هيَّ ليه أصلًا مُجبرة تتعب التعب ده كُله؟ ليه بعد ما تخلص غدا وياكلوا تبقى مُضطرة تُقف تغسل المواعين في المطبخ بدل ما تُقعد وتستريح؟! ليه يومها ينتهيَّ بإنها مش قادرة تفتح عينيها من كُتر التعب؟! وليه يوم أجازتها يبقى مُقتصر على التنضيف والكنس والمسح بدل ما تُخرج فيه ولا تستريح وتنام براحتها!

فكرت إن اللي بيحصل ده مش طبيعي، ومش عدل أبدًا، وده اللي خلاها تفاتح "حسام" في الموضوع ده، قالت له إنها تعبت، مابقتش قادرة تشيل هم الشُغل والبيت مع بعض، وإنها محتاجاه يساعدها في شُغل البيت شوية، استنكر طلبها في البداية، قال لها إنه عُمره ما وقف في مطبخ ولا عمل حاجة ليها علاقة بشُغل البيت، وإن مش طبيعي بالنسبة له إنه يقف يُطبخ ولا يغسل المواعين ولا يعمل أي حاجة من الحاجات دي، حاولت تقنعه إن مافيهاش حاجة، وإن الموضوع مش هيبقى صعب وإنها هتعلمه، قالت له مش لازم تُطبخ، على الأقل يتكفل بالمواعين، وهيَّ تُطبخ، ويوم التنضيف يبقوا ينضفوا سوا، "حسام" كان مُتردد وماكنش حابب يعمل الموضوع خالص، بس "نادية" فضلت تلح عليه، ولإنه بيحبها، مقدرش يشوفها تعبانة كده وميساعدهاش، فقرر في النهاية إنه يساعدها فعلًا ويشيل من عليها شوية في شُغل البيت.

***



- "للأسف، وقت الجلسة انتهى يا نادية!"

- "حابب تعرف أكتر مش كده؟"

- "جدًا، مش مُتخيلة قد إيه"

- "أنا كمان عايزة أتكلم يا علاء، بس مش مُشكلة، الدنيا مش هتطير، وكلها كام يوم ونتقابل تاني"

- "حاسة إنك أحسن يا نادية؟"

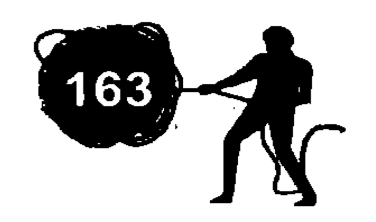
- "حاسة إني أخف، والدوا كويس إلى حد ما، بس لسه، معتقدش إن مُشكلتي اتحلت"

- "عشان لسه قُدامنا شوية، بس صدقيني، إحنا ماشيين كويس"

- "أنا عارفة، وحقيقي مُتشكرة ليك يا علاء"

ابتسمت لها، في اللحظة اللي قامت فيها وسلمت عليا، وبعدين مشيت..

***



في اليـوم ده، فضلـت أفكـر وأنـا راجـع في الطريـق، إني خـدت القـرار الصح ببُعـدي عـن "أروى"، والدليـل عـلى كـده تفاصيـل حكايـة "خالـد" وحكايـة "ناديـة"، الـلي بيقولـوا إن عـدم اتفـاق القناعـات أمـر مُرهـق جـدًا، وبيـؤدي لتسـاؤلات كتـير، ولصـدع في جـدار العلاقـة، مُمكـن يخـلي العلاقـة تنتهـي في النهايـة..

كُنـت بفكـر في ده طـول الطريـق، لحـد مـا وصلـت البيـت، وحطيـت المُفتـاح في البـاب، عشـان اسـمع صـوت حـد بيتحـرك جـوه!

اتخضيت، وفتحت الباب بسُرعة..

عشان ألاقي "أروى" واقفة في الصالة..

للحظـة، حسـيت إني بحلـم، أو إن كُل الـلي مريـت بيـه قبـل كـده وانفصـالي عـن "أروى" كان هـو الـلي حلـم، للحظـة قلبـي فـرح، وأنـا بتخيـل إن "أروى" لسـه موجـودة، مامشـيتش، بـس فُقـت عـلى صـوت "أروى" وهـيَّ بتقـولي:

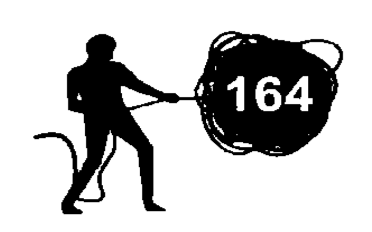
- "إزيـك يـا عـلاء؟ أنـا آسـفة إني جيـت البيـت مـن غـير مـا أبلغـك، بـس أنـا كلمتـك كتـير وإنـت ماكُنتـش بـترُد"

سكت للحظة، رجعت فيها للواقع من جديد، وبعدين رديت وقُلت:

- "ولا يهمك يا أروى، إزيك إنتي؟"

- "الحمـد لله، معلـش مـرة تانيـة بـس كان لازم أجـي عشـان في حاجـات تخُصنـي كُنـت ناسـياها، ومحتاجاهـا دلوقتـي جـدًا"

دخلـت ورديـت البـاب ورايـا، مقفلتـوش، واتحركـت خطوتـين ناحيـة الصالـة وأنـا بقـول:



- "إيه اللي إنتي بتقوليه ده بس يا أروى؟! ده بيتك، يعني تيجي في أي وقت ومن غير استئذان"
- "كان بيتي"

قالت الجُملة الأخيرة بنبرة يكسوها الحُزن، وجعتني الكلمة، ومقدرتش أرد عليها، حاولت تغطي على اللي قالته، فابتسمت وهيَّ بتقول:

- "على العموم أنا خدت اللي أنا عايزاه خلاص"
- "أنا... اتكلمت مع المُحامي، وحددت معاه ميعاد الأسبوع الجاي، يعني خلاص، كُلها أيام والموضوع هينتهي"

ابتسمِت بمرارة، وهزت راسها، وبعدين اِبتدت تتحرك ناحية الباب، مرت من جمبي، قبل ما ألاقيني بسألها فجأة:

- "ده اللي إنتي عاوزاه يا أروى، مش كده؟"

بصت لي بعدم فهم، فكملت وقُلت:

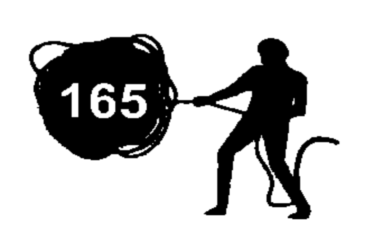
- "ده اللي إنتي عاوزاه؟ ولا... ولا إحنا اتسرعنا لما خدنا القرار ده؟"

سكتت شوية، فكرِت فيهم على مهلها، قبل ما تجاوب وتقول:

- "اتسرعنا؟ معرفش، معرفش يا علاء إذا كُنا اتسرعنا ولا لأ، بس أكيد... أكيد مش دي الحاجة اللي أنا عاوزاها"

سكتت تاني، واِبتديت ألاحظ الدموع بتتكون في عينيها، وبعدين قالت:

- "الحاجة الوحيدة اللي أنا عارفاها ومُتأكدة منها يا علاء، هيَّ إني بحبّك!"



قالت الكلمة الأخيرة عشان تنزل في قلبي وتقسمه نُصين..

- "وإن إنت كمان بتحبني"

وكأنها بتدعوني إني أرمي كُل حاجة ورا ضهري، وأجري على حُضنها، زي ما كُنت بعمل زمان..

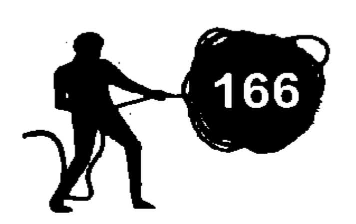
- "لكن... لكن غير كده يا علاء، فأنا معرفش، حقيقي معرفش إيه الصح وإيه الغلط"

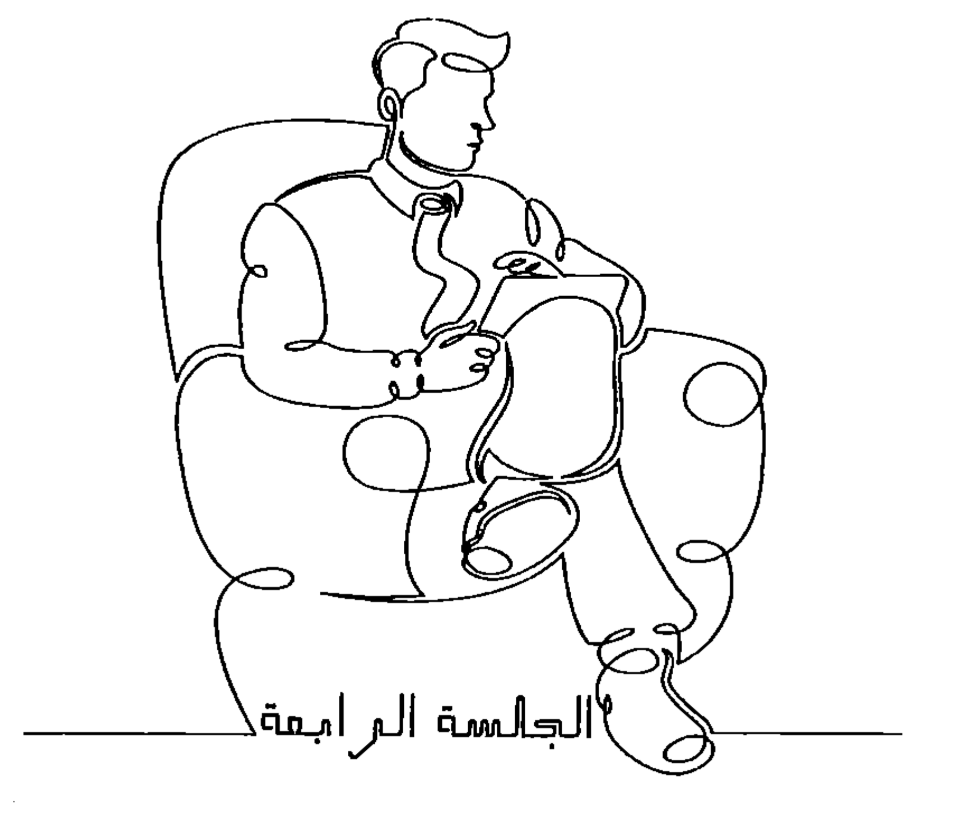
خلصت جُملتها بالتزامن مع نزول دموعها على خدها، قبل ما تفتح الباب الموارب وتُخرج منه، خرجت، ومقفلتوش برضو، سابته موارب..

لإن هو ده حالنا سوا، لحد اللحظة دي، برغم كُل شيء، برغم الوجع والفُراق، برغم كلامنا للناس إن كُل شيء انتهى، إلا إن الباب لسه متقفلش..

الباب ما بيننا، لساه موارب..

***



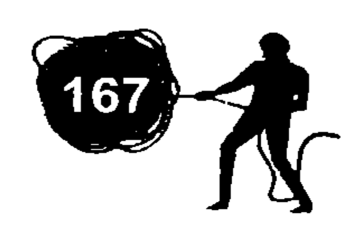


10:00 صباحًا..

"أول يـوم في البُعـد.. يـوم بيعـدي سـنين.. عُمـر مـا بـين عُمريـن.. مـاشي لوحـدك تسـأل نفسـك هـو أنـا رايـح فـين؟"

"سـارة" كانـت كُل حاجـة بالنسـبة لـ"خالـد"، الصديقـة، الحُـب الأول والوحيـد، الزوجـة، وعِـشرة السـنين..

فكـرة إنـك تبنـي حياتـك عـلى حـد وفجـأة الحـد ده يختفـي مـن حياتك هـيَّ فكـرة مُرعبـة جـدًا، نـاس كتـير بتتجنـب إنهـا تنفذهـا حتـى لـو كان الاختيـار الصح، لعلمها إنهـا بعـد كـده هتتـوه، وهتتعـب أكـتر مـن تعبهـا وهـيَّ مـع الشـخص ده، وده الـلي حصـل لـ"خالـد"، الموضـوع كان مُختلـف تمامًـا عـن فُراقـه الأول عنهـا أيـام الجامعـة، هنـا هـو فـارق زوجـة، حبهـا بشـكل مُختلـف تمامًـا عـن أيـام الجامعـة، عـاش معاهـا وعاشرهـا وشـاف كُل تفصيلـة حلـوة فيهـا عـن قُـرب، حُضنهـا كان مـلاذه وملجـأه لمـا كانـت

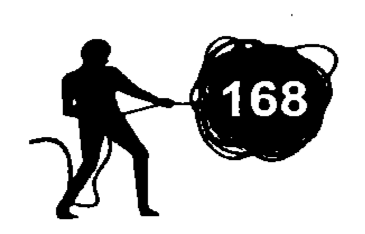


الحياة بتضغطه، قلبها كان حنين عليه، كان فيها حاجات كتير حلوة تخليه دايمًا يأجل قرار البُعد، كفاية حُبه ليها، كفاية حُبها ليه، كفاية إحساس انتزاع الروح اللي كان حاسس بيه، وكأنه ساب روحه على باب البيت قبل ما ينزل يوميها..

زمان، كانت بتقوله إن قلبه معاها، شايلاه وبتاخُد بالها منه ومحافظة عليه، يبدو إنه لما مشي نسي يطالبها بيه، أو يمكن قلبه مستوعبش إنه هيُهجرها ويرجع له، فقرر ميرجعش وفضل معاها، هو ده اللي "خالد" كان حاسس بيه وقتها، إنه من غير قلب، بس برغم إحساسه بالفراغ ما بين ضلوعه، إلا إن الوجع كان موجود، قاسي ومؤلم لأقصى درجة، رهيب، ومش مفهوم!

حاول "خالد" على قد ما قدر إنه يفكر نفسه هو ليه عمل كده، ليه سابها وقرر يتخلى عن كُل حاجة حلوة ما بينهم، أكيد الموضوع ماكنش سهل عليه، بالعكس ده كان أصعب من كُل قرار اتخذه قبل كده، كان أصعب حتى من تخليه عن مُعظم قناعاته ومبادئه عشانها، لإن في النهاية تخليه عن قناعاته ده كان ليه مردود ولو بشكل مؤقت، إنه يفضل معاها، إنه يستمتع بكُل دقيقة وهو مع حبيبته، لكن دلوقتي، لما اتخلى عنها، ماكنش لاقي أي مردود يهوّن عليه أو يحسسه إنه خد القرار الصح..

فـ بالتالي، كان بيحاول يوجه تفكيره ناحية اختلافاتهم اللي ماكنش ليها حل، "خالد" كان إنسان غيور جدًا وهو نفسه كان مُعترف بده، في حاجات كتير ماكنش بيقدر يتحملها ولا يسمح بيها مُمكن رجالة تانية يعتبروا مَفيش مُشكلة فيها ويسمحوا بيها عادي، فضل يفكر نفسه لما في بداية ارتباطهم قبل ما يتجوزوا، كانت محاوطة نفسها بأصدقاء ولاد



كتير جدًا، وكانت مُمكن تنزل تقابل واحد من صُحابها دول من غير ما تقوله، وترجع تحكي له عن يومها معاه، الموضوع ماكنش راكب على دماغ "خالد" خالص..

"يعني إيه؟" كان بيسأل نفسه، "يعني إيه يبقى عندِك صديق ولد وإحنا مع بعض؟ تنزلوا وتُخرجوا سوا، تضحكوا وتهزروا مع بعض، تتكلموا عن أدق تفاصيل حياتكوا، تسمعي منه مشاكله وهمومه ويسمع منك حاجات مُمكن متحكيهاليش! إنتي ماكُنتيش مُدركة الموضوع مؤذي بالنسبة لي قد إيه، لإن بالنسبة لك كان وإيه يعني؟ إيه المُشكلة مدام بحبك إنت وعايزاك إنت؟ المُشكلة ببساطة إني عايز مشاعرك واهتمامِك وحُبك ميبقوش لراجل تاني غيري! زي ما أنا كُنت معتبرك الصديقة والأم والحبيبة والزوجة، وكُنت بخاف على مشاعرك وعلى إني أجرحك بمعرفتي لواحدة متحبيهاش أو متستريحيش ليها! المُشكلة إن محدش بيقدر يتحكم في مشاعره ولا نظرته للشخص اللي قُدامه، وبرغم ثقتي فيكي اللي ملهاش حدود إلا إني مش هقدر أثق في أي راجل بتقربيه منك بحجة صداقة أو عِشرة، إيه اللي يضمن لك إنه زيك؟ بيعرف يفصل مشاعره كويس؟ إيه اللي يضمن لك إنه مايحبكيش لاهتمامك بيه؟ إيه اللي يمنعه إنه يحس بمشاعر مُختلفة ناحيتك لما يتعود على وجودِك! إنتي بتبقي فاكرة إني لما بتضايق وبتعصب من علاقاتك برجالة تانيين ده لإني مش واثق فيكي أو مش واثق في نفسي أو حاسس إنك مُمكن في يوم تبطلي تحبيني وتروحي بمشاعرك لحد منهم، لكن الحقيقة مش كده، الحقيقة إني ماحبش إن البنت اللي أنا بحبها تبقى بتقسم مشاعرها واهتمامها بالتساوي على أكتر من راجل في حياتها! ده حبيب وده صديق مُقرب وده صديق دراسة وده صديقي في الشُغل! الحقيقة إني ماحبش أشوف منظر زي



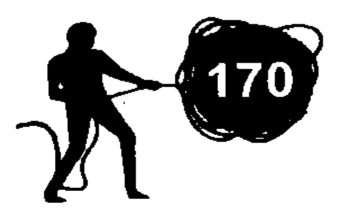
اللي شُفته لما رُحت لك الشُغل، لما واحد زي عمرو لمسك عشان تُدخلي العربية، لما عينه منزلتش من عليكي وتفحصت كُل جُزء فيكي وإنتي نازلة من عربيته..

ده عادي؟ ده مافيهوش مُشكلة؟ ده أنا المفروض أرضى بيه وأتعامل معاه من غير أي تعب ولا أي أذى نفسي؟ إزاي وإنتي السبب؟ إزاي وإنتي اللي بتدي الضوء الأخضر لكُل واحد منهم لما تتعاملي معاهم بطبيعتك وعفويتك، بضحكك وهزارك واهتمامك، وإزاي وإنتي بتخلي كُل واحد منهم يتعود على وجودِك وتبقي جُزء مُهم من حياته ويومه؟ أنا المفروض أقبل بده؟!

طب وأنا؟! مقبلتش ده عليكي ليه؟ ماقسمتش اهتمامي على صحباتي البنات ليه؟ غلطتي يعني إني ماكُنتش زيك؟"

فكر "خالد" في إن دي كانت غلطته فعلًا في الموضوع ده، وإنها مكانتش قادرة تفهمه لإنها مكانتش مكانه ولا عُمرها هتفهم طبيعة الراجل وغيرته من أقل احتكاك براجل غيره، المُشكلة إن "خالد" كان مُقتنع إنه مش عامل فيها سي السيد ولا حاجة، ماكنش بيضيق عليها الخناق مثلًا ورجلي على رجلك في كُل مشوار، ماكنش بيمنعها من الشُغل بالعكس كان بيشجعها عليه وعلى إنها تبقى أحسن وأحسن، ماكنش بيتخانق على حاجة متعملتش في البيت أو غيره، "خالد" كان شايف إنه طبيعي وغيرته عليها طبيعية، وإن هيَّ.. هيَّ اللي طبيعتها مبتتوافقش معاه..

حاول "خالد" يركز كُل تفكيره على الحاجات اللي كانوا مُختلفين فيها، حاول يشغل عقله أكتر عشان مشاعره تهدى، زي ما فكر في عدم احترامها لغيرته وإصرارها على الإبقاء على أصدقاء الجنس الآخر،



زي إنها تبقى تشتغل مع حد كانت بتحبه وكان بيحبها زمان وتتعامل معاه من ورا ضهره، زي موضوع الجواز اللي كان رافضه تمامًا وفي النهاية قبل بيه لإنه التطور الطبيعي لعلاقتهم، وعشان يعفيها من كلام أهلها وكلام الناس اللي كان بيئذيها، وفي النهاية اتضح له إن تخليه عن قناعته كان غلط لإن علاقتهم الزوجية فشلت، وأخيرًا، موضوع الخلفة، اللي لو كانوا اتفقوا على كُل حاجة كان هيبجي الموضوع ده بمُنتهى البساطة ويهد كُل شيء، لإنها مكانتش هتستوعب خوفه من المسئولية ورفضه التام للفكرة، غريزتها كانت هتبقى أكبر منها، كانت هتعوز تخلف، وده حقها، مش ذنبها إن "خالد" كان مُعقد نفسيًا من الموضوع ده بسبب طفولته الكئيبة، حاول "خالد" يقنع نفسه إن كده أو كده الموضوع كان هيبوظ وينتهي..

"عارف ليه يا خالد؟"، قال لنفسه، "لإن في حاجات مهما حاولنا وعافرنا مَفيش فيها اتفاق، في حاجات يا خالد، يا إحنا الاتنين نعوزها، يا إحنا الاتنين منعوزهاش!"

وبرغم كُل ده، برغم كُل التحاليل المنطقية اللي كانت بتؤدي في النهاية لنفس النتيجة، إن القرار اللي خده كان صح، إلا إنه فضل حاسس بنفس الفراغ بين ضلوعه، وبنفس الوجع، الغير مفهوم..

"في ناس كتيرة بتتهمني في حُبي ليك.. قالوا عشت بهمل نفسي وأنا بهتم بيك.. وأنا اللي تاه بعدك وأنا.. برضو اللي بيدور عليك"

***

مال بجسمه لقُدام وهو بيقول:

- "لحد ما هايدي قررت تُدخل حياتي يا دكتور"



بصيت له باستغراب، وبعدين قُلت له:

- "هايدي! هايدي مين؟"

ابتسم، سرح بخياله وقال:

- "هايدي، تبقى الأنثى الكاملة، البنت اللي طول عُمري بتمناها"

***

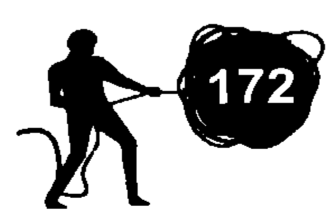
- "إيه ده؟ إنت لسه مامشتش؟!"

"خالد" كان قاعد على مكتبه في الشُغل، فاتح اللاب توب قُدامه ومسحول في شُغله، في اللحظة اللي سمع فيها صوت "هايدي" عند باب المكتب، بص لها، تأملها للحظة وبعدين قال:

- "لأ لسه، ورايا حاجات كتير محتاجة تتسلم قبل يوم الخميس، ولسه مخلصتش نُصها حتى"

- "أنا مش فاهماك بصراحة، ليه بتضغط نفسك كده؟ وريني وريني بتعمل إيه"

اتحركت ناحية المكتب، سحبت كُرسي وقعدت جمب "خالد"، ومالت بإيدها ناحيته عشان تمسك الماوس، مناخيره اِبتدت تُلقط ريحة البيرفيوم بتاعها، كان جذاب جدًا، عينه وقعت على إيدها ودراعها غصب عنه، بشرتها كانت تبان ناعمة جدًا، مقدرش يمنع نفسه من إنه يتأملها، شعرها الأحمر الطويل الناعم، النمش المُنتشر على وشها، عيونها الزرقا، وشفايفها المُكتنزة، عينيه اتحركت على بقية جسمها، كان مرسوم ومنحوت زي تماثيل الآلهة الإغريقية، صدرها كان بيعلو ويهبط خلال تنفسها، بطنها كانت مشدودة، وكانت حاطة رجل على رجل



مما أضاف لتكوينها جمال فوق جماله، كانت مظبوطة بالمعنى الحرفي للكلمة، الجسم المثالي بالنسبة له، الوجه الملائكي البرئ واللي أضاف له الميك أب سِنة شقاوة، "خالد" كان بقاله سنين مُنفصل عن "سارة"، وفي خلال الوقت ده كُله مشافش واحدة قدرت تجذب كيانه بالشكل ده، زي "هايدي"..

- "واضح إنك ملخبط"

- "إيه؟"

ارتبك وبص لها، هل خدت بالها من نظراته؟! لقاها بتبُص له وبتقول له:

- "الشُغل كُله ملخبط، الظاهر إن في حاجة شاغلة تفكيرك ومش مخلياك عارف تركز"

اتنهد ومردش، بص للشاشة وحاول يسيطر على أعصابه، سكتت شوية وهيَّ لسه بتبُص له باهتمام، وبعدين قالت له:

- "إنت... إنت لسه بتفكر فيها؟!"

السؤال صدمه، بص لها باستغراب، حست إنها ضايقته فابتسمت وقالت:

- "أنا آسفة، أنا عارفة إننا مش صُحاب أوي، بس برغم كده إحنا عِشرة وبقالنا سنين بنشتغل مع بعض، وأنا حقيقي زعلانة عليك، ومش حابة أشوفك كده"

- "ماتقلقيش يا هايدي، الموضوع ده انتهى خلاص"



- "ولما هو انتهى، ليه مرجعتش خالد بتاع زمان لحد دلوقتي؟! ليه لسه في نظرة حُزن وانكسار في عينيك؟ ليه... لسه مش كويس؟!"

كلامها نزل على قلبه زي البلسم، ماكنش عارف يرُد يقول إيه..

- "أنا... أنا..."

- "إنت محتاج تفرفش يا خالد"

مدت إيدها وقفلت اللاب توب خالص، بص لها "خالد" باستغراب وهو بيقول:

- "إنتي بتعملي إيه؟"

- "طول ما إنت في الحالة دي لا هتعرف تشتغل ولا تنتج ولا تعمل أي حاجة، قوم معايا"

- "على فين؟"

- "هسهرك سهرة ماتحلمش بيها"

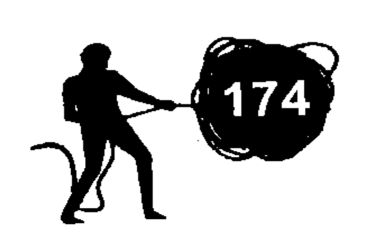
- "سهرة إيه بس يا هايدي، أنا ورايا شُغل كتير و..."

مدت إيدها ومسكت إيده، وتبتت فيها بقوة، كان عنده حق، بشرتها كانت فعلًا ناعمة جدًا، بصت له وقالت له بصوت حنين:

- "هتنبسط والله، عشان خاطري"

فضل باصص لها شوية وهو مش عارف يقول إيه، كان بيحاول يقاوم سحرها، بس في حاجة جواه استنكرت مُقاومته..

"وفيها إيه؟"، سأل نفسه، "فيها إيه لما أقوم معاها وأحاول أنبسط شوية؟! مش أحسن من السجن اللي أنا حابس نفسي فيه



بقـالي سـنين؟! مـش يمكـن... تبقـى هـيَّ المهـرب لحيـاة جديـدة؟! حيـاة أجمـل مـن الـلي عشـتها قبـل كـده؟!"

فجـأة، سـاب "خالـد" نفسـه تُقـع تحـت تأثـير سـحرها، شـبك إيـده في إيدهـا وهـو بيبتسـم، وبيهـز راسـه وهـو بيقـول:

- "ماشي، يلا بينا"

***

- "مسـاء الخـير، حضراتكـم حاجزيـن ولا... إيـه ده.. هايـدي! يخـرب عقلـك معرفتكيـش! غـيرتي لـون شـعرك إمتـى؟"

خدت الراجل اللي واقف على باب الديسكو بالحُضن وهيَّ بتقوله:

- "إيه رأيك؟ مش كده أحلى برضو؟"

- "طول عُمرك طقّة والله"

- "حبيبي يا جو، قولي، في حد من الشلة جوه؟"

- " ما إنتي عارفاهم بيسهروا خميس وجُمعة بس"

غمزت لـ"خالد" وهيَّ بتقوله:

- "مصلحة، عشان نبقى على راحتنا"

معرفش يرُد، فجأة لقى "جو" ده بيبتسم له وهو بيقول:

- "منورنا يا فندم، اتفضلوا"

سـحبت "خالـد" مـن إيـده ودخلـوا مـن البـاب، عشـان يتفاجـئ بعـالم جديـد عليـه، صـوت مزيـكا عـالي، ألـوان بتنـور وتطفـي، وعـشرات مـن



البشر بيُرقصوا في المكان كُله، وسط جرسونات كتير لابسين نفس الطقم بيعدوا من حواليهم عشان ينزلوا المشروبات على الترابيزات، الوضع كان جنوني، فوق قُدرة أي عقل إنه يشهده لأول مرة ويتقبله عادي، سحبته من إيده وسط الرقص والأضواء، لحد ما وصلوا لترابيزة فاضية، كانت صُغيرة بكراسي عالية، قعدته على كُرسي منهم، وقالت له:

- "خليك هنا، وهجيلك تاني"

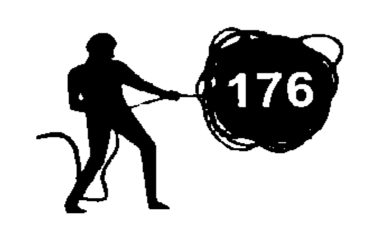
- "رايحة فين؟!"

- "متخافش، هعمل حاجة وجاية على طول"

وهيَّ بتتحرك وقفت واحد من الجرسونات وهمست في ودنه وهيَّ بتشاور على الترابيزة، الجرسون هز دماغه ومشي، فضل "خالد" مراقبها وهيَّ بتتحرك وسط الناس وبتتمايل بجسمها على نغمات المزيكا، لحد ما لقاها وصلت للولد اللي بيشغل الدي جي، وأول ما الولد ده شافها راح حاضنها وبايسها على خدها، "خالد" استغرب جدًا، مش من الفعل، استغرب لإنه محسش بالضيق أو بالغيرة خالص، وبعدين استنكر استغرابه ده وسأل نفسه..

"وأنا هغير عليها ليه يعني؟ أنا مالي ومالها أصلًا؟"

في اللحظة دي، رجع الجرسون وفي إيده مشروبين ونزلهم على الترابيزة، ومشي، فضل "خالد" باصص للمشروب شوية، وبعدين رجع يبُص ناحية "هايدي" مرة تانية، لقاها بتقول للدي جي حاجة، والدي جي هز دماغه ليها بتلقائية، سابته بعدها واتحركت ناحية "خالد" مرة تانية، حاول "خالد" يشغل نفسه بأي حاجة عشان مايبينلهاش إنه كان بيبُص عليها، وملقاش غير الكاس اللي قُدامه، مسكه، وشرب



منـه شـوية صُغيريـن، الطعـم عجبـه، كان مسـكر وفيـه مـذاذة في نفـس الوقـت، في اللحظـة دي وصلـت "هايـدي"، بصـت لـه وهـيَّ بتبتسـم وقالـت لـه:

- "عجبك؟"

- "جدًا"

- "ده اسمه لونج أيلاند، كوكتيل لذيذ، كُنت مُتأكدة إنه هيعجبك"

- "إنتي بتيجي هنا كتير يا هايدي؟"

- "مـرة في الأسـبوع عـلى الأقـل، أصـل شُـغلانتنا دي مُهلكـة للأعصـاب، عشـان كـده باجـي هنـا عشـان أفصـل وأفرفـش شـوية"

في اللحظـة دي، المزيـكا وقفـت، واشـتغلت مزيـكا جديـدة أهـدى ورتمهـا أبطـأ، بصـت "هايـدي" ناحيـة الـدي جـي وهـيَّ بتبتسـم لـه، قـام مشـاور لهـا بإيـده، بصـت لـ"خالـد" فجـأة وقالـت لـه:

- "يلا؟"

- "يلا إيه؟!"

مسكته من إيده، وسحبته ناحيتها وهيَّ بتقول له بدلع:

- "هبسطك"

اتحركـت بيـه خطوتـين، حطـت إيديـه الاتنين حوالـين وسـطها، وحاوطت رقبتـه بإيديهـا، واِبتـدت تتمايـل معـاه عـلى نغـمات المزيـكا، طولهـم كان مُتقـارب، فـده سـمح لهـا إنهـا تسـند بدماغهـا عـلى كتفـه، وشـفايفها تقابـل رقبتـه، شـوية شـوية اِبتـدت تتعمـق في حُضنـه أكـتر، وهـو كـمان، كان بيضُمهـا ناحيتـه بقـوة، للحظـة حـس بسـعادة وجسـمها الجميـل الـدافي



مُلاصق لجسمه بالشكل ده، ماكنش قادر يحدد هل ده لإنه كان مبسوط فعلًا، ولا ده تأثير الكحول اللي شربه، فضلوا على الوضعية دي لدقايق، شعر فيها "خالد" إنه عايز البنت دي، عايزها، بكُل ما تحمله الكلمة من معنى، ووصل لقمة شعوره ده، لما قررت "هايدي" إنها تطبع على رقبته بوسة من شفايفها، بوسة طويلة، ومُثيرة لكُل الغرائز..

***

- "إنت عايش هنا لوحدك، مش كده؟"

قفل "خالد" باب الشقة وراه، وهو مش مصدق لحد اللحظة دي إنه طلب منها تيجي معاه البيت، وإنها وافقت بالسهولة دي، لف وواجهها، وبعدين قال:

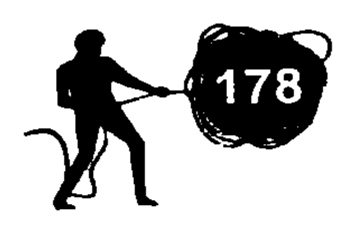
- "أيوة، دي الشقة اللي أنا اتربيت فيها، خالتي الله يرحمها كتبتها باسمي قبل ما تموت، تحبي تشربي إيه؟ شاي ولا قهوة؟ معلش، مش هتلاقي هنا كوكتيلات والكلام ده"

- "ماية كفاية"

قالتها بابتسامة، اتحرك "خالد" بعدها ناحية المطبخ عشان يجيب المابة، وهو هناك بَدَر لذهنه سؤال، فقرر يسأله لـ"هايدي" من غير ما يفكر، على صوته عشان تسمعه وقال:

- "إلا قوليلي يا هايدي، هو إنتي متجوزتيش لحد دلوقتي ليه؟"

- "وهُما اللي اتجوزوا عملوا إيه يعني؟ متأخذنيش يا خالد بس بُص لنفسك كمثال، اتجوزت والعلاقة فشلت، وعشت سنين في



تعاسـة، هـو ده الـلي بيحصـل لأغلـب النـاس الـلي بتتجـوز، يـا يتطلقـوا ويعيشـوا في تعاسـة، يـا يفضلـوا مكملـين في علاقتهـم ويفضلـوا برضـو تُعسـاء، الجـواز مـشروع فاشـل يـا خالـد، إيـه الـلي يخلينـي أتجـوز لمـا مُمكـن أعيـش بحُريـة؟ مـن غـير أي حاجـة تُربطنـي أو تقيـدني؟ لعلمـك بقـى، أنـا بقـالي سـنين رافضـة الجـواز وعايشـة بالطـول والعـرض، وعُمـري مـا حسـيت إني خـسرت حاجـة، بالعكـس، كُل صحـابي الـلي اتجـوزوا بيقولـوا يـا ريتنـا مـا اتجوزنـا، وأنـا الوحيـدة فيهـم الـلي لسـه مبسـوطة وسـعيدة"

ابتسـم وهـو بيسـمع كلامهـا، وافتكـر تمسـكه بمبـدأ عـدم الـزواج وهـو صُغـير، وإزاي كان بيفكـر بنفـس طريقتهـا دي، صـب المايـة في كوبايـة واتحـرك بيهـا ناحيـة الصالـة، ولكنـه ملقاهـاش، فضـل يبُـص حوالـه وبعدين قـال:

- "روحتي فين؟"

- "أنا هنا"

الصـوت كان جـاي مـن أوضتـه، قالـت الجُملـة الأخـيرة برقـة ونعومـة، بلـع "خالـد" ريقـه وحـس برجفـة في قلبـه غـير مفهومـة، ماكنـش قـادر يحـدد هـل كان خايـف، ولا مُتحمـس، اتحـرك بخطـوات بطيئـة ناحيـة الأوضـة، ودخـل، لقاهـا نايمـة عـلى سريـره، عـلى جمبهـا، عشـان تبـان مُنحنيـات جسـمها أكـتر، كانـت ماسـكة في إيدهـا صورتـه الـلي كان حاططهـا عـلى الكومودينـو، وبتبُـص لهـا باهتـمام وهـيَّ بتقـول:

- "كان شكلك حلو وإنت صغير"

بصت له وهيَّ بتعُض شفتها السُفلى برفق، وبعدين قالت بدلع:



- "بس شكلك أحلى وإنت كبير"

اتحرك ناحيتها بالراحة، قعد جمبها على السرير، اتأملها للحظة، وبعدين ناولها كوباية المياة، خدتها منه وشربتها من غير ما تنزل عينها من عليه، كان خلاص، بيجيب آخره، أدرك اللي هيحصل بينهم دلوقتي، وكرد فعل اعتيادي منه فتح دُرج الكومودينو وفضل يدوّر على أي حاجة من وسائل منع الحمل، "هايدي" فهمت هو بيعمل إيه، راحت مايلة عليه ومسكته من دراعه وهيَّ بتقوله:

- "مالوش لازمة اللي إنت بتدور عليه ده، مش هنحتاجه"

- "مش هنحتاجه إزاي؟!"

- "أنا شايلة الرحم"

اتفاجئ بجُملتها، رد وقال:

- "ليه كفى الله الشر! كُنتي مريضة أو حاجة؟"

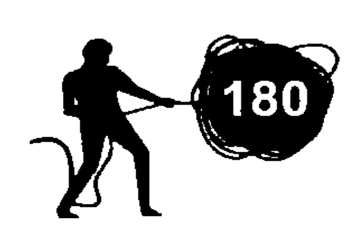
- "لأ خالص، أنا شايلاه بإرادتي"

مقدرش يخبي صدمته من الجُملة الأخيرة، عُمره ما توقع إجابة زي دي، ولا كان في مُخيلته إن في واحدة ست تقدر تتخلى عن رغبتها في الخلفة، اِبتدت تقرب منه بالراحة وتبوسه على رقبته، مسكها من دراعها بالراحة وبِعد عنها للحظة، وهو بيسألها:

- "ليه شلتي الرحم؟ وإزاي قدرتي تعملي كده؟!"

ضحكت بشدة، وبعدين قالت:

- "يعني واحدة مَلهاش في الجواز وكُل يوم مع واحد، فكرك هتبقى عايزة تخلف عيل من علاقة غير شرعية؟ يا خالد، أنا طول عُمري



في الدُنيا دي لوحدي، اتولدت وملقتش لا أب ولا أم، مُستحيل أفكر أجيب عيل الدُنيا دي وأشيل مسئوليته، أنا يوم ما قررت أعمل العملية وأشيل الرحم، كُنت واثقة إني عُمري ما هندم على ده، أنا واحدة حُرة، لا محتاجة راجل يُربطني، ولا عيل أشيل مسئوليته على كتافي"

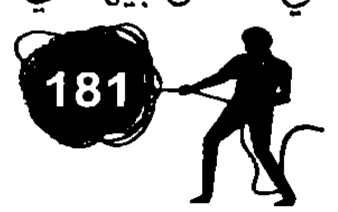
كان مصدوم من طريقة تفكيرها، بس في نفس الوقت ماكنش مصدق إنه لقى واحدة مش عايزة تخلف زيه، وكمان مش عايزة تتجوز! مالت عليه وهمست في ودنه وهيَّ بتقول:

- "ده غير إن العلاقة بتبقى أجمل بكتير من غير الحاجات اللي بتمنع الخلفة دي، وهتشوف بنفسك"

عضته في ودنه بالراحة، أثارته أكتر، فجأة لقى نفسه بيترمي عليها، بيحاوطها بدراعاته، بيبوسها، بيتحرك بإيده على كُل جُزء من جسمها، مقاومتوش، بالعكس كانت بتساعده، بتفُك زراير قميصه وبتقلعهوله، بتتأوه برغبة، بتملس بإيديها على عضلات جسمه، بتدفعه عشان يخترقها أكتر، "خالد" كان مُغيب في اللحظة دي، معمي بنار الشهوة اللي عذبته طول السنين دي، وحتى قبل ما ياخُد القرار، عقله ماكنش معارضه، بالعكس كان بيشجعه، هيلاقي فين واحدة بالمواصفات دي؟ رافضة الجواز زيه، مش عايزة تخلف، تحت أمره في أي وقت من غير ما يُربطهم أي شيء، مابيحسش بالغيرة من ناحيتها، مش هياخُد منها غير الجنس وبس..

مش هياخُد منها غير... الجنس وبس!

الجُملة الأخيرة اترددت في دماغه فجأة، وبالرغم من انغماسه في العلاقة، لقى حاجة جواه بتوجعه، نفس الرجفة اللي حس بيها في



المطبـخ مـن شـوية، فجـأة، إبتـدا يحـس إن نـار شـهوته بتنطفـي جُـواه بشـكل غير مفهـوم، وإبتـدا يسـتعيد وعيـه، ورؤيتـه، تأمـل "هايـدي" مـرة تانيـة، عريانـة قُدامـه، جسـمها تحـت أمـره، ولدهشـته، ولأول مـرة في حياتـه، لقـى نفسـه بيمسـك قلبـه وبيقـول:

- "مش قادر!"

- "إيه! مالك؟"

قالتهـا باهتـمام موصلـوش، فضـل باصـص لهـا للحظـة، وبعديـن قـال بصـوت مُرتعـش:

- "مش... مش قادر أحسّك."

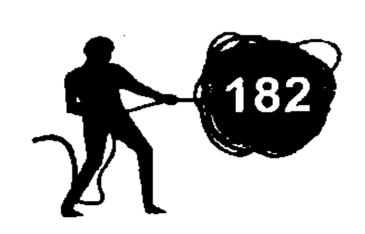
مافهمتـوش، قـام فجـأة مـن عليهـا برغـم مُحاولاتهـا لاسـتقطابه مـرة تانيـة، اتحـرك بسُرعـة وكأنـه بيهـرب مـن حاجـة بتطـارده، وقـف قُـدام الشـباك، بـص منـه وهـو مديهـا ضهـره، وكأنـه مـش قـادر يبُـص لهـا..

شـاف انعـكاس صورتـه عـلى الإزاز، كان مخضـوض، ومسـتغرب، كان عـاوز يفهـم، إيـه الـلي حصـل؟! غريزتـه مكانتـش ممانعـة الـلي بيحصـل، عقلـه ماكنـش ممانـع الـلي بيحصـل، ليـه قلبـه رفـض؟! ليـه قلبـه كان أقـوى وكان لـه اليـد العُليـا فـوق غريزتـه وتفكـيره؟!

- "إنت لسه بتفكر فيها؟"

سـألته وهـيَّ عـلى السريـر، مـردش، ماكنـش عـارف يـرُد، عشـان تسـأله هـيَّ سـؤال تـاني وتقـول:

- "إنت... لسه بتحبها؟"



السؤال خلى قلبه يترج، وكأنه بيجاوب مكانه وبيقول آه، مسكه وضغط عليه بقوة وهو بيفتكرها، ملامحها وصوتها وريحتها، سنينه معاها اللي حاول يمحيها من ذاكرته بكُل قوته، كُل ده رجع في لحظة، وكأنه انتكس، وكأنه لسه سايبها إمبارح..

- "مكرهتهاش"

رد عليها بصوت مُرتعش، وكمل قال:

- "مقدرتش أكرهها!"

فضلت "هايدي" بَصاله، اتنهدت بعدها، وقامت من مكانها وهيَّ بتلف الملاية حوالين جسمها، اِبتدت تلبس هدومها قطعة قطعة، وبعد ما خلصت، اتحركت ناحيته بالراحة، حضنته من ضهره حُضن طويل، ماكنش حاسس بيه، ولا حرك فيه حاجة، فضل باصص من الشباك وهو حاسس بالقرف منها، ومن نفسه، من إنه مش قادر يتخطى "سارة"، وفجأة، لقاها بتسيبه وبتتحرك ناحية باب الأوضة وهيَّ بتقول:

- "أنا آسفة لك يا خالد، حقيقي آسفة"

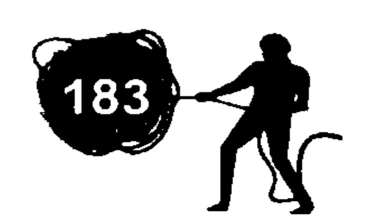
سكتت للحظة، وبعدين قالت:

- "آسفة لإني ماكُنتش كفاية"

سابته بعدها وخرجت من باب الأوضة، في اللحظة اللي فكر فيها في "سارة"، وهمس لنفسه وقال:

- "ومحدش أبدًا هيكون كفاية"





بصيت له، وأنا مش عارف أرُد ولا أتكلم، للحظة تخيلت نفسي مكانه، لما كُنت بفكر ألاقي بديل لـ"أروى" في "نادية"، واستوعبت قد إيه الفكرة كانت مُرعبة! ومقدرتش استمر في تخيلها، حاولت أبان ثابت قُدامه، على قد ما قدرت، بصيت له، خدت نفس عميق وبعدين قُلت له:

- "وبعدين يا خالد؟ إيه اللي حصل بعد كده؟"

فضل باصص للفراغ لفترة، اتنهد بعدها، وبعدين قال:

- "بقيت لوحدي، مُضطر اشتغل، بس مش قادر أحتك بحد في الشُغل، لحد ما في الآخر قررت أتخلى عن شُغلي، وده لإني فقدت الشغف فيه تمامًا، بقيت لوحدي، مَليش حد بيزورني، وكُل صُحابي ومعارفي طلعوا فالصو، ومانفعونيش بحاجة، سنين عدت وأنا لوحدي، عايش بالقليل، مبخرُجش إلا كُل فين وفين، ومبفكرش غير في سارة، وفي أيامي معاها، الحُب اللي كان بيننا، الشغف اللي كان دايمًا موجود، وبيدفعنا لقُدام، إحساسي إني عُمري ما هلاقي واحدة أحبها قد ما حبيتها، برغم كُل اختلافاتنا، برغم عدم الراحة اللي كُنت بحسه معاها، إلا إنه كان في حاجات تعوض ده، بس أنا ماكُنتش شايفها، الواحد لما بيألف النعمة مبيفكرش غير في الحاجات اللي تاعباه، كان المفروض أفكر نفسي طول الوقت بفضل النعمة اللي كُنت عايشها لما كُنت مع سارة، لإن لما النعمة دي راحت مني، عشت ندمان على كُل حاجة ألفتها ومحستش بقيمتها غير لما راحت، بقول يمكن لو كُنا تعبنا شوية، كان زماننا واصلين لحلول ترضينا، يمكن لو كُنا فكرنا شوية وماستسهلناش الفُراق، كان... زماننا مع بعض، مش كده؟ مش كده يا دكتور؟"

حاولـت أمنـع نفـسي مـن العيـاط، كانـت أول مـرة قلبـي يوجعنـي كـده وأنـا بسـمع حكايـة مريـض عنـدي، يمكـن لإن حكايتـه لمسـتني بشـكل شـخصي، حسـيته وكأنـه أنـا، بـس في المُسـتقبل، مسـتناش ردي، كمـل وقـال:

- "في النهايـة، الدُنيـا اسـودت في وشي، لدرجـة إني ندمـت إني مخلفتـش، تخيـل؟ عـلى الأقـل لـو كُنـت خلفـت ماكنـش زمـاني بقيـت لوحـدي، كان هيبقـى لي ابـن يشـيلني ويراعينـي، وأحبـه، أحبـه مـن كُل قلبـي، عشـت عُمـري يـا دكتـور بتبنـى قناعـات ومبـادئ تخُـص الحيـاة الـلي إحنـا عايشـينها دي، واكتشـفت في النهايـة إن أسـوأ مافيهـا، إن ينتهـي بيـك الحـال وحيـد، ملكـش أي حـد، لإن الوحـدة الحقيقيـة هـيَّ الـلي بتـؤدي لليـأس، واليـأس، هـو الدافـع الحقيقـي للانتحـار"

- "وده اللي خلاك..."

- "مفكرتـش كتـير، حسـيت حيـاتي مَلهـاش قيمـة، محـدش هيفتكـرني ولا هيزعـل عليـا، فكـرت إن مـوتي هيبقـى أهـون وأخـف عليـا مـن حيـاتي، اتحركـت ناحيـة المطبـخ، طلعـت السـكينة و... قطعـت شراييـني"

بصيـت لـه ومديـت إيـدي عشـان أمسـك إيـده، طبطـت عليـه باهتـمام حقيقـي، حـس بيـه في عينيـا، قبـل مـا يكمـل ويقـول:

- "لحُسـن حظـي أو لسـوءه، البـواب طلـع وخبـط عليـا وأنـا مرمـي في الأرض وسـايح في دمـي، كُنـت بعتـه يجيـب لي حاجـة ولمـا غـاب نسـيته خالـص، عرفـت بعـد كـده وأنـا في المُستشـفى إنـه خبـط عليـا كتـير ولمـا مفتحتـش، دخـل عليـا، هـو الوحيـد الـلي كُنـت سـايب لـه نُسـخة مـن المُفتـاح عشـان يبقـى يُدخـل ينضـف الشـقة وأنـا نايـم، لقـاني مرمـي في الأرض وبطلـع في الـروح، حـاول يتـصرف ونقلنـي للمُستشـفى وهنـاك لحقـوني، وفوقـوني وحولـوني عـلى المُستشـفى هنـا"



سكت لحظة وبعدين كمل:

- "ومـن سـاعتها، وأنـا طريـح الفـراش في أوضـة صُغـيرة هنا في المُستشـفى، أقـدر في أي وقـت أخـرج، أقـدر في أي وقـت أحـاول انتحـر تاني"

بصيت له باستغراب، وبعدين سألته:

- "وإيـه الـلي خـلاك ماتعملـش كـده؟ أقصـد يعنـي... كان إيـه الدافـع بتاعـك؟"

بص لي وابتسم بمرارة، وبعدين قال:

- "إني... ولو لفترة قُليلة من الزمن... مبقاش لوحدي"

بصيت له بألم، وهو بيكمل:

- "إني لقيـت حـد أتكلـم معـاه، أخـرج معـاه الـلي جوايـا، وبرغـم يقينـي إنـك مـش هتقـدر تحـل لي مُشـكلتي، إلا إني حبيـت أتكلـم، حبيـت أرجـع تـاني أجـرب المُشـاركة، ومبقـاش لوحـدي"

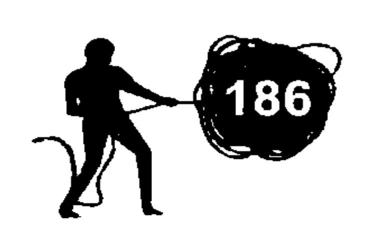
بص لي، وبعدين قال:

- "دلوقتي بعد ما الكلام خلص، أعتقد إني هرجع تاني لوحدي"

- "لا يا خالد لأ، إنت مش لوحدك صدقني، والكلام لسه مخلصش"

- "بس الوقت خلص يا دكتور"

بـص عـلى السـاعة الـلي عـلى المكتـب وهـو بيقـول الجُملـة الأخـيرة، بصيـت عـلى السـاعة واكتشـفت إن الوقـت فعـلًا خلـص، بصيـت لـه، لقيتـه باصـص لي بثبـات وكأنـه مسـتني يعـرف هقولـه إيـه، فكـرت شـوية، وبعديـن قُلـت لـه:



- "بُص يا خالد، صدقني إحنا مش مُختلفين، إحنا شبه بعض فوق ما إنت مُمكن تتخيل، أنا... أنا عندي كلام كتير عايز أقوله، عايز أتكلم معاك كتير، كتير أوي، بس دلوقتي مش هينفع، زي ما إنت عارف أنا هنا في شُغل، لكن... لكن أوعدك، أول ما أخلص هاجيلك في أوضتك، وهنُقعد ندردش شوية، ماشي؟ مُمكن تستناني لحد ما أجيلك النهاردة؟ مُمكن تستناني لحد ما نتكلم؟"

فضل باصص لي بنفس الثبات، عينيه متهزتش ولا لحظة، كُنت برجوه بعينيا إنه يوافق، كُنت مستني اسمع منه إنه موافق، فضل باصص لي، وبعدين بص للفراغ مرة تانية، خد نَفَس عميق، وطلعه بالراحة، وبعدين قال بنبرة هادية:

- "حاضر يا دكتور"

ابتسمت من قلبي وأنا بسمع الجُملة الأخيرة، قبل ما يكمل ويقول:

- "هستناك في الأوضة"

- "وأنا بوعدك، مش هتأخر عليك"

هز دماغه وقام بعدها، اتحرك ناحية باب الأوضة، فتحه، وقبل ما يُخرج منه بص لي للحظة، وبعدين خرج وقفل الباب وراه، لقيتني بكلم "دُعاء" في التليفون فجأة وبقولها:

- "خلي حد من المُمرضين يبقى يُدخل يشقر على خالد في أوضته كُل شوية، ماتنسيش، ضروري يا دُعاء"







12:00 ظُهرًا..

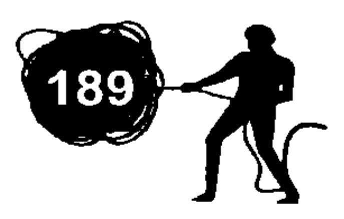
- "يا سيدي يا سيدي، إيه الهمة والنشاط ده كُله؟ تتحسد والله"

قالـت "ناديـة" الجُملـة الأخـيرة وهـيَّ بتراقـب "حسـام" وهـو واقـف في المطبـخ وبيغسـل المواعـين، كان لابـس المريلـة والجوانتـي، ماسـك في إيـده الفُرشـة والسـلك، وبيدعـك الأطبـاق بالصابـون وبيُشـطفها تحـت المايـة، بـص لهـا وهـو بيقـول مـن تحـت ضرسـه:

- "بقـى أنـا، حُسـام المـصري، أقـف عـلى آخـر الزمـن أغسـل المواعـين كـده؟"

- "وماله يـا خويـا لمـا تغسـل المواعـين يعنـي، مـا أنـا بقـالي سـنين بغسـلها وماشـتكتش، إنـت أحسـن منـي يعني؟"

- "لا يـا سـتي مـش أحسـن منـك ولا حاجـة، بـس ماتخيلتـش إني مُمكـن أقـف الوقفـة دي في يـوم والله"



- "حلو، عشان تتعود تعتمد على نفسك، بُكره أعلمك تعمل الرُز بقى"

بص لها لقاها بتبُص له وهيَّ بتطلع له لسانها، كانت بتغيظه، قام راشش عليها شوية ماية من الحنفية وهو بيقول:

- "طب اِجري من هنا بقى بدل ما أغرقك"

اتحركت وهيَّ بتضحك عشان المابة ماتجيش عليها، وبعدين قالت:

- "في إيه بس ها؟ في إيه؟ ده سهل خالص، وبعدين أنا نفسي مرة أدوق أكل من عمايل إيديك، ولو وجبة واحدة بس"

- "كُلي بعقلي حلاوة وماله، ما أنا طيب وبتبلف بسُرعة"

- "عشان خاطري بقى يا حسام، أكلة واحدة، واحدة بس"

سكت للحظة، وبعدين ابتسم وقال:

- "ماشي يا ستي، عشان تعرفي أنا بحبك قد إيه بس"

- "هيييييييه"

جريت عليه وحضنته من ضهره، قبل ما يقول لها:

- "يا بت إوعي المابة هتغرقك"

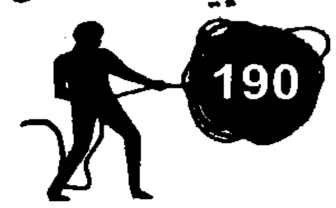
- "مش مُهم"

- "طب إوعي طيب، عايز أخلص عشان ألحق أتفرج على الماتش"

- "طب اضحك للكاميرا بقى"

بص لها لقاها بتطلع موبايلها من جيب البيجامة، وبتصوره فيديو، راح قايل:

- "إيه ده؟ كمان هتصوريني؟"



- "أيوة، عندك مانع؟"
- "لا وأنا أقدر؟ حُكم القوي"

ضحكت وهيَّ بتصوره، كانت فخورة بيه جدًا وهو بيعمل كده، وكانت حقيقي مبسوطة جدًا، ومن كُتر انبساطها قررت إنها توري لصحابها الفيديو، وفعلًا اِبتدت تبعته لكُل صُحابها عشان توريهم قد إيه جوزها وحبيبها حنين عليها، وبيساعدها في شُغل البيت، ومش بيتعبها، صُحابها كُلهم انبهروا بيه، طبعًا، ما هو محدش من اجوازهم كان بيعمل كده، حست "نادية" إنها مُميزة، مُميزة جدًا، والفرحة حقيقي مكانتش سايعاها..

بس الدُنيا ماسمحتلهاش تفضل فرحانة كده كتير..

***

تاني يوم، رجعت "نادية" من الشُغل عشان تلاقي "حسام" في البيت، قاعد في الصالة، بيبُص لها بغضب مش طبيعي، وشه كان أحمر وكان باين عليه إنه خلاص هينفجر، خافت للحظة، كانت أول مرة تخاف منه بالشكل ده، ومكانتش فاهمة إيه اللي مُمكن يكون حصل يخليه متعصب بالشكل ده، بصت له وقالت بصوت مفزوع:

- "إيه يا حسام مالك! إيه اللي حصل؟"
- "إنتي مابترُديش على موبايلك ليه؟"

فتحت شنطتها بسُرعة وطلعت موبايلها، واكتشفت إنها كانت عاملة الموبايل سايلنت، لقيته اتصل بيها كتير جدًا، وبعت لها رسايل أكتر، بصت له وهيَّ متوترة وقالت بخوف



- "معلش يا حسام أنا آسفة، اتلهيت في الشُغل ومخدتش بالي إني كُنت عاملة الموبايل سايلنت الصُبح"

- "آه، ده معناه إنك مافتحتيش السوشيال ميديا النهاردة خالص، مش كده؟"

- "لأ، ليه يا حسام؟ في إيه؟"

شاور "حسام" ناحية اللاب توب المفتوح على الترابيزة وهو بيقول بنفس العصبية:

- "اتفضلي يا هانم.. اتفضلي شوفي بنفسك!"

اتحركت بالراحة وهيّ لسه مرعوبة منه، وبعدين قعدت على الكنبة، بصت على اللاب عشان تشوف في إيه، واتفاجئت باللي شافته..

"حسام" كان فاتح الفيسبوك، على فيديو، الفيديو كان جايب ملايين المُشاهدات، وآلاف الشير والتعليقات، واللي كان في واجهة الفيديو، كان "حسام"، وهو واقف بيغسل المواعين في المطبخ!

فضلت "نادية" بَصة للفيديو بذهول، مكانتش مستوعبة إزاي ده حصل، في اللحظة اللي زعق فيها "حسام" وقال:

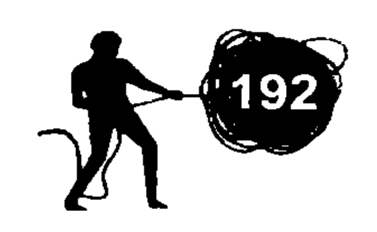
- "ها؟ تقدري تقوليلي الفيديو ده نزل على النت إزاي؟"

- "أنا... مش عارفة. مش عارفة بجد."

- "هو إيه اللي مش عارفة! بعتي الفيديو ده لمين يا نادية؟ انطقي.."

اتهزت من طريقته، وخافت أكتر، لكنها ردت وقالت:

- "مبعتوش لحد غريب يا حسام! لصُحابي بس."



- "صُحابـك آه، قـولي كـده بقـى، يبقـى أكيـد واحـدة منهـم نزلـت الفيديـو عندهـا، واتاخـد منهـا وانتـشر في كُل حتـة، أدي الـلي خدنـاه مـن السـتات وكلام السـتات! أنـا كان إيـه الـلي خـلاني اسـمع كلامـك مـش عـارف!"
- "إنت متعصب ليه يا حسام؟ هو إيه اللي حصل يعني لكُل ده؟!"
- "عايـزة تعـرفي إيـه الـلي حصـل؟ افتحـي الفيديـو، افتحيـه وشـوفي التعليقـات بتقـول إيـه؟"

فتحـت "ناديـة" الفيديـو وهـيَّ بترتعـش، وبصـت عـلى التعليقـات، كانـت فيهـا كميـة شـتيمة وتريقـة مـش طبيعيـة!

"يا خسارة البطن اللي جابتك"

"الرجالة ماتت خلاص"

"مـا هـو لمـا الراجـل هـو الـلي يغسـل المواعـين والسـت تقـف تصـوره كـده يبقـى القيامـة هتقـوم قريـب"

"هـو ده حسـام المـصري الكاتـب المحـترم؟ أهـو مراتـه طلعـت راكبـاه أهـو"

"بيقـول لهـا في الفيديـو حُكـم القـوي، هـيَّ الدنيـا اتقلبـت ولا إيـه يـا جدعـان؟"

"يلا يا راجل يا مركوب"

"حلـو أوي صـوت مراتـك يـا حسـام، لـو مـش عـارف تبقـى راجـل معاهـا هتهـالي وأنـا.."



دارت "نادية" بعينيها على التعليقات اللي كانت بتشتم في جوزها، وفيها! ومقدرتش تكملها من كُتر دنائتها وحقارتها، ودت وشها الناحية التانية في اللحظة اللي "حسام" قال لها فيها:

- "إيه؟ ماقدرتيش تستحملي الكام تعليق دول؟ أُمال أنا أقول إيه بقى! وأنا بتفرج على التعليقات كُلها طول اليوم، ويا ريته فيديو واحد، ده انتشر في كُل حتة واترفع على أكتر من مصدر!! الناس كُلها بتتكلم! زمايلي في الشُغل النهاردة مرحمونيش من نظراتهم وتعليقاتهم لدرجة إني شديت مع واحد زميلي ومسكت في خناقه!!"

- "يا حسام أنا..."

- "إنتي إيه بس يا شيخة، إنتي إيه؟ جرّستيني وخليتي فضيحتي بجلاجل في كُل حتة، المواقع كمان بتنزل أخبارها بالخطوط العريضة، حسام المصري، كاتب وسيناريست في الصباح، وربة منزل في الليل!"

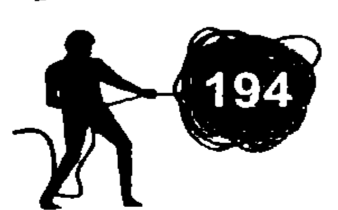
- "يا حسام دي ناس مريضة! انت ماعملتش حاجة غلط عشان تبقى متضايق كده، هُما اللي مش فاهمين إن ده أصلًا واجب عليك"

وكأنها كانت مُتعمدة إنها تعصبه أكتر ما كان متعصب، ضم حواجبه وبص لها وهو بيقول:

- "نعم يختي! هو إيه ده اللي واجب عليا؟"

حست إنها غلطت إنها قالت كده، وإن ماكنش في داعي تفتح الموضوع ده دلوقتي، بصت في الأرض وقالت:

- "ولا حاجة يا حسام، أنا آسفة إنك اتعرضت للموقف ده، أنا هعرف مين اللي نزلت الفيديو وهقطع علاقتي بيها نهائـ.."



"رُدي عليا يا نادية.. هو إيه اللي واجب عليا.. شُغل البيت واجب عليا؟"

حسـت إنهـا اكتفـت مـن زعيقـه المتواصـل فيهـا، وقفـت وواجهتـه، وابتـدت تعـلي صوتهـا هـيَّ كـمان، ردت وقالـت:

- "آه يا حسام! شُغل البيت ده مسئوليتك أصلًا مش مسئوليتي!"

- "آه، ده الـلي أنـا كُنـت خايـف منـه وعامـل حسـابه، مـا هـو البنـي آدم كـده، لمـا تتمـد لـه إيـد العـون والمُسـاعدة بيتمـرع، وبيفتكـر المُسـاعدة دي حقـه! لا يـا ناديـة! شُـغل البيـت ده واجبـك! واجـب أي سـت لجوزهـا إنهـا تُطبـخ لـه وتغسـل لـه وتنضـف لـه، روحـي اسـألي مامتـك كـده إذا كانـت خلـت أبـوكي يُقـف ولـو لمـرة واحـدة في المطبـخ وشـوفي هتقـول لـك إيـه!"

- "تقـول الـلي تقولـه! أنـا مليـش دعـوة بيهـا يـا حسـام! ولأ! شُـغل البيـت مـش مسـئولية السـت! ده مسـئولية الراجـل، الديـن هـو الـلي بيقـول كده"

- "نعم!"

- "أيـوة! الديـن بيقـول إن الراجـل مُهمتـه يوفـر الأكل للسـت جاهـز، ومُكلـف إنـه يجيـب لهـا خادمـة تنضـف لهـا البيـت"

- "بس ماقلش إن الراجل هو اللي يشتغل في البيت!"

- "مـا هـو لـو ماشـتغلش يبقـى يتـصرف هـو بقـى! دي مُشـكلته مـش مُشـكلة السـت!"

- "فعلًا!"

- "آه فعلًا يا حسام! ومش ذنبي إنك مش عارف حقوقك وواجباتك"



ضحك باستهزاء، قبل ما يضرب كف على كف، اتحرك خطوتين، خد نفس عميق، وبعدين طلعه، بص لها، والشرر بيتطاير من عينيه، وبعدين قال لها:

- "ماشي، عايزة تمشي بأصول الدين وماله، بس لازم تعرفي حاجة مُهمة، الدين برضو بيقول إنك مالكيش عندي غير كسوة واحدة بس في الصيف وزيها في الشتا، الدين بيقول إن الأكل اللي أحطه قُدامك يتاكل حتى لو لُقمة بزتون، وتاكلي وإنتي راضية وتبوسي إيدك وش وضهر وماتفتحيش بُقك! لو هنمشي على أصول الدين زي ما الكتاب بيقول يا نادية في حاجات كتير مش هسمح لك إنك تعمليها وباسم الدين برضو! زي الشُغل مثلًا، ماكُنتش هسمح لك تشتغلي وتحتكي برجالة في الشارع وتتعاملي معاهم! ما هو الدين بيمنع الاختلاط مش كده ولا إيه؟! ماكُنتش هسمح لك تنزلي بشعرك كده من غير حجاب! ولا كُنت هسمح إنك تتأخري لبعد المغرب بدون سبب وجيه، لو همشي على الدين نصًا يا نادية، كان زماني دلوقتي روحت اتجوزت عليكي واحدة تانية"

- "بتقول إيه؟"

- "هو ده مش حقي اللي ربنا كاتبهولي ولا إيه؟ مش ده موجود في الدين؟ أنا عايز واحدة تُطبخ لي وتغسل لي وتنضف لي، وإنتي رافضة، خلاص! يبقى أتجوز تاني."

كانت بَصة له وهيَّ مش قادرة ترُد، في اللحظة اللي كمل فيها وقال:

- "لكن أنا مش كده يا نادية! أنا مش كده، أنا يُعتبر مش حارمك من أي حاجة، عايزة هدوم يا حُسام، خُدي يا حبيبتي وانزلي اشتري اللي نفسك فيه، عايزة ميك أب يا حُسام، وماله، أدي فلوس

كمان للميك أب، اللي إنتي عايزاه بيجي لك وعُمري ما طلبت منك تساعديني بمرُتبك في البيت، مُرتبك ليكي يا نادية مش كده؟ عُمري سألتك عنه ولا بتعملي بيه إيه؟ محصلش. شُغلك على عيني وعلى راسي وبدعمك وبشجعك فيه على قد ما بقدر، وقُلت لك قبل كده إني مش همنعك عنه، واثق فيكي وسايبك تتعاملي مع اللي تتعاملي معاه، وبقول أكيد عارفة إن ليها زوج بيحبها وبيغير عليها، أكيد بتحفظني في كُل تعاملاتها، وفي النهاية، مقدرش أتجوز عليكي، مهما كان السبب، حتى لو ده حقي اللي الدين بيوفرهولي"

انهال عليها بكلماته، كانت حاسة إنها رجعت عيلة صُغيرة من تاني، وباباها واقف بيزعق لها، كمل وقال:

- "وبما إن أنا مش بعمل معاكي الحاجات دي كُلها، بما إني مديكي حُريتك وسايبك تتصرفي في حياتك زي ما إنتي عاوزة، يبقى في المُقابل إنتي كمان تراضيني وتعملي الحاجات اللي أنا عاوزها، حتى لو ضد قناعاتك، حتى لو مش قابلاها، ما أنا ياما قبلت حاجات عشان خاطرك ومرضتش أتكلم فيها، اشمعني أنا يعني!"

قرب منها لدرجة إنها حست إنه هيضربها، بس هو معملش كده، بص لها وقال:

- "من هنا ورايح يا نادية، كُل اللي ليكي عندي في الموضوع ده إني أساعدك لما تكوني تعبانة، أو عيانة ومش قادرة تعملي حاجة، لكن إننا نتشارك شُغل البيت، وإنتي تُطبخي وأنا أنضف والجو ده، مش هيحصل، وده عقابك"

- "عقابي؟"



شاور على اللاب وهو بيقول:

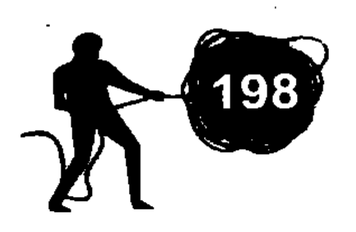
- "عقابك على الفضيحة اللي إنتي فضحتيهالي، عشان بعد كده متطلعيش أسرار بيتك بره تاني، لأي حد مهمًا كان، حتى لو لأمك، فاهمة؟"

بصت له وبصت في الأرض، وبعدين هزت راسها، في اللحظة اللي اتحرك فيها بعيد عنها، ووصل لباب الشقة، وفتحه وخرج، عشان يسيبها واقفة مكانها، بتبُص على اللاب وهيَّ بتعيط، وبتقرأ تعليق بيقول..

"ما إنت لو دكر وبترفع صوتك عليها ولا بتضربها، مكانتش وقفتك في المطبخ زي النسوان!"

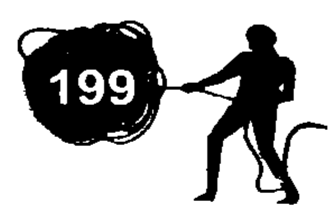
***

من وقتها، والدنيا بقت متوترة بين "نادية" و"حسام"، وكإن الموقف ده هو اللي خلى القلب يهدى شوية، والعقل يبتدي يفكر، فضلت "نادية" لفترة طويلة جدًا تفكر في الاختلافات الجسيمة اللي ما بينهم، واختلاف قناعاتهم والرؤى بتاعتهم، وده خلى حاجات تظهر على السطح "نادية" كانت بتتجنب تشوفها أو تركز فيها، زي مثلًا إن "حسام" كان شخص بيتوتي، بيحب قعدة البيت جدًا، ييجي يوم الأجازة وينزل تحت البطانية ويُطلب الأكل يجيله لحد عنده، ويُقعد يتفرج على الماتشات والمُسلسلات، ومايعملش حاجة أكتر من كده، أما "نادية"، فهيَّ طول عُمرها بتحب التنطيط والخروج، وكان بيبقى نفسها تُخرج مع "حسام" كُل يوم لو يقدروا، بس هُما فين وفين لما كانوا بيُخرجوا، كان بالعافية بيوافق يروحوا مصيف في الصيف، بس المصيف



ده ماكنـش بيبقـى كافي بالنسـبة لهـا ومكانتـش بتبقـى راضيـة أوي، لإنهـا كان نفسـها تلـف العـالم كُل سـنة، تـروح جُـزر الكاريبـي مـرة، ومـرة تانيـة المالديـف، يتفسـحوا سـنة في فينيسـيا، والسـنة الـلي بعدهـا يتمشـوا سـوا في شـوارع باريـس، لكـن "حسـام" ماكنـش بيحـب السـفر خالـص، كان بيحـس باسـتقرار أكـبر بالشـكل ده، ماكنـش بيحـب لا المُغامـرة ولا المُخاطـرة، عـلى عكـس "أحمـد" الـلي كان بيخـرج "نادية"عـلى طـول وبيحـب السـفر زيهـا، لكـن الفـرق هنـا إن "ناديـة" مكانتـش بتسـتمع بخروجاتهـا وسـفرها مـع "أحمـد"، مكانتـش هتسـمتع بـده إلا لـو كان مـع "حسـام"، لإنهـا كانـت بتحـب "حسـام".

شـوية شـوية وابتـدت حيـاة "حسـام" العامـة تزعجهـا، "حسـام" كان كاتـب مشـهور، وده كان بيتطلـب منـه يسـهر أوقـات كتـير مـع زمايلـه في الوسـط الفنـي، فـكان أوقـات بيتأخـر بـره البيـت، وهـيَّ بتبقـى عارفـة إنـه أكيـد في سـهرة مـن سـهراته، كانـت عارفـة إنـه بيبقـى مُجـبر يُقعـد في السـهرات دي ومايقـدرش يعتـذر عنهـا، ولـو عليـه فهـو يحـب إنـه يُقعـد في البيـت أكـتر، بـس ده ماكنـش كافي بالنسـبة لهـا لإنهـا في النهايـة كانـت بترجـع مـن شُـغلها، تعمـل لـه الأكل ويُقعـد معاهـا شـوية، وبعديـن ينـزل ويسـيبها لوحدهـا، كانـت بتفضـل قاعـدة مـش لاقيـة حاجـة تعملهـا، وبتعـد الدقايـق في انتظـاره، لكـن في النهايـة النـوم كان بيغلبهـا، مـن كُـتر مـا كانـت بتبقـى تعبانـة مـن ضغـط الشُـغل وهمـوم البيـت، كانـت بتنـام قبـل مـا يرجـع، وتصحـى وهـو نايـم، ومكانـوش بيشـوفوا بعـض إلا وقـت الغـدا، بمـرور الوقـت السـهرات دي كـترت، وفضلـت المسـافات تزيـد بينهـم، ووجـع القلـب كـمان يزيـد، وابتـدت تفكـر في إن الـلي بيحصـل ده مـش طبيعـي، مـش طبيعـي إنهـم يكونـوا متجوزيـن وبيحبـوا بعـض وبينهـم المسـافة دي، بـس في نفـس الوقـت كانـت بتسـأل نفسـها وبتقـول..



"طب وهو هيعمل إيه يعني؟ ما هو مُجبر على كده، هو أنا أي نعم مابحبش الوسط اللي هو شغال فيه ده، ومابحبش فكرة إنه بيسهر مُعظم أيام الأسبوع مع مُمثلات وفنانات، لكني واثقة فيه، وعارفة إن ده شُغله، ولازم أدعمه زي ما بيدعمني في شُغلي"

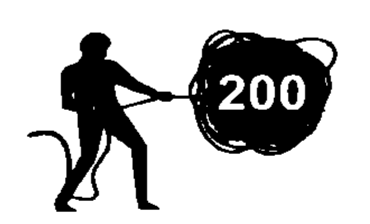
بس في نفس الوقت، كانت بتسمع صوت عقلها بيقول لها..

"بيدعمك في شُغلك آه، ده بأمارة رفضه لإنك تسافري تدرسي بره، إنتي نسيتي ولا إيه يا نادية؟! تحبي أفكرك بالسبب اللي خلاه يُرفض سفرك؟ ماكنش عايزك تسيبيه، ماكنش عايزك تبعدي عنه، أهو هو اللي سايبك وبعيد عنك دلوقتي"

مكانتش عارفة إيه اللي خلاها تفكر في الموضوع ده دلوقتي، يمكن لإنها حست إنها بتضحي زيادة عن اللزوم، يمكن لإنها مابقتش مرتاحة زي الأول، وكأنها حاسة إن المُقابل لتضحياتها دي، مش كبير زي ما كانت مُتخيلة، وإن فكرة وجودها مع "حسام"، جوزها وحبيبها، مبقاش كفاية دلوقتي، مبقاش كفاية لإنها مابقتش مرتاحة، ولإنها حاسة إنه بيبعد عنها، ولإن الفجوة ما بينهم عمالة بتكبر يوم بعد يوم، ومش عارفين ولا قادرين يملوها.

في النهاية، قررت تسكت صوت عقلها، وتقول له إن موضوع السفر ده اتقفل وخلص من زمان..

لكن اللي مكانتش عاملة حسابه، إنه يرجع يتفتح مرة تانية، وإن مش هيَّ اللي تفتحه، ولا "حسام"..



مكانتـش عاملـة حسـابها أبـدًا إن مُديرهـا يقـدم البحـث العلمـي الـلي كانـوا شـغالين فيـه لكُـبرى الجامعـات في أوروبـا، عشـان يتقبـل في جامعـة منهـم في إنجلـترا..

ويختاروا "نادية" عشان تسافر..

***

- "أنا... أنا آسفة يا فندم، أنا مش هقدر"

- "إيه اللي إنتي بتقوليه ده يا نادية؟ دي فُرصة عُمرك!"

- "أنا عارفة، بس صدقني، عندي ظروف تمنعني من السفر"

- "ناديـة، أنـا مُديـرك وعايـز مصلحتـك، النـاس طالبينـك بالاسـم إنتـي وأحمـد، وأنـا عـارف إن حلمـك تسـافري مـن زمـان، يبقـى ليـه تضيعـي الفُرصـة العظيمـة دي مـن إيـدك!"

سـكتت، مكانتـش عارفـة تـرُد تقولـه إيـه، في اللحظـة الـلي بـص لهـا فيهـا، وابتـدا يفهـم، وجـه كلامـه ليهـا وقـال:

- "لو.. الموضوع له علاقة بحُسام، أنا مُمكن أتكلم معاه بنفسي و..."

- "لأ لأ، مالوش لازمة تتدخل إنت"

سـكتت للحظـة، بصـت فيهـا لخطـاب الجامعـة الرسـمي الـلي بـين إيديهـا، وبعديـن قالـت:

- "أنا هتصرف!"

في اليـوم ده، مكانتـش قـادرة تركـز في الشُـغل ولا تعمـل أي حاجـة، غـير التفكـير في الفُرصـة الـلي جـات لحـد عندهـا، وخبطـت عـلى بابهـا،



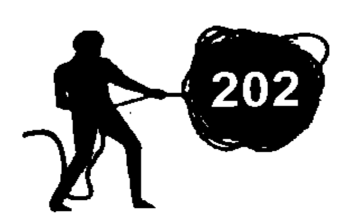
الفُرصة اللي طول عُمرها بتحلم بيها، جات لها من غير أي مُحاولة منها للسعي إليها، في واحدة من أكبر وأعرق جامعات إنجلترا، منحة ماجستير كاملة، في التخصص بتاعها، وفي البحث العلمي اللي قعدت شهور شغالة عليه، مكانتش عارفة تعمل إيه، تقول لـ"حسام"؟! ولا تنسى الموضوع خالص وكأنه محصلش؟! قلبها كان بيقول لها إنها مش هتقدر تبعد عن "حسام"، بس عقلها كانت حجته قوية المرة دي، لإنهم كانوا بُعاد عن بعض بالفعل ومابقوش قُريبين زي الأول..

"جه الوقت يا نادية"، كان عقلها بيقول لها، "جه الوقت اللي حسام لازم يقدّر فيه إنك محتاجة تسافري المنحة دي، زي ما إنتي مقدّرة شُغله وحياته العامة اللي واخداه منك وماشتكتيش، جه الوقت اللي تخيريه فيه ما بين إنه يسيب كُل حاجة هنا في مصر ويسافر معاكي، أو إنه يسيبك تسافري تشوفي حياتك ومُستقبلك، وبعدين تبقي ترجعيله، هُما دول الاختيارين اللي مفروض يبقوا قُدامه يا نادية، وماينفعش يبقى في اختيار تالت"

فضل الصراع بين قلبها وعقلها، بين اللي عايزة تعمله وبين اللي مفروض تعمله، بين حُبها لـ"حسام" اللي ماكنش له حدود، وبين فُرصة عُمرها، اللي لو ضيعتها من إيديها، عُمرها ما هتلاقيها تاني، وهتندم عليها طول عُمرها..

روّحت "نادية" على البيت، غيرت هدومها، وفضلت قاعدة مستنية "حسام"، وهيَّ مقررة إنها هتقوله، وهتحاول تقنعه ييجي معاها على قد ما هتقدر..

بعدها بدقايق معدودة، لقت "حسام" داخل من باب الشقة، وباين عليه التعب والضيق، استقبلته بابتسامة، وبعدين قالت له:



- "إيه يا حسام مالك؟ إنت كويس؟ في حاجة حصلت؟"

- "لأ مَفيش حاجة، الأكل جاهز؟"

رد باقتضاب، حست إن مزاجه مش حلو دلوقتي عشان تتكلم معاه، بس في نفس الوقت مكانتش قادرة تُصبر أكتر من كده، بالنسبة لها كان وقوع البلا ولا انتظاره، بصت له وقالت بصوت واطي شوية:

- "هحضره لسّه، أنا... أنا بس كُنت عايزة أتكلم معاك في موضوع كده"

مردش في لحظتها، اتحرك من جمبها لحد ما وصل للكنبة، قعد عليها وهو بيقول:

- "مش وقته يا نادية، أنا راجع تعبان من الشُغل"

- "أنا كمان راجعة تعبانة على فكرة، بس أنا فعلًا محتاجة أتكلم معاك يا حسام، ده موضوع مُهم جدًا بالنسبة لي"

بص لها، وبان عليه الاهتمام، وبعدين قال:

- "إيه يا نادية.. في إيه خير؟"

سكتت للحظة، واتنهدت بعُمق، وبعدين ابتسمت بتوتر وقالت:

- "بارك لي، أنا اتقبلت في منحة للماجستير"

فضل باصص لها للحظة، وبعدين ابتسم، ابتسامة صادقة جدًا، قام من مكانه واتحرك ناحيتها، خدها في حُضنه وهو بيقول:

- "ألف مبروك يا حبيبتي، في جامعة إيه؟ القاهرة ولا عين شمس؟ ولا جامعة خاصة؟"



حست بقلبها هينُط من بين ضلوعها من كُتر الخوف، غمضت عينها للحظة، قبل ما تقوله:

- "الجامعة... في إنجلترا"

فضلت حابسة أنفاسها وهيَّ مُنتظرة تعرف رد فعله هيكون إيه، بينما هو فضل واخدها في حُضنه للحظة، بيحاول يستوعب اللي قالته، قبل ما يبعد عنها شوية ويقول:

- "فين؟"

- "في إنجلترا يا حسام، إقامة كاملة عليهم، وهيدوني مُرتب كمان، ولو... ولو حابب تيجي معايا هينفع عادي، أصلًا إنت لازم تيجي معايا عشان... عشان مش هينفع نسيب بعض و..."

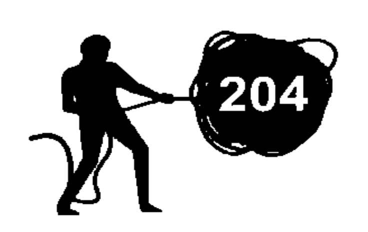
مقدرتش تكمل من كُتر ما كانت خايفة وبتترعش، بص لها للحظات، ضحك بسُخرية ورجع لورا كام خطوة لحد ما وصل للكنبة تاني وهو بيقول:

- "إنتي بتهزري مش كده؟ ده مقلب؟ والنبي يا نادية أنا تعبان ومش حمل مقالبك دي، روحي يلا جهزي لنا الغدا عشان أنا شوية ونازل"

فجأة، اِبتدت تحس بالضيق منه بدل إحساسها بالخوف، فضلت واقفة مكانها شوية، بتتنفس بصعوبة، بتراقب استهزاؤه وعدم تقديره، قبل ما تقول بصوت مليان غضب:

- "ولما إنت شوية ونازل، اتجوزتني ليه؟"

بص لها بعدم فهم، ضم حواجبه وهو بيقول:



- "إيه؟"

- "إيـه مـش فاهـم السـؤال؟ هحـاول أجيبهولـك بطريقـة تانيـة حـاضر، لمـا إنـت تبقـى طـول اليـوم في الشُـغل، وبعديـن ترجـع تُقعـد سـاعة ولا اتنـين في البيـت، وتنـزل تـاني وتسـهر لـوش الفجـر، ويبقـى كُل نصيبـي فيـك سـاعتين وبـس في اليـوم، يبقـى اتجوزتنـي ليـه؟!"

اعتدل في جلسته وبص لها بغضب، قبل ما يقول:

- "ده شُـغلي يـا ناديـة! وإنتـي عارفـة ده مـن أول يـوم اتجوزتينـي فيـه، ولا نسـيتي؟"

- "وده كـمان شُـغلي يـا حسـام، جـات لي منحـة ولازم أسـافر، وعـلى فكـرة، إنـت برضـو كُنـت عـارف ومـن قبـل مـا تتجـوزني كـمان إن ده حلمـي وهـدفي، إني أسـافر وأدرس بـره مـصر، بـس عشـان خاطـرك، ركنـت الحلـم ده ع الـرف، ومابقتـش بحـاول حتـى أفتكـره"

فضـل باصـص لهـا مـن غـير مـا يـرُد، بـس هـيَّ كملـت كلام والدمـوع بتتكـون في عينيهـا وقالـت:

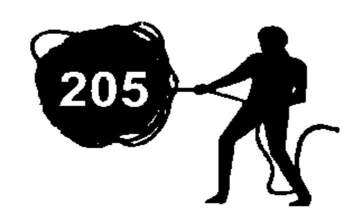
- "لكـن دلوقتـي، دلوقتـي الفُرصـة جـت لي لحـد عنـدي، مطلبتهـاش، مسـعيتلهاش يـا حسـام، هـيَّ الـلي جـت لي، ومَفيـش أي منطـق في الدُنيـا يخلينـي اسـيبها تضيـع مـن إيـدي!"

- "وهتسبيني يا نادية! هتسافري وتسبيني!"

- "بقولك تعالى معايا!"

- "وأنا قُلت لك شُغلي يمنعني!"

- "يبقى خلاص، هسيبك وهسافر"



قالتها ببرود أدهشه، فضل باصص لها للحظات، قبل مايقول:

- "اللي بتقوليه ده مش هيحصل يا نادية، مش هيحصل!"

- "أنا مش بستأذنك يا حسام"

بص لها بذهول، قبل ما تكمل وتقول:

- "عارف ليه مش بستأذنك؟ عشان أنا قدّرتك، وقدرت شُغلك اللي بياخدك مني ومخليك مش عارف تشوفني غير ساعتين في اليوم، وقُلت بيني وبين نفسي وهو هيعمل إيه يعني! ما ده شُغله! شغفه وحلمه اللي بيجري وراه من أيام الجامعة، أنا مين عشان أمنعه عنه أو أقوله يسيبه عشاني؟ أنا مين عشان أخليه يتخلى عن حلمه بسببي!"

مسحت دموعها، وبعدين كملت:

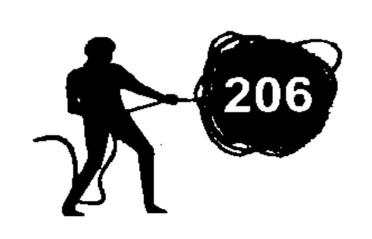
- "فـ إنت كمان يا حسام مُطالب إنك تقدرني، وتقدر إن ده شغفي وحلمي، وإني مقدرش أتخلى عنه زيك بالظبط!"

- "لا يا نادية! أنا مش مُطالب بإن مراتي تبعد عني شهور وسنين وأتقبل ده وأبقى عادي"

- "والشهور اللي فاتت دي كُلها وإحنا بُعاد عن بعض إيه ظروفها معاك يا حسام!"

زعقت فيه فجأة، قبل ما تكمل وتقول:

- "الكلام ده خلاص، مبقاش ياكُل معايا، عارف كان مُمكن أصدقه إمتى؟! لو كُنت قاعد معايا ومش بتفارقني زي زمان، أرجع من الشُغل ألاقيك، ناكل سوا، نتفرج على فيلم، نضحك ونهزر، وننام



إحنـا الاتنـين في نفـس الوقـت، وإحنـا في حُضـن بعـض، عـارف كان مُمكـن أصدقـه إمتـي؟! لـو كُنـت بتخرجنـي كُل أسـبوع تعزمنـي عـلى العشـا، أو تودينـي الملاهـي، أو حتـى نتمـشى سـوا ع النيـل يـا أخـي زي زمـان! كُنـت هصدقـه لـو كُنـت جيـت في مـرة وقُلـت لي إننا هنسـافر في رحلـة بـره مـصر بـدل مصيـف كُل سـنة، وتحقـق ولـو حلـم واحـد مـن أحلامـي، ده إنـت حتـى يـا أخـي مـش قـادر تبطـل السـجاير ومُتمسـك بيهـا وإنـت عـارف إنهـا بتخنقنـي! لا إنـت قـادر تتخـلى عـن حاجـة واحـدة إنـت عايزهـا عشـاني! ولا قـادر تعمـل لي أي حاجـة أنـا عايزاهـا! عـارف لـو كُنـت قـدرت؟ وقتهـا كان مُمكـن أسـيب الفُرصـة دي عشـانك يـا حسـام! لكـن لمـا نبقـى عايشـين زي الأغـراب في بيـت واحـد! لمـا تبقـى مـش بتسـاعدني في شُـغل البيـت ومسـتعر مـن الموضـوع عشـان رجولتـك متتئذيـش! لمـا يبقـى مَفيـش حاجـة أنـا عايزاهـا وإنـت عايزهـا زيـي، أو حتـى بتحققهـا لي مـن بـاب العطـف والشـفقة، يبقـى مـش هصدقـك لمـا تقـولي مـش هتسـمح إني أبعـد عنـك"

سكتت للحظة، اتنهدت فيها بعُمق، وبعدين قالت:

- "إحنـا كـده كـده بُعـاد عـن بعـض يـا حسـام، يبقـى الأولى إني أبقـى بعيـدة عنـك وبحقـق حلمـي في نفـس الوقـت!"

فضـل ثابـت في مكانـه، ماكنـش قـادر يتكلـم ولا يـرُد، كان بايـن عليـه التأثـر مـن كلامهـا، سـاد الصمـت بينهـم لفـترة طويلـة، قبـل مـا يقـرر "حسـام" إنـه يكـسره، ويقـول لهـا بصـوت مكسـور:

- "عندك حق"

صدمهـا بجُملتـه، اسـتغربت رد فعلـه واسـتنت تسـمع هيقـول إيـه بعـد كـده، فضـل سـاكت للحظـات، وبعديـن بـص لهـا، وقـال بصـوت مكسـور:



- "بـس أنـا برضـو مـش هقـدر يـا ناديـة، مـش هقـدر اسـمح لمـراتي تسـافر لوحدهـا وهـيَّ عـلى ذمتـي، دي حاجـة ضـد مبـادئي وقناعـاتي، وأنـا مقـدرش أتخـلى عـن القناعـة دي"

خد نفس عميق، وبعدين قال:

- "وإنتي دلوقتي لازم تختاري، ما بين جوزك، وما بين سفرك وشُغلك"

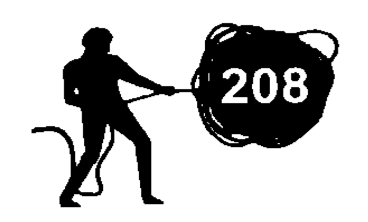
فضلـت بَصالـه والدمـوع بتنـزل مـن عينيهـا، كانـت حاسـة إن قلبهـا واجعهـا جـدًا في اللحظـة دي، وكأنـه بيُـصرخ، عشـان يمنعهـا مـن إنهـا تقـول الـلي مفـروض عليهـا تقولـه، فضلـت بَصالـه، بتتأملـه، عيونـه البُنيـة الـلي بتمـوت فيهـا، ملامحـه الـلي بتعشـقها، مقدرتـش تمنـع نفسـها، اتحركـت ناحيتـه واترمـت في حُضنـه، هـو كـمان ضمهـا ناحيتـه جامـد، فضلـت مُسـتقرة جـوه حُضنـه وهـيَّ بتعيـط لأطـول فـترة مُمكنـة، كانـت بتعيـط بحُرقـة، وهـو فضـل يملـس بكـف إيـده عـلى شـعرها، لحـد مـا في النهايـة، بعـدت عنـه شـوية، مسـكت وشـه بكفـوف إيديهـا، وباسـته عـلى شـفايفه، بوسـة طويلـة، مليانـة حُـزن وألم، قبـل مـا تنهيهـا وتبُـص لـه، وتقـول لـه بصـوت مكتـوم مـن العيـاط:

- "وأنا خلاص، اخترت يا حسام"

سـكتت للحظـة، قبـل مـا تبعـد عنـه خالـص وترجـع لـورا، وبعديـن قالـت لـه:

- "اخترت.. سفري وشُغلي."

***



اِبتـدت الدمـوع تنـزل مـن عيـون "ناديـة" بـدون توقـف، وعـلى قـد مـا كُنـت متأثـر عشـانها في اللحظـة دي، عـلى قـد مـا كُنـت حاسـس إن أنـا الـلي موجـوع مـش هـيَّ، وإن أنـا الـلي بفـارق الشـخص الـلي بحبـه، بنفـس الطريقـة، وعشـان نفـس المُشـكلة، بصـت لي وهـيَّ بتعيـط، وبعديـن قالـت:

"واتطلقنـا، اخـترت شُـغلي، وسـافرت المنحـة مـع أحمـد، والباقـي إنـت عارفـه، كُنـت فاكـرة إني هقـدر أتجـاوزه وهبقـى مبسـوطة لمـا أجـري ورا حلمـي وحيـاتي الـلي رسـمتها بنفـسي، لكـن الحقيقـة إني لا قـدرت انبسـط، ولا قـدرت أرتـاح! فاكـر لمـا سـألتني في أول جلسـة إنتـي ليـه ماكونتيـش مبسـوطة مـن موضـوع السـفر مـع إن ده كان واحـد مـن أهـم إنجازاتـك؟! مـش بـس عشـان كُنـت لسـه سـايبة حسـام، لكـن عشـان أنـا اتعـودت عـلى كـده، اتعـودت إن فرحـة الإنجـاز بتكـون موجـودة في الأصـل بسـبب وجـود حسـام ودعمـه وتشـجيعه ليـا، مـش بـس لإني قـدرت أحقـق الإنجـاز نفسـه، وده الـلي أثـر عليـا بعـد كـده، برغـم حصـولي عـلى الماجسـتير والدكتـوراه، برغـم إني بشـتغل في الحاجـة الـلي بحبهـا، إلا إني... إلا إني..."

- "مش مبسوطة... مش مرتاحة."

هزت راسها في أسى، وبعدين قالت:

- "ومـش قـادرة أعيـش حيـاتي بشـكل طبيعـي، أدينـي أهـو، سـافرت وجريـت ورا حلمـي، كُنـت عارفـة إني اخـترت صـح، وإن ده الـلي كان مفـروض عليـا أعملـه، بـس دلوقتـي، بعـد سـنين مـن الاختيـار ده، مـش حاسـة إني راضيـة عنـه، مـع إني لسـه مُتأكـدة إنـه كان الاختيـار الصـح، لكـن الشـغف مابقـاش موجـود، حُبـي للحيـاة اختفـى مـن زمـان، اختفـى... باختفـاء حسـام مـن حيـاتي"



كُنت هتجنن، مش قادر أحدد إيه الصح من الغلط! بصت لي وهيَّ بتسمح دموعها، وقالت:

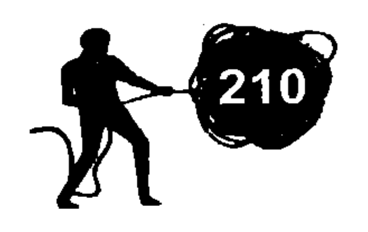
- "وفي النهاية يا علاء، بقيت لوحدي، حسيت إن كُل حاجة بتهون قُدام وحدتي، شُغلي ومكانتي وكياني، حسيت إن كُل حاجة بتهون لإني لحد اللحظة دي.. لسه بحب حسام!! برغم كُل شيء لسه بحبه! ومش قادرة أحب حد بعده، برغم كُل شيء حسام هو الراجل الوحيد اللي اهتم بيا وحبيت اهتمامه ده، ولما جربت أدور على الاهتمام من راجل غيره، مقدرتش أتقبله! مقدرتش أتقبله نهائي من أحمد مع إنه ماكنش فيه غلطة!"

سكتت للحظة، كانت بتاخد نفسها فيها، وبعدين كملت:

- "في النهاية، حسام كان الراجل الوحيد في حياتي اللي قدرت أحبه بجد"

ضيقت عيني وبصيت لها، وكُنت هقول حاجة، في اللحظة اللي لقيت فيها الباب بيتفتح فجأة، و"دُعاء" داخلة منه وعلى وشها علامات الفزع، بصت لي وهيَّ بتقول:

- "الحق يا دكتور.."
- "في إيه يا دُعاء؟"
- "المريض ده اللي اسمه خالد، المُمرض دخل عليه ولقاه كاسر الشباك وبيحاول ينُط منه، وهو في حالة هياج دلوقتي ومش عارفين نسيطر عليه."
- "خالد!"



قُمت من مكاني بسُرعة، وجريت ورا "دُعاء" في اتجاه أوضة "خالد"، قلبي كان بيدُق بشكل هيستيري، كُل اللي كُنت بتمناه في الوقت ده إنهم يقدروا يسيطروا عليه لحد ما أوصل له، ومايفلتش منهم ويهرب، أو الأسوأ، يعمل في نفسه حاجة..

جريت ورا "دُعاء" لحد ما وصلنا الأوضة، دخلت وشُفت "خالد" على الأرض، وحواليه 3 مُمرضين مكتفينه وبيحاولوا يمنعوه من الوصول للشباك، كان بيتلوى بين أيديهم وبيُصرخ بانتظام، عينيه كانت بتدور وكأن في قوة خارجية مُسيطرة عليه وبتوجهه للانتحار، بصيت لـ"دُعاء" وقُلت لها بعصبية:

- "حضريلي حُقنة مُهدئة بسُرعة"

سابتني ومشيت في اللحظة اللي اتحركت فيها ناحية "خالد"، نزلت على رُكبي وحاولت أمسكه معاهم، وابتديت أتكلم معاه:

- "اِهدى يا خالد.. أنا دكتور علاء! اِهدى أرجوك"

استمر في الحركة بشكل هيستيري كأنه مش سامعني أصلًا..

- "يا خالد مَفيش حاجة تستاهل اللي إنت بتعمله في نفسك ده"

كلامي ماكنش فارق، ماكُنتش عارف أعمل إيه أو أقول له إيه..

- "يا خالد!!"

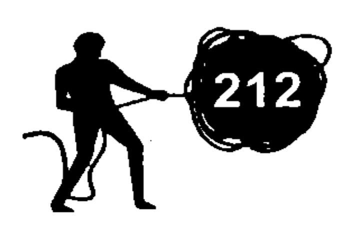
لحد ما فجأة، سمعت صوت صرخة مكتومة جاي من ورايا، كُنت هبُص لمصدر الصوت، لكني لاحظت إن "خالد" اِبتدا يهدا، وعيونه وقفت دوران، ملامحه اِبتدت تتحول من الغضب للذهول، أنفاسه كان بياخُدها بصعوبة، وهو بيبُص لمصدر الصوت ورايا، قبل ما ألاقيه بيحاول يتكلم، بيحاول يقول حاجة، عشان في النهاية تطلع منه كلمة واحدة.



- "سارة؟"

ضميت حواجبي وأنا ببُص له باستغراب، وبعدين لفيت ورايا، عشان ألاقي "نادية" واقفة على باب الأوضة، بتبُص لـ"خالد" برُعب، وحاطة إيدها على بُقها، والدموع متكونة في عيونها، رجعت بصيت لـ"خالد" تاني، وبعدين قُلت له:

- "سارة مين يا خالد؟ دي مش سارة، دي تبقى..."



فجـأة، لقيـت نفـسي بسـكت ومـش بكمـل كلام، حسـيت بقبضـة غريبـة في صـدري، وحسـيت للحظـة إن الدُنيـا بتلـف وبتـدور بيـا، أو بمعنـى أدق، جـوه دماغـي! لفيـت مـرة تانيـة بالراحـة، وبصيـت عـلى "ناديـة"، بنفـس ملامـح الذهـول الـلي كان "خالـد" بيبُـص لهـا بيهـا، أمـا هـيَّ، فــ ماتكلمتش، مقالتـش ولا حـرف، كانـت لسـه بتبُـص لـ"خالـد" برُعـب، ومشـالتش عينهـا مـن عليـه، لقيـت نفـسي بقـف في مـكاني فجـأة، وبحـاول أرتـب الأفـكار في دماغـي، قبـل مـا عينـي تُقـع عـلى الترابيـزة الـلي جمـب سريـر "خالـد"، والـلي كان محطـوط عليهـا محفظتـه، مفكرتـش كتـير، اتحركـت ناحيتهـا بخطـوات بطيئـة وبعقـل هيطـق مـن الشـك والحـيرة، مسـكتها بإيديـن مُرتعشـة، وفتحتهـا وأنـا حاسـس بنبضـات قلبـي وهـيَّ عمالـة تزيـد، طلعـت بطاقـة "خالـد" مـن المحفظـة، عشـان عينـي تُقـع عـلى الاسـم، قريـت الاسـم بعينيـا، ودماغـي بـدأت ترجـع بيـا وبالزمـن لـورا، قريـت الاسـم، في اللحظـة الـلي "ناديـة" اتكلمـت فيهـا، ونطقـت بنفـس الاسـم الـلي قريتـه في البطاقـة..

- "حسام؟"

***

- "كان اسمه إيه؟ جوزك الأولاني"
- "حُسام، حُسام المصري"
- "إيه؟ حُسام المصري! الروائي والسيناريست المعروف؟"
- "أيوة"





- "تقدر تقولي.. خالد"
- "خالد ده اسمك؟"
- "لأ"
- "طيب ليه مش عايز تقولي اسمك الحقيقي؟"
- "مش هقدر، هبقى مرتاح أكتر لو مقولتوش"

***

- "قالوا لي إن المريض اتكلم مع مُدير المُستشفى، وطلب منه بشكل شخصي إنه يحجب بياناته تمامًا، عن أي دكتور أو مُمرض في المُستشفى"
- "والمُدير وافق؟"
- "آه يا دكتور، الظاهر كده إن المُدير يعرفه، يمكن يكون حد تقيل في البلد وخايف على سُمعته"

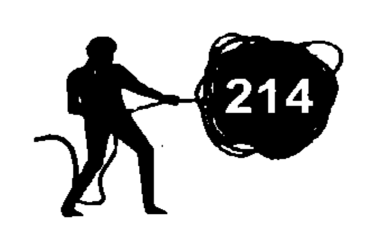
***

- "شخصية؟ هيَّ فين الشخصية دي؟ دي مسرحية تعبانة يا ابني، بناء الشخصيات زيّ الزفت والديالوج مُفتعل و..."

قاطعها فجأة..

- "على فكرة، أنا اللي كاتب المسرحية دي"

***



- "أشتغل إيه بره؟ إحنا هنضحك على بعض؟ أنا كاتب يا نادية، كاتب وسيناريست، وبشتغل في واحدة من أكبر شركات الإنتاج في مصر"

***

- "عمرو؟ عمرو مين ده كمان؟"

- "ده واحد كان بيشتغل معاها، وحبيبها القديم!"

***

المُدير بص لها، وابتدا يفهم، وجه كلامه ليها وقال:

- "لو... لو الموضوع له علاقة بحُسام، أنا مُمكن أتكلم معاه بنفسي و..."

- "لأ لأ، مالوش لازمة تتدخل إنت، أنا هتصرف"

***

- "مُمكن... أطلب منك طلب قبل ما نبدأ؟"

- "أكيد... أي حاجة يا خالد"

- "مُمكن.. مُمكن تطفي السيجارة؟ أنا بقالي فترة مبطل و... بقيت بتخنق من ريحة الدُخان"

***



"ده إنت حتى يا أخي مش قادر تبطل السجاير ومُتمسك بيها وإنت عارف إنها بتخنقني!"

***

- "إنتي ماشوفتيش مني أي حاجة وحشة من ساعة ما اتجوزنا، ماشوفتيش مني غير دعم لشُغلك وكاريرك ومتقدريش تنكري ده يا سارة"

***

"حسام" كان دايما مآمن بيها وبإمكانياتها وقُدراتها، كان دايما مصدقها وبيدعمها وبيشجعها، وده كان أكتر من كافي بالنسبة لها عشان تعدي كُل صعب، وتنجح فيه..

***

- "إيه يا خالد كُنت فين؟ مش عوايدك تنزل دلوقتي!"

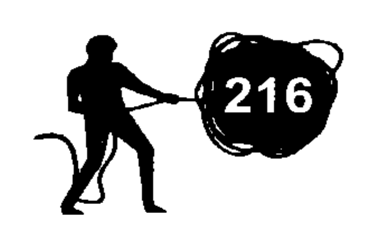
فضل باصص لها ومردش في لحظتها، كان باين عليه التعب، والوجع..

***

لقت "حسام" داخل من باب الشقة، وباين عليه التعب والضيق، استقبلته بابتسامة، وبعدين قالت له:

- "إيه يا حسام مالك؟ إنت كويس؟ في حاجة حصلت؟"

***



إيـدي اترعشـت والمحفظـة وقعـت منـي، حسـيت للحظـة إني دايـخ مـن كُـتر الأحـداث الـلي كانـت بتـدور في دماغـي، قعـدت عـلى السريـر، وأنـا بحـاول أجمـع الـلي بيحصـل، في اللحظـة الـلي لقيـت "دُعـاء" بتُدخـل فيهـا مـن البـاب، وفي إيدهـا الحُقنـة..

- "الحُقنة يا دكتور"

بصيـت لهـا، ومردتـش، فضلـت ثابـت في مـكاني شـوية، قبـل مـا تاخُـد بالهـا إني مـش تمـام وتقـولي:

- "في حاجة يا دكتور؟ إنت كويس؟"

فضلـت سـاكت للحظـة، خـدت فيهـا نفـس عميـق، وطلعتـه بالراحـة، قبـل مـا أبُـص لهـا، وأقـول لهـا:

- "أيوة يا دُعاء، أنا كويس، سيبي الحُقنة وامشي إنتي"

وجهت كلامي للمُمرضين وقُلت لهم:

- "وإنتوا كمان، سيبونا لوحدنا شوية"

- "أيوة يا دكتور بس... الحالة مُمكن ترجع له تاني"

- "ماتقلقش، لو احتاجتلكم هندهلكم، اتفضلوا"

بصـوا لي بـتردد، بـس في النهايـة هـزوا دماغهـم، وقومـوا "خالـد"، أو... "حسـام"!

قعـدوه عـلى أقـرب كُـرسي، وخرجـوا بعدهـا وقفلـوا البـاب، البـاب الـلي كانـت واقفـة عنـده "ناديـة"، أو... "سـارة"!

سـادت حالـة طويلـة مـن الصمـت، كانـوا بيبُصـوا لبعـض فيهـا وهُـما لسـه مفاقـوش مـن حالـة الصدمـة الـلي هُـما فيهـا، ولا أنـا كُنـت لسـه فُقـت



بشكل كامل، كُنت بلوم نفسي إني مقدرتش أكتشف ده من بدري، بس كُنت هكتشفه إزاي! ده حتى وصفهم لبعض كان مُختلف، "سارة" في حكاية "خالد" كانت بنت متوسطة الجمال، رُفيعة، شكلها مُختلف تمامًا، للأسف معملتش حساب لعامل الزمن، وإن "نادية" مُمكن يكون شكلها اتغيّر، غيّرت لون شعرها ولبست عدسات، واهتمت بتناسق جسمها مع الوقت..

أما "حسام" في قصة "نادية"، فكان شاب وسيم، ابتسامته ساحرة، بس الابتسامة دي اختفت من على وش "خالد" بسبب وحدته، وبسبب كُل اللي مر بيه من ساعة ما ساب "سارة"..

لكن، لكن في النهاية، "سارة" هيَّ "نادية"، و"حسام" هو خالد"!

- "حسام إنت كويس؟"

قالت "سارة" الجُملة الأخيرة بصوت مُرتعش، فضل "حسام" باصص لها لوقت طويل جدًا، قبل ما الدموع تتكون في عينيه، ويقول بصوت مبحوح:

"بقيت.. بقيت كويس دلوقتي"

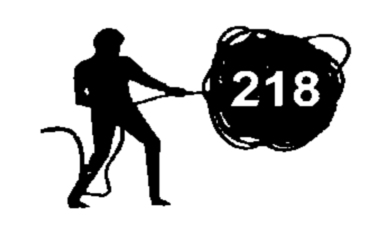
دموعها كانت بتنزل على خدها ببُطء، قبل ما ترُد وتقول:

- "شكلك اتغير كتير! خسيت و..."

سكتت، مقدرتش تكمل، راح "حسام" رادد وقايل:

- "وإنتي كمان، اتغيرتي، اتغيرتي أوي"

بص لي باندهاش، وقال لي:



- "إنـت إزاي لقيـت سـارة يـا دكتـور؟! إزاي لقيتهـا وأنـا مـش معرفـك اسـمي!"

ردت "سارة":

- "هـو ملاقانيـش يـا حسـام، أنـا الـلي كُنـت بتعالـج عنـده، ده غـير إني... أنـا كـمان معرفتـوش اسـمي."

ابتسـمت، قُمـت مـن مـكاني واتحركـت بخطـوات بطيئـة، لحـد مـا وقفـت في النُـص بينهـم هُـما الاتنـين، بصيـت لـكُل واحـد فيهـم، كُل واحـد عـلى حـدى، وبعديـن قُلـت:

- "إنتـوا الاتنـين خبيتـوا عليـا، إنـت خبيـت عليـا اسـمك عشـان حياتـك العامـة، كُنـت عـارف إني هبقـى أكيـد سـمعت عنـك قبـل كـده، ودي حاجـة مكانتـش هتريحـك، واعتمـدت إننـا بنعـرف أسـامي الكُتـاب والمؤلفـين، بـس منعرفـش أشـكالهم"

بصيت لـ"نادية"، وبعدين قُلت:

- "أمـا إنتـي، فـ إنتـي في الأول وفي الآخـر سـت، صعـب تحـكي لي التفاصيـل الدقيقـة دي في علاقاتـك العاطفية، وتعرفيني اسـمك الحقيقـي، فـ الغالب كُنـا هنخلـص جلسـاتنا وهتختفـي، ومـش هعـرف لـك طريـق تـاني، ولـو كُنـت حاولـت أدور عليـكي، ماكُنتـش هلاقـي دكتـورة في كُليـة العلـوم باسـم ناديـة الجوهـري، ده لـو دراسـتك كانـت في كُليـة العلـوم أصـلًا"

بصت لي وحست بالإحراج، قبل ما "حسام" يرُد ويقول:

- "تفاصيل إيه اللي حكتها لك يا دكتور!"

- "إيه؟ لسه بتغير عليها يا خالد؟ أقصد... يا حسام؟"



- قُلت الجُملة الأخيرة بسُخرية، فـ سكت، وحس إنه اتسرع لمّا قال كده، قبل ما أتحرك بخطوات بطيئة ناحية "حسام"، وأقعد على الكُرسي اللي جمبه، سكت للحظة، كُنت برتب فيها أفكاري مرة تانية، وبعدين قُلت بصوت لا يخلو من الاندهاش:

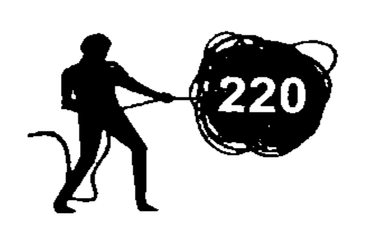
- "كُل واحد فيكوا حكالي الحكاية كاملة، بس من منظوره هو، من وجهة نظره التي قد تحتمل الصواب أو الخطأ، كُل واحد فيكوا اتكلم عن اللي كان تاعبه هو، وواجعه هو، لكن محدش فيكوا اتكلم عن أوجاع التاني بشكل أعمق، عشان كده، توقعت إنكوا بتحكوا عن ناس تانية، مش بتحكوا عن بعض"

وجهت نظري لـ"حسام"، وبعدين قُلت:

- "إنت حكيت عن حاجات زي قبولك بالجواز وإنت لسه مش مُقتنع بيه، تعبك من إن سارة كان ليها صحاب وزمايل كتير وقد إيه دي حاجة مكانتش مريحاك، اتكلمت عن رفضك للخلفة، ورفضك لشُغلها مع عمرو اللي كانت بتحبه، ووجعك لما شُفتها كسّرت كلامك واتعاملت معاه من وراك"

بصيت لـ"سارة"، وكملت:

- "عمرو اللي كان مُديرك في الفريق البحثي، واللي ماتكلمتيش عنّه ولا عن مشاعرك ناحيته لإن بالنسبة لك المشاعر دي مكانتش تستاهل يتقال عليها حُب من أصله، عمرو اللي جاب لك فُرصة السفر، السفر اللي إنتي حكيتي لي عن قد إيه حسام كان رافضه، وإن ده كان تاعبك ومسبب لك مشاكل كتير، بالظبط زي شُغل البيت اللي برضو كان مسبب لك أزمة، وكُنتي حاسة إنك مش قادرة عليه



لوحدك، ده غير الحياة العامة اللي كانت واخداه منك، وحسستك إنه مبقاش مُهتم بيكي"

سكت للحظة، اتنهدت بعُمق وأنا براقب ردود أفعالهم، قبل ما أكمل وأقول:

- "لكن.. محدش فيكوا اتكلم عن المتاعب اللي الطرف التاني كان بيقابلها، يمكن لإنكوا كُنتوا عايزين تبرزوا مشاكلكوا بشكل أكبر، مش مشاكل الطرف التاني، ويمكن كمان لإن.. لإن بمرور الوقت كُل واحد فيكوا حط نفسه مكان التاني مش كده؟!"

اِبتديت أفكر في الاستنتاج الأخير بيني وبين نفسي، قبل ما أكمل وأقول:

- "أيوة! بمرور الوقت إنتي حسيتي إن بشكل ما غيرته عليكي كانت شيء منطقي وطبيعي، خصوصًا لما الموضوع يتعلق بواحد كان بيحبك وكُنتي بتحبيه، فقررتي ماتُذكريش الموضوع ده خالص قُدّامي، ولا تجيبي سيرته حتى، زي ما مذكرتيش رفض حسام للجواز، واكتفيتي بإنك قولتي لي إنه ضحى بحاجات كتير عشان تتجوزوا، هيكون ضحى بإيه يعني أغلى من قناعته؟ وماتكلمتيش عن موضوع الخلفة وتمسكك بيه قُدامه لإن.. لإنك اكتشفتي إنك مابتخلفيش"

سكت للحظة وأنا شايفها بتبُص لي من غير ما تتكلم، وبتبُص لـ"حسام" اللي اتفاجئ بإن "سارة" مابتخلفش، قبل ما أنا كمان أبص لـ"حسام" وأقول:

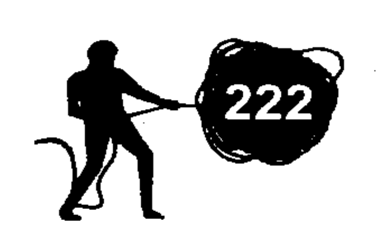
- "وإنت يا حسام، اكتشفت بينك وبين نفسك إنها كان معاها أكبر حق لما اختارت سفرها ومُستقبلها، وإن بالرغم من إنك كُنت رافض



ده، لكن ماكنش في أي سبب منطقي يخليها تسيب الفُرصة دي، فكرت في كُل الدرجات العلمية اللي كانت مُمكن تتخلى عنها لمُجرد إنك رافض سفرها، وده خلاك ماتحكيليش، ماحكتش برضو عن تقصيرك معاها وعدم اهتمامك بيها بسبب شُغلك، وماحكتش عن فكرة شُغل البيت، لإنك في النهاية بقيت بتُقف في المطبخ بنفسك، وبتتحوج للبواب عشان ييجي ينضف لك شقتك، عرفت قد إيه هيّ كان معاها حق، لإنك جربت مُعاناتها، ولإنك بقيت لوحدك"

هو كمان مردش، بس بان في عينيه إن كلامي كُله صح، ملت بجسمي لقُدام وسندت بإيديا على رجلي، قبل ما أبص للفراغ وأسرح في أمر تاني، مقدرتش أمنع نفسي من إني أقوله:

- "حتى موقف انفصالكوا، كُل واحد فيكوا اتكلم عن أسبابه هو، لكنه كان هو هو نفس الموقف! الصورة دلوقتي بتظهر قُدامي بشكل كامل! سارة وهيّ نازلة من عربية عمرو، مُديرها اللي وصلها في طريقه، واللي كان بيحاول يقنعها إنها تقبل بالمنحة عشان ماتروحش عليها، وحسام وهو بيراقبهم من بعيد، وإحساسه بالغضب والضيق من فعلها ده، سارة طلعت البيت وبعدها بشوية حسام حصّلها، كان باين عليه التعب الشديد، سارة سألته إذا كان كويس ولا لأ، مردش واتحرك ناحية الكرسي، وقبل ما يسألها عن عمرو لقاها بتحكي له على المنحة، وإنها عايزة تسافر، المُناقشة احتدمت في اللحظة اللي ذكر فيها "حسام" موضوع عمرو، وبقت الخناقة دلوقتي بين رفضه لسفرها ولإنها تشتغل من الأساس بسبب تكسيرها لكلامه، وكذبها عليه، في حين إن سارة كانت بتدافع عن موقفها، وبتتكلم كمان عن عدم اهتمامه بيها بسبب شُغله،



في النهايـة حسـام بيخيرهـا مـا بينـه ومـا بـين سـفرها، وسـارة بتخـيره مـا بـين الخلفـة والشُـغل، وهُـما الاتنـين مابيقـدروش عـلى الاختيـارات دي، لا حسـام هيقـدر يخلـف، ولا هيقـدر يسـمح لهـا تسـافر، ولا سـارة هتقـدر عـلى إنـه يمنعهـا مـن السـفر، مـن غـير حتـى مـا يقـدم لهـا مُقابـل لـده، زي الخلفـة"

- "كفاية يا دكتور أرجوك!"

قالهـا "حسـام" قبـل مـا يحُـط إيـده عـلى دماغـه مـن كُـتر مـا الـكلام تعبـه، فجـأة لقيـت "سـارة" بتتحـرك مـن مكانهـا بلهفـة، بتوصـل لحـد عنـده، بتنـزل عـلى رُكبهـا، وبتمسـك إيـده باهتـمام حقيقـي، في اللحظـة دي لقيـت "حسـام" بيبُـص لهـا باشـتياق، قبـل مـا دموعـه تغلبـه وتنـزل عـلى خـده، افتكـرت أول موقـف بينهـم عـلى سـلم المسرح، لما "حسـام" مسـك إيـد "سـارة" لأول مـرة، دلوقتـي، وبعـد كُل السـنين دي، كفوفهـم رجعـت تتلاقـى تـاني..

بصيت لـ"حسام" وقُلت له بلهجة مُعتذرة:

- "أنـا آسـف يـا حسـام، أنـا مقصدتـش أقـول الـكلام ده عشـان أوجعكـوا أو أتعبكـوا، بالعكـس، أنـا قُلتـه لإن الـكلام ده... هـو السـبب في المشـهد الـلي أنـا شـايفه بينكـوا دلوقتـي"

بصـولي هُـما الاتنـين بعـدم فهـم، رجعـت بضهـري في الكُـرسي، وبصيـت في الفـراغ وأنـا بفكـر في "أروى"، قبـل مـا أكمـل كلام وأقـول:

- "كان لازم ده يحصـل، كان لازم نبعـد عشـان نعـرف قيمـة القُـرب، كان لازم نتوجـع عشـان نقـدر قيمـة الراحـة في وجودنـا سـوا، كُل واحـد فيكـوا لما بعـد، حـاول يعيـش حياتـه بالطريقـة الـلي كان راسـمها



لنفسـه، دورتـوا عـلى نـاس جديـدة، بنفـس أفكاركـم ومُعتقداتكـم، ولقيتوهـم، إنتـوا الاتنـين لقيتوهـم"

بصيت لهم، وبعدين كملت:

- "بـس محـدش فيكـوا ارتـاح قُربهـم، برغـم اتفـاق قناعاتهـم معاكـم، برغـم إنـك لقيـت البنـت المُتحـررة الـلي مـش عايـزة منـك لا جـواز ولا خلفـة، وبرغـم إنـك لقيتـي الـلي يدعمـك في شُـغلك وسـفرك ويهتـم بيـكي أشـد الاهتـمام، إلا إنكـوا برضـو مرتاحتـوش! لإنكـوا ماكُنتـوش بتحبوهـم، ولإنكـوا... لسـه لحـد اللحظـة دي... بتحبـوا بعـض."

بصوا لي باندهاش، قبل ما يبُصوا لبعض وأنا بقول لهم بصوت مليان فرحة:

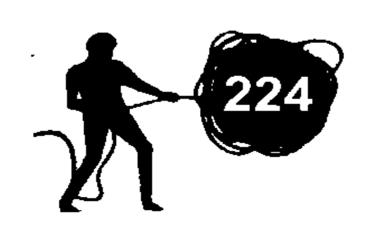
- "أيـوة، إنتـوا الاتنـين لسّـه بتحبـوا بعـض، وكُل التعـب الـلي إنتـوا فيـه دلوقتـي ده، بسـبب إن إنتـوا مـش مـع بعـض، مـع إنكـوا تقـدروا، تقـدروا ترجعـوا الـلي بينكـوا تـاني، تقـدروا أحسـن مـن الأول كـمان"

سـكت للحظـة، اتنهـدت فيهـا، وأنـا شـايف تسـاؤلاتهم في عيونهـم، قبـل مـا أكمـل وأقـول:

- "بالمُحاولـة، بـ إنكـوا تحاولـوا تـاني، وتالـت ورابـع وعـاشر، طـول مـا بتحبـوا بعـض، طـول مـا حقيقـي عايزيـن بعـض، يبقـى مَتيأسـوش مـن المُحاولـة أبـدًا، ومـن إنكـوا تحاولـوا تراضـوا بعـض عـلى قـد مـا تقـدروا، زي مـا بتـدوروا عـلى إنكـوا تراضـوا نفسـكم، وأكيـد... أكيـد في يـوم المُحاولـة هتنجـح"

اتحركت خطوتين ناحيتهم، وبعدين قُلت:

- "خـلاص يـا حسـام، سـارة سـافرت ودرسـت وبقـت دكتـورة قـد الدنيـا، حققـت حلمهـا الـلي كان ناقـص مـن غـيرك، إنـت كـمان لازم تقلـل



غيرتـك دي شـوية، أي نعـم غيرتنـا عـلى الـلي بنحبهـم شيء طبيعـي، بـس لازم يكـون لهـا حـدود، مـش عـمال عـلى بطـال، وهـيَّ هتاخـد بالهـا، عشـان هـيَّ عارفـة إنـك بتحبهـا، وماتقبلـش راجـل تـاني يتعامـل معاهـا بلُطـف زايـد، وبمـا إنـك خـلاص، اتعلمـت تُقـف في المطبـخ بسـبب قُعـادك لوحـدك، يبقـى أكيـد هتسـاعدها في شُـغل البيـت، مـش كـده؟ كفايـة يـا أخـي إنـك هترجـع تـدوق طبيخهـا بـدل العـك الـلي بتعملـه لنفسـك، ولـو يـا سـارة شُـغل البيـت كـتر عليكـوا أوي، مافيهـاش مُشـكلة لمـا تجيبـوا شـغالة تسـاعدكم، مـدام قادريـن، أمـا بالنسـبة لأهـم موضـوع، موضـوع الخلفـة، فـ يـوم مـا تحسـوا إنكـوا قد المسـئولية، تقـدروا تكفلـوا يتيـم، وتربـوه كأنـه ابنكـم بالظبـط، وهتبقوا كسـبتوا زينـة الدُنيـا، وحصلتـوا عـلى الثـواب الأعظـم في الآخـرة"

ابتسـمت وأنـا حاسـس بفرحـة جوايـا مـش طبيعيـة، قبـل مـا أكمـل وأقـول بصـوت فيـه شـوية رجـاء:

- "كُل ده مُمكن يحصل، لو بس قررتوا تحاولوا تاني، ها... هتحاولوا؟"

بصـولي للحظـة، وبعديـن بصـوا لبعـض مـرة تانيـة، ماكُنتـش محتـاج أسـمع ردهـم، عيونهـم كانـت فضحاهـم وهـيَّ الـلي قالـت كُل حاجـة، فجـأة لقيـت الدمـوع بتنـزل عـلى خـد "ناديـة"، قبـل مـا توجـه كلامهـا لـ"حسـام" وتقـول لـه:

- "وحشتني... وحشتني أوي يا حسام"

وكأن الكلمـة نزلـت بـردًا وسـلامًا عـلى قلـب "حسـام"، تهلـل وشـه بالفـرح، ورجعـت لـه الابتسـامة مـرة تانيـة، ابتسـامة حقيقيـة وصادقـة، فجـأة لقيتـه بيقـرب "سـارة ناحيتـه، وبياخُدهـا في حُضنـه، وبيضُمهـا بـكُل قوتـه، قبـل مـا يهمـس في ودنهـا بصـوت واطـي:



- "وإنتي وحشتيني، فوق ما تتخيلي يا سارة"

ارتسمت الابتسامة على وشي أنا كمان، ودموع الفرحة اتكونت في عينيا، فضلوا على الوضعية دي لثواني، قبل ما أحس إن وجودي خلاص، مبقالوش لازمة، اتحركت ناحية الباب بخطوات بطيئة، فتحت الباب، وقبل ما أخرج سمعت صوت "حسام" وهو بينده عليا:

- "دكتور علاء!"

التفت له، في اللحظة اللي كمل فيها وقال:

- "إحنا... إحنا بجد مش عارفين نُشكرك إزاي"

بصيت في الأرض، قبل ما أرد وأقول:

- "في الحقيقة يا حسام، أنا مش عارف مين فينا اللي المفروض يُشكر التاني "

- "إزاي!"

قالتها "سارة" قبل ما أهز راسي وأرُد عليها وأقول:

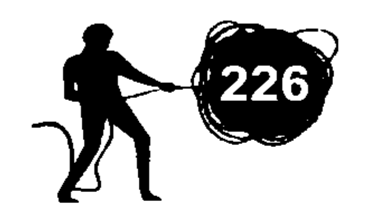
- "مش مُهم ده دلوقتي، المُهم إن إنتوا بقيتوا سوا، وقررتوا تحاولوا مرة تانية، بعتذر لكم أنا... أنا لازم أمشي دلوقتي"

- "على فين!"

قالوها هُما الاتنين في صوت واحد، ابتسمت، وأنا بتخيل صورة "أروى" قُدامي، قبل ما أرد عليهم بصوت مليان بهجة، وأقول:

- "أنا كمان هحاول"

***



نزلـت مـن المُستشـفى وجريـت عـلى العربيـة، ركبتها واتحركـت بيهـا بعـد مـا فتحـت صـورة "أروى" في السلسـلة المتعلقـة في مرايـة العربيـة، كُنـت بسـوق بسُرعـة وبحـاول أتفـادى العربيـات والإشـارات، وكأني خايـف لا الفُرصـة تفوتنـي، وصلـت عنـد بيـت "أروى"، ركنـت العربيـة وطلعـت العـمارة، ركبـت الأسانسـير ووصلـت للـدور والشـقة، وعنـد البـاب، وقفـت للحظـة اتنهـدت فيها بعُمـق، دقيـت بعدهـا عـلى الجـرس، وفضلـت واقـف مسـتني وأنـا بحـاول أهـدي أعصـابي واسـيطر عـلى نبضـات قلبـي، فجـأة لقيـت البـاب اتفتـح، ولقيـت والـدة "أروى" واقفـة قُدامـي، بصـت لي باسـتغراب وقالـت:

- "إيه يا علاء.. في حاجة؟ إنت كويس يا ابني؟"

- "أنا كويس يا طنط، أنا بس كُنت عايز أروى، هيَّ موجودة؟"

في اللحظـة دي، ظهـرت "أروى" في الصـورة، كانـت واقفـة عـلى بُعـد خطـوات مـن والدتهـا وبتبُـص لي بدهشـة واسـتغراب، في اللحظـة دي، قـررت إني أطلـق العنـان لقلبـي، لقيـت نفـسي ببُـص لهـا وأنـا مُبتسـم، وبتحـرك ناحيتها فجـأة، لحـد مـا وصلـت عندهـا وخدتها في حُضنـي، بـكُل قـوتي، فضلـت ثابتـة في مكانهـا مـن فـرط الصدمـة، أمـا أنـا، فحسـيت إن كُل آلامـي وأوجاعـي بيقعـوا مـن عـلى كتـافي، بمُجـرد مـا رميـت نفـسي في حُضنهـا، حُضـن مـراتي، حُضـن حبيبتـي..

بصيـت لهـا، لقيـت الدمـوع بتتكـون في عينيهـا، مكانتـش مسـتوعبة الـلي بيحصـل، لقيـت نفـسي بقـول لهـا فجـأة:

- "أنـا كـمان مـش عـاوز ده يـا أروى، مـش عايـزُه زيـك بالظبـط، مـش عايـز نبعـد عـن بعـض أبـدًا"



دموعها نزلت، وأنا بكمل وبقول:

- "أنـا كـمان بحبـك، بحبـك أوي يـا أروى، وجـاي النهـاردة عشـان أطلـب منـك إننـا نحـاول تـاني، والمـرة دي بـإذن الله هنقـدر، هنقـدر يـا أروى، عارفـة ليـه؟!"

تساؤلها كان باين في عيونها، فـ رديت على طول وقُلت:

- "عشـان فهمـت، فهمـت يـا حبيبتـي، وشُـفت حيـاتي مـن غـيرك هتبقـى عاملـة إزاي، شُـفت المُسـتقبل ولمـا شُـفته، مقدرتـش أتخيـل إني أقـدر أعيشـه وإنتـي مـش معايـا، أبـدًا، أبـدًا يـا أروى"

ابتسـمِت بفرحــة، كُنــت حاســس بنبضــات قلبهــا وكأنهــا بتــدُق في صــدري أنــا، كملــت وقُلــت:

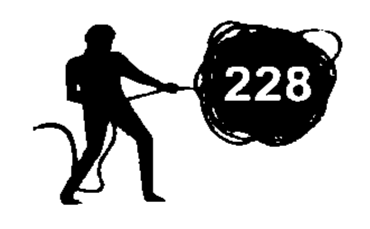
- "هنحـاول عشـان خاطـر بعـض، وعشـان خاطـر الأولاد، هنحـاول عشـان أنـا بحبـك، وإنتـي بتحبينـي، هنحـاول عشـان ماينفعـش... ماينفعـش أبـدًا منحاولـش"

لقيـت نفـسي برفـع كـف إيدهـا لحـد شـفايفي، وطبعـت عليـه بوسـة، قبـل مـا أسـألها:

- "هنحاول؟"

سـكتت للحظـة، قبـل مـا ترفـع إيدهـا التانيـة وتحُطهـا عـلى خـدي بالراحـة، وتقـولي بـكُل حُـب:

- "هنحاول... هنحاول يا علاء"



خدتهـا في حُضنـي مـرة تانيـة، في اللحظـة الـلي سـمعت فيهـا صـوت والـدة "أروى" وهـيَّ بتزغـرط بفرحـة، الزغروطـة جذبـت انتبـاه الأولاد فـ طلعـوا يشـوفوا في إيـه، رن في ودني صـوت "مُهنـد" وهـو بيقـول:

- "بابا!"

كان واقـف عنـد أوضتـه، وأول مـا شـافني جـري ناحيتـي، أنـا كـمان جريـت ناحيتـه بسُرعـة وخدتـه في حُضنـي، قبـل مـا يسـألني:

- "انت بتعمل إيه هنا؟"

- "خلاص يا حبيبي، أنا رجعت ومش همشي تاني أبدًا."

- "بجد!"

- "بجد، بجد يا مُهند"

- "هيييييه، أنـا كُنـت عـارف، كُنـت عـارف إن ربنـا هيسـمع دعـوتي، تيتـة قالـت لي اِدعـي لـه، وأنـا قُلـت لـه، يـا رب بابـا يرجـع، وأديـك رجعـت أهو"

بصيت له وأنا طاير من الفرحة، بوسته من خده وبعدين قُلت له:

- "الحمد لله يا حبيبي، ربنا كريم، كريم أوي"

في اللحظـة دي، شُـفت "سـما" بتقـرب مـن بعيـد بخطـوات بطيئـة، وهـيَّ بتحـاول تفهـم الـلي بيحصـل، بصيـت لهـا للحظـة وأنـا حاضـن "مُهنـد"، وبعديـن سـبته، واتحركـت بهـدوء ناحيتهـا، لحـد مـا وصلـت لهـا، نزلـت عـلى رُكبـي عشـان أكـون في مسـتواها، ومنعـت نفسـي مـن إني أعيـط بالعافيـة، مسـكت إيدهـا وقربتهـا مـن قلبـي، وراقبـت عيونهـا وهـيَّ بتبُـص لي والدمـوع بتتكـون فيهـا، لقيـت نفسـي بقـول لهـا فجـأة:



- "أنا... أنا عارف إنك زعلانة مني، وده حقك، أنا كمان زعلان من نفسي، زعلان عشان زعلتك أوي كده، وعشان حسستك في يوم إني مابقتش أحبك، بس اللي أنا عايزك تعرفيه كويس يا سما، إني عُمري ما بطلت أحبك، وإني مقدرش أعمل ده أبدًا، مقدرش! هفضل أحبك لحد آخر لحظة في عُمري، ولحد آخر لحظة في عُمري هحاول أعوضك عن تقصيري في حقك الفترة دي"

بصيت لها والدموع بتنزل من عينيا، وبعدين قُلت لها:

- "مُمكن... مُمكن تسامحيني؟"

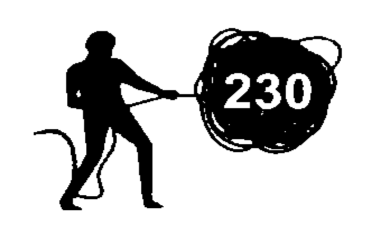
دموعها نزلت هيَّ كمان وفضلت بَصالي شوية، قبل ما تبتسم، ابتسامتها الجميلة اللي وحشتني، وتقول:

- "مُمكن، بس بشرط"
- "أي حاجة، أي حاجة يا سما"
- "تبطل سجاير"

بصت لها للحظة وأنا مستغرب، وبعدين لقيتها بتكمل:

- "تبطل سجاير عشان أقدر أحضنك من غير ما أبقى مخنوقة من ريحتها، تبطلها... عشان صحتك تبقى كويسة وتفضل موجود معايا على طول وماتسبنيش أبدًا، لو بتحبني فعلًا زي ما بتقول، يبقى تبطلها"

ابتسمت وقلبي رفرف من الفرحة، لما حسيت إنها خايفة عليا أوي كده، وبرغم صعوبة الفكرة وتنفيذها، إلا إني مفكرتش كتير، لقيتني بهز راسي وبقول لها:



- "أوعدك، أوعدك هبطلها يا حبيبتي، بس... مُمكن يعني لحد ما أبطلها، أخُد حُضن صُغير؟ حُضن واحد بس"

فجأة لقيتها بتقرب مني وبتهمس في ودني:

- "من غير ما تقول"

وحضنتني، حُضن رد فيا روحي من تاني، طولت في حُضنها على قد ما قدرت، لحد ما لقيت "أروى" بتقرب مني بعدها وهيَّ شايلة "مُهند"، عشان نُحضن بعض إحنا الأربعة، حُضن جميل ودافي، وحسيت فجأة إن أنا حقيقي كُنت إنسان غبي، لإني كُنت هضحي بحُضن زي ده، وببيت زي ده، وبحُب زي ده..!

***



- "يلا يا مُهند، هنحاول مرة كمان، والمرة دي هنقدر، ماشي؟"
- "ماشي يا بابا"

ركب "مُهند" على العجلة، ظبط نفسه، واتنهد بعُمق، في اللحظة اللي زقيته فيها ناحية "سما" اللي كانت واقفة بعيد شوية وبتحمسه عشان يوصل لها، فضل "مُهند" يحاول يوزن نفسه، مرة في التانية في التالتة، لحد ما في النهاية يقدر يبدل بشكل كامل، وقدر يسوق العجلة لوحده، صقفت له في نفس الوقت اللي لقيت "أروى" بتشجعه فيه، وبتبُص له وهيَّ فرحانة، كانت قاعدة على الأرض في نُص الجنينة بالظبط، لما روحت لها وقعدت جمبها، وحطيت إيدي حوالين كتفها، بصينا لبعض بحُب، وبعدين بصينا على الأولاد، "مُهند" و"سما"، وهُما بيلعبوا سوا في الجنينة..

فضلت صورة يوم الأجازة مع "أروى" والأولاد تدور في ذهني وأنا في طريقي للمُستشفى، كُنت حقيقي فرحان إني حققت حلم "مُهند" وقدرت أعلمه ركوب العجل، بس اللي فرحني بشكل أكبر، هو إن رسمته اتحققت، مابقتش مُجرد رسمة، بقت واقع ملموس، أجمل واقع في الدُنيا..

ركنت العربية قُدّام المُستشفى، بصّيت في ساعتي، كانت داخلة على 9 ونص، نزلت واتحركت ناحية البوّابة، "مُستشفى الأمل للأمراض النفسية والعصبية"، بصّيت على اليافطة وأنا بفكّر، يوم جديد من الانغماس في مشاكل ومتاعب الآخرين، بس من غير ما أكون أنا كمان شايل مشاكل وهموم الدُنيا فوق كتافي، كُنت مصدق المقولة اللي بتقول إن الطبيب النفسي أوقات بيحتاج للعلاج زيّه زيّ المريض

بالظبـط، بـس عُمـري مـا تخيلـت إن علاجـي هيبقـى عـلى إيـد حالـة عنـدي، أو في وضعـي ده، حالتـين مـش حالـة واحـدة..

مشـيت في ممـرات المُستشـفى وأنـا بقلـب في التابلـت بتاعـي، بشـوف لـو حـد كلمنـي أو بعـت لي رسـالة، والمـرة دي لقيـت رسـالة بالفعـل، كانـت مبعوتـة مـن "سـارة" و"حُسـام"، مـن المالديـف، مُرفـق بيهـا فيديـو ليهـم وهُـما قاعديـن قُـدام البحـر، وبيشـاوروا لي وبيضحكـوا، ابتسـمت، وفرحـت لهـم بجـد مـن قلبـي، في نفـس اللحظـة الـلي وصلـت فيهـا لمكتبـي، عشـان ألاقـي "دُعـاء" بتسـتقبلني بابتسـامتها المعهـودة، ابتسـمت لهـا أنـا كـمان، وقُلـت لهـا بصـوت مليـان بهجـة:

- "صباح الخير يا دُعاء، ها؟ عندنا كام حالة النهاردة؟!"

***

النهاية

تمت بحمد الله

20 ديسمبر 2019